

دولة الإمارات العربية المتحدة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي



مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

اقرأ في هذا العدد

كلمة المشرف: أهمية تطوير أساليب تعليم اللغة في الجامعات

الأفراد والجمع في عرض القراءات القرآنية

الوحي بتكليم القلث عند ابن خلدون

تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في الأحكام
الشرعية: تأصيلاً وتطبيقاً

أثر الإعراس بالمهر في التفريق بين الزوجين

التكوين السريع لهوارد البشرية وفعاليتها المعرفية والعملية
-دراسة ميدانية على برنامج إجاز في التأهيل لسوق العمل بكلية
الدراسات الإسلامية والعربية، دبي-

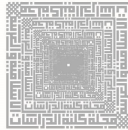
الوثائق التاريخية في مسرح سلطان بن محمد القاسمي

اليات استثمار النص نحويًا عند ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) في
شرحه قصيدة (بانث سعاد) - مُمَارَسَةٌ تُبَدِّحُ عَن تَنْظِيرِ -

التواصل المعرفي بين المدرسين النحوي والنحوي كتاب الكوكب الدرّي
للإسني (٧٧٢هـ) أنموذجاً

معلقة لبيد بن ربيعة العامري في ضوء المنهج العقلي

التداخل اللغوي بين الطلبة الجامعيين العرب، الحوافز والهوية (بالإنجليزية)



55

www.islamic-college.ae
iascm@emirates.net.ae

العدد الخامس والخمسون
العدد الإلكتروني
الموقع الإلكتروني



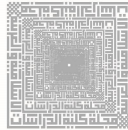
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية
The Journal of the College of Islamic & Arabic Studies

55

ISSN 1607-209X

رمضان - يونيو
Ramadan 1439 H - June 2018 CE

رمضان - يونيو
٢٠١٨ م / ١٤٣٩ هـ



55

Issue No. 55
E Mail iascm@emirates.net.ae
Website www.islamic-college.ae

June - Ramadan
2018 CE / 1439 H

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES



The Journal of the College of Islamic & Arabic Studies

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

Read In This Issue

Supervisor's Word: The Importance of Developing Language Teaching Methodology in Universities

Ifrad (singling) or Grouping in Presenting Quranic Readings

"Revelation by the Divine Speech" Case Study by Ibn Khaldun

The specification of the general in the Prophet's (PBUH) deed and its effect on the Shar'ah provisions (Rooting and Application)

The Effect of Insolvency by Dowry in Breaking up the Relation Between the Two Spouses

"The Rapid Training for the Human Resources and its Practical and Cognitive Effectiveness." Case Study on the Emirati Experiment "Injaz" Work Readiness Programme WRP) at College of Islamic and Arabic Studies- Dubai

Historical Documentary in Sultan bin Mohammed Al Qasimi Theatre

Mechanisms of investing the text syntactically in case of IBN HISHAM AL-ANSARI (761 AH) in his commentary of the Poem (Banet Souad) Souad had went away

Cognitive Communication between the Grammatical and Jurisprudential Lessons. The Book of the Al Kawkab Al Dorri (772 AH) by Al Asnawi as a model

Labeed Bin Rabea-Al Amri's Long Poem (Mallaqa) in the Light of Intellectual Approach

Code-switching among Arab Undergraduate Students: Motivations and Threats to Mother Tongue (in English)





مَجَلَّةُ

كُلِّيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ

مجلة علمية محكمة

نصف سنوية

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الخامس والخمسون

رمضان ١٤٣٩ هـ - يونيو ٢٠١٨ م

المشرف العام

د. محمد أحمد عبدالرحمن

مدير الكلية

رئيس التحرير

أ. د. أحمد عثمان رحمانى

مساعد رئيس التحرير

أ. د. خليفة بوجادي

أمين التحرير

أ. د. يوسف حسين أحمد

هيئة التحرير

د. حمزة حسن سليمان

د. عبد الناصر يوسف

أ. د. محمد عبد الحي

أ. د. عمر بوقرورة

أ. د. أحمد المنصوري

الترجمة إلى الإنجليزية: لجنة الترجمة بالكلية

ردمد : ٢٠٩X-١٦٠٧

تُفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

أ. د. محمد منصور الزعبي

جامعة الإمارات - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بطاهر

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. رشاد محمد سالم

الجامعة القاسمية - الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة - المملكة المغربية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية في سطور

تاريخ النشأة:

١- برنامج البكالوريوس:

- كلية الدراسات الإسلامية والعربية مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي في الدولة وهي واحدة من منارات العلم في دبي ومركز رافد لتنمية الثروة البشرية في دولة الإمارات.
- قام بتأسيسها السيد جمعة الماجد وتمهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخرجة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.
- رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦/١٩٨٧م.
 - صدر قرار رئيس جامعة الأزهر رقم ١٩٩٥م لسنة ١٩٩١ بتاريخ ١٩٩١/٧/٩ بمعادلة الشهادة التي تمنحها الكلية بشهادة الجامعة الأزهرية.
 - وبتاريخ ١٤١٤/٤/٢هـ الموافق ١٩٩٣/٩/١٨م أصدر معالي سمو الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣م بالترخيص للكلية بالعمل في مجال التعليم العالي.
 - ثم أصدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية الصادرة عن الكلية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
 - ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية التي تمنحها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.
 - بقرار من مجلس الأمناء، بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤، تفتتح أبواب التسجيل في الدراسات العليا أمام الطلاب الذكور، تخصص الشريعة، واللغة العربية بدءاً من ٢٠١٧/٢/١٨.
 - ضمت الكلية في العام الجامعي الثاني والثلاثين ١٤٣٨/١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧/٢/١٨م (١٩٦) طالباً و(١١٩١) طالبة في مرحلة البكالوريوس و(١١٠) طالبة و(٥٣) طالباً بمجموع (١٦٣) في برنامجي الماجستير والدكتوراه.
 - احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٠١٧/٢/٢٦م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.
 - واحتفلت الكلية بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩/١٠/١٤١٣هـ الموافق ٢٠١٧/٤/٢١م.
 - واحتفلت الكلية هذا العام ٢٠١٧/٢/١٨م بتخريج الدفعة الثامنة والعشرين من الطلاب والدفعة السابعة والعشرين من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية، والدفعة الرابعة عشرة من الطلاب والدفعة العشرين من الطالبات في تخصص اللغة العربية وآدابها.
- #### ٢- الدراسات العليا بالكلية خطوة رائدة:
- أنشئ قسم الدراسات العليا بالكلية في العام الجامعي ١٩٩٦/٩٥م ليحقق غرضاً سامياً وهدفاً نبيلاً، وهو إعداد مجموعة من طلبة هذه الدولة للتعمق في الدرس والبحث والقيام بالمهام المرجوة في الجامعات ودوائر البحث العلمي وسائر المرافق، ولتجنب مشكلات اغتراب الطلبة عن الأهل والوطن وبخاصة الطالبات.
 - يخول البرنامج للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها والتسجيل فيما بعد في برنامج الدكتوراه في الفقه الذي شرع فيه بدءاً من العام ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.
 - افتتحت الكلية بدءاً من العام ٢٠٠٧/٢٠٠٨م برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبي الأدب والنقد واللغة والنحو.
 - وقد صدر قرار معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي رقم (٥٦) لسنة ١٩٩٧م بمعادلة درجة الدبلوم العالي في الفقه الإسلامي التي تمنحها بدرجة الدبلوم العالي في هذا التخصص.
 - كما صدر القرار رقم (٥٧) لسنة ١٩٩٧م بمعادلة درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية (الفقه) و(أصول الفقه) التي تمنحها الكلية بدرجة الماجستير في هذين التخصصين.
 - وفي ٢٠١٧/٢/٢٤، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منح علامة دبي للوقف لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.

– تخرجت (٢١٩) طالبة من برنامج الدراسات العليا في الكلية منهن (٩٧) طالبة من ماجستير الشريعة الإسلامية تخصص (الفقه، أصول الفقه) و(٧٦) طالبة من ماجستير اللغة العربية وآدابها شعبي (اللغة والنحو، والأدب والنقد) و(٤٦) طالبة في الدكتوراه (١٩) في قسم الشريعة و(٢٧) طالبة في الدكتوراه قسم اللغة العربية وذلك منذ انطلاق البرنامج.

٣- الرؤية - الرسالة - الأهداف:

أ- الرؤية : تعمل الكلية على «أن تكون مؤسسة تعليمية رائدة ذات كفاءة علمية وبحثية تسهم في تأكيد الهوية الثقافية للمجتمع الإماراتي، بالتركيز على تعميق الوعي بالعلوم الإسلامية واللغة العربية، والمعارف المحققة لمطلوبات العصر».

ب- الرسالة : «تعمل الكلية على تنمية مستوى الطلبة في الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وتنمية المهارات الشخصية والقيادية وتوفير بيئة البحث العلمي لتطوير المناهج العلمية وتحسين التميز الأكاديمي لبناء مجتمع معرفي ذي جودة عالية خدمة للمجتمع».

ج- من أهداف الكلية: تهدف الكلية إلى تحقيق أهداف متعددة منها:

١- الأهداف العلمية : وتشمل ترقية المستوى المعرفي للطلاب في مجال تخصصه، في العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها عن طريق تنمية روح البحث العلمي في المعارف التي تتطلبها الحياة العصرية والحضارية للأمة.

٢- الأهداف العملية ومهاراتها : بما في ذلك ترقية المهارات الأساسية التقليدية والمتجددة قراءة وكتابة وبحثاً.

٣- الأهداف السلوكية : وذلك بأن نكوّن الطالب الذي يعمل على أن يرقى بسلوكه لتحقيق القيم الأخلاقية والوطنية التي تنمي عنده حب الوطن والحق والخير والجمال وعمران الأرض، وتحقق عنده تقدير المقومات الأساسية لمفهوم الوطن والدولة وتقدير آفاق المستقبل من أجل الأجيال الصاعدة.

٤- مجلس الأمناء : يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للكلية وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الكلية) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥- أقسام الكلية: تضم الكلية قسمين يشكّلان وحدة متكاملة، وتمثّل مقرّراتهما، المتضامرة جميعاً منهاج الكلية، ولا يتخرّج الطالب إلا بعد نجاحه فيها، وهما:

١ - قسم الدراسات الإسلامية ٢ - قسم اللغة العربية وآدابها

- وتجدر الإشارة إلى أنّ في الكلية فرعين: فرعاً للطلاب وفرعاً للطلّابات.

- في الكلية برنامج للدراسات العليا يضم ماجستير الشريعة الإسلامية تخصص الفقه والأصول، وماجستير اللغة العربية شعبي الأدب والنقد، واللغة والنحو، ودكتوراه الشريعة الإسلامية تخصص الفقه والأصول، ودكتوراه اللغة العربية شعبي الأدب والنقد، واللغة والنحو.

٦- نظام الدراسة:

- مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلها.

- تقوم الدراسة في الكلية على أساس النظام الفصلي وقد طُبّق منذ العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢.

- يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقرّرة.

٧- أنشطة علمية ومجتمعية:

- تصدر الكلية هذه المجلة، وهي علمية محكمة، مرتين كلّ عام وتسمّى باسمها، وتُنشر بحثاً ودراسات جادّة للأساتذة والباحثين من داخل الكلية وخارجها. وتشرف الكلية على مشروع الكتاب الجامعي الذي صدر منه لحد الآن (١٨) مؤلفاً.

- تقيم الكلية ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين.

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية لمدة (.....) سنة، ابتداء من:

الاسم الكامل:

العنوان:

الهاتف:

البريد الإلكتروني:

قيمة الاشتراك:

رسوم الاشتراك

| قيمة الاشتراك | | | نوع الاشتراك | | مصدر الاشتراك |
|------------------|------------------|------------------|--------------|-----------|------------------------------------|
| الطلبة | الأفراد | المؤسسات | الكمية | الفترة | |
| ٥٠ درهم إماراتي | ٨٠ درهم إماراتي | ١٠٠ درهم إماراتي | ٢ | سنة واحدة | داخل دولة الإمارات العربية المتحدة |
| ١٠٠ درهم إماراتي | ١٥٠ درهم إماراتي | ٢٠٠ درهم إماراتي | ٤ | سنتان | |
| ٣٠ دولار أمريكي | ٤٠ دولار أمريكي | ٥٠ دولار أمريكي | ٢ | سنة واحدة | خارج دولة الإمارات العربية المتحدة |
| ٦٠ دولار أمريكي | ٨٠ دولار أمريكي | ١٠٠ دولار أمريكي | ٤ | سنتان | |

طريقة الدفع:

- داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلة)، أو حوالة مصرفية.

- خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.

- البيانات: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي.

بنك دبي الإسلامي - دبي

رقم الآيبان: AE030240001520816487801

يُرسل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية،

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧)

أو العنوان الإلكتروني: research@islamic-college.ae - iascm@iascm.ae

قواعد النشر

أولاً:

تنشر مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية البحوث العلمية باللغتين العربية، والإنجليزية، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانياً:

تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:

١. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.
٢. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير.
٣. يراعى في البحوث المتضمنة نصوصاً شرعية ضبط تلك النصوص، وذلك بتوثيق الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم القرآني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
٤. يطبع المخطوط بواسطة الحاسوب بمسافات مزدوجة بين الأسطر، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (١٥) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة بواقع (١٠٠٠٠) عشرة آلاف كلمة وحجم الحرف (١٦)، وترسل منه نسخة ورقية، ونسخة إلكترونية وفق برنامج "Word 2010" وتكتب أسماء الباحثين باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية.
٥. يرفق مع البحث ملخص باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تزيد كلماته عن (٢٠٠) كلمة.
٦. ترقم الجداول والأشكال والنماذج المخطوطة والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في مخطوط البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه في متن المخطوط، وتقدم بأوراق منفصلة.
٧. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- * يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة ألياً توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا: (١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.
- * يشار إلى الشروح والملاحظات في متن البحث بنجمة (هكذا: *) أو أكثر.
- * تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.
- * توثق الإحالات على النحو الآتي المؤلف: عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها ب (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه ب (د.ت).
- * البحوث في الدوريات: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...)).
- * يذكر الباحث كل بيانات المصادر في الإحالات، متى وردت للمرة الأولى في البحث، فإذا تكررت بعد ذلك يكتفي باسم المؤلف وعنوان المصدر. وإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة (المرجع السابق).
- ٨. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسله إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

ثالثاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.
٢. البحوث المرسله إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
٣. يخضع ترتيب البحوث المقبولة للنشر في المجلة لاعتبارات فنية.
٤. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه، زيادةً على (٥) مستللات منه.
٥. ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧

فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨

أو البريد الإلكتروني: research@islamic-college.ae - iascm@iascm.ae

المحتويات

● الافتتاحية

رئيس التحرير..... ١٥-١٦

● كلمة المشرف: أهمية تطوير أساليب تعليم اللغة في الجامعات

المشرف العام..... ١٧-١٩

البحوث..... ٢١

● الأفراد والجمع في عرض القراءات القرآنية

د. نمشة بنت عبد الله الطواله..... ٢٣-٦٨

● الوحي بتكليم الملك عند ابن خلدون

د. شريف عبد العليم محمود..... ٦٩-١١٢

● تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في

الأحكام الشرعية تأصيلاً وتطبيقاً

د. سلمان بن صمايل السلمي..... ١١٢-١٤٤

● أثر الإعسار بالمهر في التفريق بين الزوجين

أ. د. ماهر ذيب أبو شاويش..... ١٤٥-١٩٤

● التكوين السريع للموارد البشرية وفعاليتها المعرفية والعملية

-دراسة ميدانية على برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بدبي-

د. محمد أحمد عبد الرحمن..... ١٩٥-٢٣٨

● الوثائقية التاريخية في مسرح سلطان بن محمد القاسمي

د. يحيى سليم سليمان عيسى..... ٢٣٩-٢٨٠

- آليات استثمار النّص نحويّاً عند ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) في شرحه قصيدة (بانت سعاد) - ممارسة تبحر عن تنظير -

د. لزهة كرشو ٢٨١-٢٢٤

- التواصل المعرفي بين المدرسين النحوي والأصولي

كتاب الكوكب الدرّي للإستوي (٧٧٢هـ) أنموذجاً

أ. م. د. هديل عبد الحليم داود - أ. م. د. عائشة خضر أحمد هزاع ٣٢٥-٣٦٠

- معلقة لبيد بن ربيعة العامري في ضوء المنهج العقلي

د. أحمد محمد الحراشنة ٣٦١-٣٩٦

- التداخل اللغوي بين الطلبة الجامعيين العرب: الحوافز والهوية

علياء محمد أسامة قهوه جي ١٧-٥٤

الإفتاحية

أ.د. أحمد عثمان رحمانى
رئيس التحرير



الحمد لله الذي نرجو أن يعيننا على أن نقدره حق قدره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد؛

فإن العلم في العصر الحديث جسر عبور من حال التخلف إلى حال التقدم، ومن حال المعاناة الصحية والعقلية والاقتصادية إلى حال الوعي بأسباب التطور والازدهار لتحقيق الخير كله، ولعلي لا أكون مخطئاً إن قلت إن دور العلم في تصحيح مسيرة الحضارات وتطوير المجتمعات هو الدور المؤسس ابتداءً في الكتب السماوية؛ حيث تم تأكيد أنّ صلاح أحوال البشرية في أمور دينهم ودنياهم يتوقف على العلم، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة آل عمران - الآية ١٨ .

وقد يكون العدد الجديد من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بموضوعاته الجديدة قادراً على أن يسهم في تحقيق الأهداف النبيلة التي يسعى العلم إلى تحقيقها، وذلك عبر المحاور التالية:

محور: الدراسات القرآنية :

١- الأفراد والجمع في عرض القراءات القرآنية، وقد بين البحث أن أفراد القراءات والروايات هو الأصل، وهو المنهج الذي تلقى به الصحابة رضي الله عنهم القرآن بحروفه وقراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وإنما نشأ الجمع بين القراءات لغاية واحدة هي الاختصار.

٢- الوحي بتكليم الملك عند ابن خلدون، وقد بيّنت الدراسة أن العلامة ابن خلدون ترك لعقله المجال للخوض في قضية الوحي الذي هو من الغيبات التي لا تستطيع العقول إدراكها .

محور الفقه والدراسات الشرعية :

٣- أثر الإعسار بالمهر في التفريق بين الزوجين، و يهدف البحث إلى بيان أثر الإعسار بالمهر على فسخ عقد النكاح إذا طلبت الزوجة ذلك، وهل لها ذلك أم لا ؟

٤- تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في الأحكام الشرعية تأصيلاً وتطبيقاً: تناول البحث على المستوى النظري الجانب التأصيلي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وخصص الجانب التطبيقي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، ليوضح فيه أثر اختلافهم الأصولي في الأحكام الشرعية.

محور اللغة :

٥- التواصل المعرفي بين المدرسين النحوي والأصولي (كتاب الكوكب الدرّي للإسنوي (٧٧٢هـ) أنموذجاً):
تحاول الدراسة كشف التواصل الحاصل بين علمين أصيلين في ثقافتنا الإسلامية، وتعمل على بيان مجالاته، وبخاصة فيما يربط علم أصول الفقه بعلم أصول النحو، ويقر أنّ الثاني يكاد يكون نسخة كاملة عن أصول الفقه، لاسيما في الاصطلاحات ومنهجية التأليف والتبويب.

٦- آليات استثمار النصّ نحويًا عند ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) في شرحه لقصيدة (بانت سعادُ)
- مُمارسةٌ تَبَحُّثٌ عَنْ تَنْظِيرٍ -: وتكشف الدراسة عن توسّل النحوي بنصّ شعري أفسح لابن هشام المجال واسعاً لِبَثِّ قواعد تخصّصه النحوي، وأدلى فيه بأرائه ترجيحاً وتضعيفاً للمسائل التي يعرّض لها في مُصنّفه.

محور الدراسات الأدبية :

٧- معلقة لبديع بن ربيعة العامري في ضوء المنهج العقلي: استخدم الباحث المنهج العقلي ليتعمق في إيحاءات القصيدة ودلالاتها الغائبة، معوّلاً على نيّة مفترضة للشاعر، للإجابة عن تساؤلات الدارسين عن ملامح تاريخية ظلت موضع تجاذب بين المؤلّفين.

٨- الوثائقية التاريخية في مسرح سلطان بن محمد القاسمي: يحاول أن يبين أن التاريخ قد شكل بالنسبة إلى القاسمي مخزوناً من الوثائق التي تعد مرتكزاً معرفياً أسس من خلاله رؤيته الفنية.

محور الدراسات الاجتماعية والتربوية :

٩- التكوين السريع للموارد البشرية وفعاليتها المعرفية والعملية - دراسة ميدانية على تجربة إنجاز في التأهيل لسوق العمل/كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدولة الإمارات-: يطرح البحث (نظرية التكوين السريع) لإبراز هذا المفهوم، ويبين فاعليته المعرفية النظرية، وفعاليتها العملية التطبيقية، وذلك من خلال التركيز ميدانياً على تحليل تقديرات المدرسين في عينة هي (برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل).

وبعد؛ فإن مجلة الكلية كانت ولا تزال تطمح إلى أن تتلقى المزيد من الأعلام الراقية التي تحمل رسالة أخلاقية وحضارية لتخدم الشعوب التي تقرأ، وتحب دائماً أن تستفيد لتفيد، وعلى حد تعبير أحد الحكماء المعاصرين :

«المكتبة ماهي عناوين وكتب؛ المكتبة عالم تجمع في مكان».

كلمة المشرف

أهمية تطوير أساليب تعليم اللغة في الجامعات

بقلم المشرف العام: د. محمد أحمد عبد الرحمن

عناصر الموضوع:

تقف اللغة العربية اليوم مع اللغات ذوات الصدارة في العالم، بالنظر إلى الشريحة الواسعة المُستَخدمِها، وإلى الإرث الثقافي والحضاري المكتوب بها.

إنّ من المفيد الحديث عن (تفاضل اللغات) بقدر ما نحتاج إلى تفعيل البحث في (تقابل اللغات)، وبيان أسسها الإنسانية المشتركة، والخصائص التي تتفرد بها كل منها، لإدراكها، وإدراجها في المنظومات التعليمية والتواصلية.

ولذلك، فالبحت اليوم بحاجة إلى بيان الإمكانيات التي توفرها اللغة العربية من اتساع مدرجها الصوتي، واشتقاق كلماتها، وصيغ التعريب فيها، وإيجاز عباراتها،... وغير ذلك مما ينبغي التعويل عليه في موضوع الدراسات التقابلية بين اللغات العالمية؛ ذلك أن اللغة استخدام مستمر، وهي وسيلة نفعية بامتياز، «يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، وتخضع إلى تغيير وتطوير دائمين، ما يتطلب تطوير أساليب تعلمها، نظرا إلى ما آل إليه المجتمع الإنساني، من تداخل الألسنة وتعددها، ولعل الظاهرة التي تعيشها الإمارات العربية ودول الخليج تفرض علينا إعادة النظر في الأساليب التعليمية؛ إذ لا يكفي نهائيا تكثيف ساعات الدرس لأن المسألة يمكن حصرها في الاستخدام، وهذا يتطلب تكثيف مجالات الاستخدام اللغوي للغة المراد تعلمها، لما تفرضه مقتضيات طبيعة الحاجة إليها، كما هو الحال بالنسبة إلى اللغتين العربية والإنجليزية.

وسنركز حديثنا في هذا العدد من المجلة في النقاط الآتية:

١- قيمة اللغة في التوصيل والاتصال:

إن التواصل بين أفراد المجتمع ضرورة للتنمية الشاملة، ولذلك نجد (الإشارات) تدعم اللغة في التواصل، وقد تحل محل اللغة المنطوقة، إذا لم يكن للمتكلّم علم بها، فتكون الإشارة وسيلة تواصل لمن لا لسان له؛ لأنها تعبر عن أبسط الحاجات، غير أن تعقد الحياة وتجدد الحاجات وتعددها إلى ما لا يحصى يجعل اللغة وسيلة لا بدليل لها، سواء أكان التعبير بلسان النطق أو بلسان القلم، على أن اللغة لا تستقيم على اللسانين إلا بالتمكن من قواعدها، ومعجمها، وطرق نطقها، وغير

ذلك من متطلبات اللغة، لكي يتمكن الإنسان من التعبير السليم الذي ييسر التقدم في العلاقات الاجتماعية.

٢- دور اللغة في التواصل الاجتماعي والمعلوماتي:

من المعلوم بالضرورة أن دور اللغة لا ينتهي عند التواصل الاجتماعي في قضاء الحاجات، وإنما يتجاوزها إلى التواصل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغير ذلك مما تطلبه المعاصرة؛ إذ صارت وسائل التواصل المكتوب سيدة الموقف، في العلاقات المختلفة، في التجارة والإدارة، وحتى في الصداقات؛ صارت اللغة المكتوبة وسيلة أساسية، للتعبير عن كل متطلبات الحياة.

٣- اللغة الفاعلة في البحث العلمي:

تتدرج أهمية اللغة وضرورة الإتقان لمكوناتها حين تدخل مجال الإبداع والابتكار والاكتشافات العلمية، عندئذ يصبح امتلاك ناصية اللغة بكل مواصفاتها ضرورة وقد قيل (الوسيلة التي لا يتم الواجب إلا بها تصبح واجبا) وهي كذلك فعلا، وعلى هذا يتعين أن ينظر إلى البرامج اللغوية نظرة أكثر جدية، بحيث يصبح الطالب الباحث مالكا لقدرة التعبير على القضايا العلمية الدقيقة، مما يفرض الاهتمام بالمهارات اللغوية كلها، مهارة السمع، ومهارة القراءة ومهارة الكتابة، ومهارة الإبداع.

وقد لاحظنا أن جل البحوث والدراسات، أكاديمية كانت أو غير أكاديمية، تتم التوصية فيها بضرورة التصويب اللغوي، مما يعني أهمية تطوير الأساليب التعليمية حتى يتجاوز الطالب الباحث هذه العقبات ليهتم بالأفكار والابتكار والإبداع.

٤- كيف تطور أساليب تعليم اللغة وطرقه:

تتعدد أساليب التعليم وطرقه بين التلقيني، و الحواري، و الأنشطة، والبحث، وما إلى ذلك، ويجب أن نميز بين أسلوب المدرس من حيث هو شخصي يميز شخصيته في الأداء، وبين الإجراء القائم على قواعد ثابتة ينبغي العمل بها كمنهجية، وهذه هي التي تميز منهجية التدريس من نظام تعليمي إلى آخر، وعلى هذا الأساس ينبغي إعادة النظر في طرائق التدريس للخروج بطريقة أكثر فاعلية في تنمية القدرات اللغوية لدى الطالب. ولعل التدريس عن طريق الممارسة اللغوية يكون أكثر فاعلية من التلقين، لأن البرامج أثبتت أن كثرة الساعات لم تُجدِ نفعاً، في حين يكون دفع الطالب إلى بيئة لغوية كما تفعل بعض الجامعات في وضع الطالب العربي في وسط أسري لا يستخدم إلا اللغة الإنجليزية مثلا، يجعله يتعلم اللغة بسهولة ويسر، لا تتحقق له عن طريق تكثيف القواعد في الكتاب التعليمي.

٥- التعدد اللغوي ضرورة حضارية معاصرة:

في إطار الحديث عن مشكل اللغة يتعين أن نتحدث عن أهمية التعدد اللغوي في ترقية الفكر والمنهج والمعارف بصفة عامة، ذلك لأن التواصل الاجتماعي قد تجاوز مجال الوطن إلى العلاقات العالمية، وقد لوحظ أن الشباب اليوم يتواصل في حوار عميق حول قضايا مصيرية أحياناً، لذا يجب التفكير في الأساليب النافعة في نشر أسلوب التعدد اللغوي للحفاظ على (المنتجات الحضارية).

ولا ينبغي أن يُنظر إلى التعدد اللغوي من زاوية سلبية وأنه امتداد على حساب فضاء اللغة الوطنية، بل إن له أوجهاً إيجابية عديدة؛ حيث يَسْمَحُ بالتواصل الحضاري بين شعوب المعمورة، فضلاً عما يُسَهِّمُ به في تطوير تعليم اللغة في الجامعات؛ حيث يضع لغات متعددة على مستوى واحد من الأداء وفرص التعبير، وهذا ما يسمح للمتعلمين والطلاب بالوقوف على ما تتقاسمه اللغات الإنسانية من أسس وخصائص، وما يتفرد به كل منها من خصوصيات، فيأخذون بزمامها، ويمتلكون مهاراتها، وتكون أبواباً مشرعة لهم وواسعة على الثقافات الإنسانية.

٦- النتائج المتوقعة في الأفق:

يمكنني أن أتوقع من الأساتذة والباحثين التفكير في دفع آلية الترقية اللغوية في مجال التدريس والبحث العلمي، لنصل إلى توفير منظومة تعليمية وبحثية، تعتمد على التمكن من اللغات، واعتمادها أساساً ضرورياً في العملية التعليمية، ورافداً غنياً لتطوير البحث العلمي. حتى تتمكن من تكوين طالب متكامل الأدوات، بفضل تمكنه من اللغات قراءة وفهماً، وحواراً.

البحوث

الإفراد والجمع في عرض القراءات القرآنية

د. نمشة بنت عبد الله الطواله

كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

المملكة العربية السعودية



ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على أفراد القراءات وجمعها، والكشف عن مناهج القراء وجهودهم، وأهل الأداء في عرض القراءات القرآنية وتلقيها، والوقوف على ما عليه العمل من كفايات الأفراد والجمع في الوقت الحاضر. وقد أشار البحث إلى أن أفراد القراءات والروايات هو الأصل، وهو المنهج الذي تلقى به الصحابة رضي الله عنهم القرآن بحروفه وقراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وإنما نشأ الجمع بين القراءات لغاية واحدة هي الاختصار.

كما كشف البحث الاختلاف في حكم جمع القراءات في التلاوة بناء على الحالة التي يكون عليها القارئ (حال التعليم والتلقي، وحال الصلاة، والجمع في المحافل؛ كالمآتم والأفراح والإذاعات أمام عامة الناس)، بالإضافة إلى اتفاق كفايات جمع القراءات على عدم إهمال أي قراءة أو رواية، وعلى ترك إعادة مذهب مع غيره من دون سبب.

والحمد لله رب العالمين.

Abstract

Ifrad (singling) or Grouping in Presenting Quranic Readings

Dr. Namshah Abdullah Altwalh

The aim of this research is to explore the ways of singling or grouping the Quranic readings. In addition, it explores Quran readers' approaches, efforts, and the ways of presenting and learning Quranic readings. It also focuses on the ways followed at the present time in Quranic readings whether in a singling or grouping manner. This research also states that Ifrad (singling) reading and narrations is the original and it is the approach in which Quran letters and readings were learned by Sahabah (the Companions) -may Allah be pleased with them- from the Prophet –peace be upon him. Whereas the grouping between readings happened for one purpose which is summarizing.

This research also shows that the judgment on reciting Quran with more than one Quranic reading differs in accordance with the readers' status (during teaching and studying Quran, praying, and gatherings like funerals, celebrations, and public speeches). Furthermore, it presents a consensus concerning the way of joining Quranic readings when reciting. Such consensus is based on not neglecting a certain reading or narration, nor rejoining one sect with another without a reason.

All praise be to Allah, Lord of the worlds.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على محمد ﷺ، وجعله خاتما للكتب السماوية، وتكفل سبحانه بحفظه. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وعن عياض بن حمار^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نحلته عبداً حلال... وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان.. الحديث»^(٢).

وكان من لوازم هذا الحفظ اهتمام النبي ﷺ بتلقين الصحابة ﷺ القرآن الكريم، وتعليمهم حروفه وقراءاته، وحثهم على حفظ القرآن وتعلمه وفق منهج ارتضاه لهم. وكان ﷺ يُثني على القراء المتقنين، ويحث على الأخذ عنهم، والالتزام بمسلكهم في الأداء. فقد ثبت عنه ﷺ قوله: «أقرؤهم أبي»^(٣)، وقوله:

١- عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال التميمي المجاشعي، كان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً، وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله ﷺ؛ لأنه كان من الجملة الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسي. وهو صحابي جليل وسكن البصرة. ينظر: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، (١٣٢٨هـ): (٣/ ١٢٩)، وابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، (١٣٢٨هـ): (٣/ ٤٧).

٢- أخرجه مسلم بن الحجاج: في الصحيح، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت): (٤/ ٢١٩٧) كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرفها بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأحمد الشيباني: المسند، بيروت، المكتب الإسلامي، (د.ت): (٤/ ١٦٢)، والبيهقي: السنن الكبرى، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط ١، (١٣٤٦هـ): (٩/ ٢٠)، والطيالسي: المسند، الهند، مطبعة دار المعارف النظامية، (١٣٢١هـ): (١/ ١٤٥).

٣- رواه الترمذي: الجامع، عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، مطبعة المدني، (١٣٨٤هـ): (٥/ ٦٦٤) برقم ٣٧٩٠، وقال: "حسن غريب" أ.هـ.

«من أَحَبَّ أن يقرأ القرآنَ غضاً - وفي رواية رطباً- كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد»^(٤).

فكان في ذلك تأسيس لطرق تلقي القرآن الكريم وقراءاته، فلا يُؤخذ القرآن الكريم، ولا تتعلم قراءاته وحروفه إلا وفق ما ارتضاه علماء القراءات وأئمة أهل الأداء.

وقد رغبت في هذا البحث بتناول مناهج القراء في عرض القراءات القرآنية وتعلمها.

أهمية البحث:

١- معرفة مناهج القراء وجهودهم، وأهل الأداء في عرض القراءات القرآنية وتلقيها.

٢- الحاجة الملحة إلى الوقوف على طرق القراء ومسالكهم في عرض القراءات القرآنية وتلقيها، والالتزام بها؛ فإن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول.

أهداف البحث:

- ١- التعرف إلى نشأة أفراد القراءات وجمعها مع بيان حكم كل منهج.
- ٢- الوقوف على كفايات جمع القراءات وإفرادها، وما عليه العمل من هذه الكفايات في الوقت الحاضر.
- ٣- التعرف إلى مناهج القراء وجهودهم، وأهل الأداء في عرض القراءات القرآنية وتلقيها.

٤- أخرجه أحمد في مسنده: (٢٧٨/٤)، أحمد النسائي: سنن النسائي الكبرى، حسن شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م: (٥/٧١) برقم ٨٢٥٦، وابن ماجه: السنن، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت): (١/٤٩)، وابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، محمد الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، (١٣٩٥هـ): (٢/١٨٦).

مصطلحات البحث:

القراءة: ما اتفق عليه الرواة عن أحد القراء السبعة أو العشرة، وجمعها قراءات.^(٥)

الرواية: الخلاف المنسوب لأحد الآخذين عن القراء السبعة أو العشرة، ولو بواسطة؛ كرواية ورش عن نافع، ورواية حفص عن عاصم، وجمعها روايات.^(٦)

الطريق: الخلاف المنسوب لمن أخذ عن الرواة عن الأئمة وإن سفل، كطريق الأزرق عن ورش عن نافع، وكذا يُقال رواية ورش من طريق الشاطبية، وجمعها طرق.^(٧)

الأداء: تأدية القراء القراءة إلينا بالنقل عن قبلهم، فقراءة القرآن وروايته على المشايخ بعد الأخذ عنهم، والعرض على الشيخ، وتلقين الشيخ طلبته القرآن وروايته، كل ذلك من هذا الباب. وأئمة الأداء هم علماء القراءات.^(٨)

حدود البحث: يقتصر هذا البحث على الدراسة النظرية لطرق جمع القراءات القرآنية وإفرادها تلاوة في المجلس الواحد.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي، بتتبع مناهج العلماء وطرقهم في

- ٥- ينظر: إبراهيم الدوسري: مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م. ص ٩٦، وعبد العلي المسئول: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام، ط ١، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م): ص ٢٦٩.
- ٦- ينظر: الدوسري، مختصر العبارات: ص ٦٩، وعبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ٢٢٢.
- ٧- ينظر: الدوسري، مختصر العبارات: ص ٨١، وعبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ٢٤٥.
- ٨- ينظر: الدوسري، مختصر العبارات: ص ١٨، وعبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ٤٩.

عرض القراءات القرآنية، وتطور تلك الطرق .

الدراسات السابقة:

تنقسم الدراسات السابقة التي تناولت موضوع جمع القراءات إلى قسمين: منها ما تناول الجانب النظري لجمع القراءات، ومنها ما تناول الجانب التطبيقي. وسأقتصر في هذا البحث على ذكر الدراسات التي تناولت الجانب النظري.

يمكن تقسيم الدراسات النظرية في جمع القراءات وإفرادها إلى:

- أ- دراسات تناولت جانباً من جوانب جمع القراءات، ومنها:
 - ١- تحفة المقرئين والقارئ في بيان حكم جمع القراءات في كلام رب العالمين لإبراهيم بن أحمد المراغني .
 - ٢- الآيات البيّنات في حكم جمع القراءات لمحمد بن علي الحسيني المشهور بالحداد، وكتاب هدية القراء والمقرئين لخليل محمد غنيم الجنائني .
 - ٣- جوهر الفرد المصون في جمع الأوجه من الضحى إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لأبي العزائم سلطان بن أحمد المزاحي .

ومثل هذه الدراسات اقتصرت على تناول جانب واحد من جوانب جمع القراءات، أما هذه الدراسة فحاولت فيها الإمام بجميع جوانب أفراد القراءات وجمعها.

دراسات تناولت موضوع جمع القراءات بصورة عامة، وكثير من هذه الدراسة مازال مخطوطاً، فمن هذه المؤلفات:

- ١- ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء لأبي الحسن علي بن سليمان

الأنصاري القرطبي (٧٣٠هـ).^(٩) وقد تناول فيه مؤلفه بيان قواعد الأداء، وما يجب مراعاته في القراءة حالة الجمع بين الروايات، وقد بناه على باين: الباب الأول: باب ترتيب الأداء وما يتعلق به من أحكام التلاوة: تناول فيه أحكام التلاوة، وقواعد الأداء، من وجوب التزام التجويد، والاعتناء بمخارج الحروف وصفاتها.

الباب الثاني: باب بيان الجمع بين القراءات وما يحذر فيه من الإخلال باللفظ والمعنى، خلط الروايات: بين فيه قصد الجمع الذي هو الاختصار، ثم بين كيفية جمع القراءات في الجمع الكبير، وجعله على شكل أمثلة، يسوق الآية، ويبين كيفية قراءتها لكل قارئ حتى يأتي على السبع.

٢- نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للجامع لأبي العلاء إدريس بن محمد المنجرة الحسني (ت: ١١٣٧هـ).

٣- قانون الجمع والإرداف لأبي عبد الله بن محمد ابن القاسم الزفري السيرفي (ت: ١٢١٣هـ).

٤- التوضيح والانكشاف في حل قانون الجمع والإرداف لأبي العباس أحمد بن المكي السماتي (توفي في أوائل القرن الرابع عشر).

• ومن الدراسات الحديثة:

أ- الجمع بالقراءات المتواترة للدكتور فتحي العبيدي.

ب- جمع القراءات القرآنية وقواعده وضوابطه لعمر مالم أبه المراطي.

٩- طبع الكتاب ضمن إصدارات مركز أبي عمرو الداني للدراسات القرآنية المتخصصة، بتحقيق الباحث: عبد الله بن محمد اكيك.

خطة البحث:

المقدمة، وتتضمن: [أهمية البحث وإشكاليته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة].

المبحث الأول: أفراد القراءات.

المطلب الأول: معنى أفراد القراءات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نشأة أفراد القراءات، وأهميته.

المطلب الثالث: كيفية أفراد القراءات.

المبحث الثاني: جمع القراءات.

المطلب الأول: معنى جمع القراءات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نشأة جمع القراءات، وفائدته.

المطلب الثالث: التأليف في جمع القراءات.

المطلب الرابع: حكم جمع القراءات.

المطلب الخامس: شروط جمع القراءات، وضوابطه.

المطلب السادس: كيفية جمع القراءات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: إفراد القراءات

المطلب الأول: معنى إفراد القراءات لغة واصطلاحاً:

الإفراد لغة: مصدر من أَفْرَدَ الشَّيْءَ: أَي عَزَلَهُ وَحَدَّهُ، وَنَحَّاهُ، وَمَيَّزَهُ. والفرد الوتر. يقال: أَفْرَدَ يُفْرِدُ، إِفْرَادًا، فَهُوَ مُفْرِدٌ، والمفعول مُفْرَدٌ للمتعدي. والجمع أَفْرَادٌ وَفُرَادَى. فالإفراد: التوحيد. وَأَفْرَدَ بِالْأَمْرِ: كَانَ فِيهِ وَاحِدًا لَا نَظِيرَ لَهُ. وَأَفْرَدَ إِلَيْهِ رَسُولًا: جَهَّزَهُ، وَهَيَّأَهُ. وَأَفْرَدَتْ أَنْثَى الْحَيَوَانَ: وَضَعَتْ وَلَدًا وَاحِدًا، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي النَّاقَةِ، لِأَنَّهَا لَا تَلِدُ إِلَّا وَاحِدًا.^(١٠)

وفي الاصطلاح عرّفه عمر المراطي^(١١) ب: أن يفرد القارئ كل قراءة بروايتها أو رواياتها بما فيها من الأوجه دون جمعها مع قراءة أخرى، سواء أقرأ بذلك ختمة كاملة أم بعض الآيات فقط. وأيضا يُطلق الإفراد على القراءة برواية واحدة دون أن تُجَمَعَ إليها رواية أخرى في الختمة الواحدة.^(١٢)

وعرّف بأنه: القراءة برواية واحدة دون أن تُجَمَعَ إليها رواية أخرى في الختمة الواحدة.^(١٣)

وقيّده محمد حوا ب: أن يقرأ التلميذ على شيخه ختمة لكل راو أو لكل

١٠- ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، (١٩٩٠م): ص ٥١٨، وأحمد بن فارس: مقاييس اللغة، نخ عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٩ - ١٩٧٩): (٤/ ٥٠٠)، وابن منظور: لسان العرب، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م): (٤/ ٣٢٧) مادة: (ف.ر.د).

١١- هو: عمر مالم أبه بن حسن المراطي، حقق كثيرا من كتب القراءات، من هذه الكتب كتاب الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات للشيخ عبد الفتاح هنيدي، وله كتاب [جمع القراءات القرآنية قواعده وضوابطه]، ولم أستطع الحصول عليه.

١٢- ينظر: عبد الفتاح هنيدي: الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات النقلية، طنطا، دار الصحابة للتراث، (د.ت.): ص ١٠

١٣- ينظر: الدوسري: مختصر العبارات: ص ٢٩، وعبد العلي المسئول: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ص ٩٢، ومحمد مطيع: القراءات وكبار القراء في دمشق من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر، دمشق، دار الفكر، ط ١، (٢٠٠٣م): ص ٢٦٩.

قارئ، وهكذا حتى يتم القراءات العشر. (١٤)

فمصطلح الأفراد عند القراء يطلق على ثلاثة معانٍ:

١- إفراد قراءة أحد القراء العشرة برواتهم المشهورين بختمة مستقلة، كالقراءة بقراءة نافع كاملة متضمنة روايتيَّ قالون وورش، وكالقراءة بقراءة عاصم كاملة متضمنة روايتيَّ حفص وشعبة. (١٥)

٢- إفراد رواية أحد الرواة عن القراء العشرة بختمة مستقلة، كالقراءة برواية ورش كاملة، وكالقراءة برواية حفص كاملة.

٣- إفراد القراءة بطريق من طرق أحد الرواة بختمة مستقلة، كالقراءة برواية ورش من طريق الأزرق، أو من طريق الشاطبية، أو من طريق الأصبهاني، وهكذا. (١٦)

قال ابن الناظم: «جرت عادة أئمة القراءة أن يأخذوا على طالب هذا العلم... بإفراد كل قراءة في ختمة بل كثير منهم يأخذ بإفراد رواية بل بكل طريق، ومن وقف على تراجم المتقدمين رأى إجازاتهم على حقيقة ذلك». أ. هـ. (١٧)

١٤- ينظر: محمد حوا، المدخل إلى علم القراءات: ص ٤٢، ود. عبد العزيز المزيني: مباحث في علم القراءات، الرياض، دار كنوز إشبيلية، ط ١، (١٤٣١هـ): ص ١٤٥.

١٥- ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، (١٤٠٢هـ): (١/ ١١٢).

١٦- عدّ الدكتور فتحي العبيدي من مصطلحات الأفراد، التلاوة بوجه واحد من أوجه الرواية الواحدة، وفي هذا تجوّز فخلاف الأوجه على سبيل التخيير؛ وبأي وجه أتى القارئ أجزاءً في تلك الرواية، ولا يكون إخلالاً بشيء منها، مع أن القارئ يلزمه تعلّم تلك الأوجه وإتقانها. وأما خلاف القراءات والروايات والطرق فهو من الخلاف الواجب، وقد يُطلق على خلاف الطرق أوجهها. ينظر: د. فتحي العبيدي: الجمع بالقراءات المتواترة، بيروت، دار ابن حزم، ط ٢، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م): ص ١٣٣، وابن الجزري: النشر في القراءات العشر، علي الضبّاع، بيروت، دار الكتب العلمية، (د-ت): (٢/ ٢٠١).

١٧- ابن الناظم: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، علي الضبّاع، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م): ص ١٦٣-١٦٤، وينظر: ابن الجزري، غاية النهاية: (١/ ١٤٢).

المطلب الثاني: نشأة أفراد القراءات، وأهميته:

الأصل في تلقي القراءات والروايات هو أفرادها، فهو المنهج الذي تلقى به الصحابة رضي الله عنهم القرآن بحروفه وقراءاته عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي سار عليه السلف والقراء الأوائل، واعتمده في تعليم القرآن الكريم وإقراءه. قال التبريزي في شرحه القصيدة الطاهرة: «جرت عادة أهل القراءات أن يأخذوا على طالب هذا العلم أولاً بعد شروعه في حفظ كتاب من كتب القراءة بإفراد كل قراءة في ختمة؛ بل كان كثير منهم يأخذ بإفراد كل رواية رواية، بل لكل طريق طريق». أ. هـ. (١٨) وقد ثبت في أحاديث اختلاف بعض الصحابة رضي الله عنهم في القراءة واحتكامهم للنبي صلى الله عليه وسلم (١٩) أن كل واحد من الصحابة المختلفين قرأ بحرف غير الذي قرأ به صاحبه، ولم يكن يعرف الحرف الذي قرأ به صاحبه، فدل على أن قراءاتهم كانت بإفراد القراءات، ولا يمنع ذلك أن يكون هناك من جمع القرآن على حروف وقراءات متعددة، إلا أنه لم يثبت بأثر صريح إقراء النبي صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة القرآن الكريم بحروف مختلفة في مجلس واحد، (٢٠) بل كان من منهج السلف رحمهم الله تعالى

١٨ - ينظر: د. سالم الزهراني: القصيدة الطاهرة في القراءات العشر لطاهر بن عرب "عرض ودراسة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، العدد الحادي عشر: ص ٢٣١.

١٩ - منها ما وقع لعمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، ومنها ما وقع لأبي بن كعب مع ابن مسعود في سورة النحل، وما وقع لابن مسعود مع رجل في سورة الأحقاف، وما وقع لعمر بن العاص مع رجل في آية - رضي الله عنهم جميعاً - . أخرج هذه الأحاديث البخاري، الصحيح: ص ١٠٨٧، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم، الصحيح: (١ / ٥٦٠)، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وأبو عبيد، فضائل القرآن (٢ / ١٦٤-١٦٧)، وأحمد، المسند (٥ / ١٢٤-١٢٧)، والنسائي، السنن (٢ / ١٥٣)، باب جامع ما جاء في القرآن، والحاكم: المستدرک (٢ / ٢٢٣)، وعلاء الدين الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢ / ٥٩ - وما بعدها).

٢٠ - قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أبي أقرؤنا، وإنا لندع من لحن أبي، وأبي يقول: أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء، قال الله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦] يدل على أن أياً رضي الله عنه تلقى أحرفاً وقراءات كثيرة من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم أجد نصاً في كيفية هذا التلقي. والحديث أخرجه البخاري، الصحيح ص ١٠٨٩، كتاب فضائل القرآن، باب القراءات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تكرار الختمة بقراءة واحدة أكثر من مرة، فكانوا يكثرون من الختم على الشيوخ. قال ابن مجاهد: «فأما قراءة نافع بن أبي نعيم فإني قرأت بها على عبد الرحمن بن عبدوس من أول القرآن إلى خاتمته نحو من عشرين مرة»^(٢١) أ. هـ.

وختم أبو الحسن عبد الغني الحصري القراءات على شيخه أبي البكر القصري في تسعين ختمة وذلك في عشر سنوات.^(٢٢)

قال ابن الجزري: «وقد كانوا في الحرص والطلب بحيث إنهم يقرؤون بالرواية الواحدة على الشيخ الواحد عدة ختمات لا ينتقلون إلى غيرها... وكانوا يقرؤون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية إلى غيرها، وهذا الذي كان عليه الصدر الأول، ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة.»^(٢٣) أ. هـ.

فإفراد القراءات والروايات طريقة متقدمي السلف، وظل هو المنهج السائد والمعمول به عند المقرئين كافة، ولا يقرأ بغيره؛ لعظم هممهم، ومبالغتهم في الإكثار من هذا العلم، واستيعاب رواياته، بل بلغ الأمر بهم إلى قراءة القرآن الكريم بالرواية الواحدة على الشيخ الواحد عدة ختمات لا ينتقلون إلى غيرها حرصاً منهم على الإتيان، ودقة الضبط، حتى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس، الذي ظهر فيه جمع القراءات، على أن أفراد القراءات بقي هو الأصل والمعتمد في الإقراء.

فالقراءة بطريقة الأفراد أولى وأجدى وأنفع، وطالب علم القراءات المبتدئ يلزمه أن يفرد على الأقل ثلاث قراءات لكي يرسخ مفهوم القراءات في ذهنه،

٢١- ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، شوقي صيف، القاهرة، دار المعارف، ط٢، (١٤٠٠هـ): ص٨٨.

٢٢- ينظر: ابن الجزري، النشر: (٢ / ١٩٤). وأبو الحسن هو: علي بن عبد الغني أبو الحسن الفهري القيرواني المعروف بالحصري من أئمة القراءات (ت: ٤٨٨هـ)، وأبو بكر هو: عتيق بن أحمد بن إسحاق التميمي القصري مقرئ امام (ت: ٤٤٧هـ). ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية: (٢ / ١٨٥)

٢٣- ابن الجزري، النشر: (٢ / ١٩٥).

ويسهل عليه إتقان جمع القراءات. وكثير من شيوخ الإقراء يشترطون القراءة بالإفراد لمن رغب بجمع القراءات.^(٢٤)

المطلب الثالث: كيفية إفراد القراءات:

الأصل في كيفية إفراد القراءات القراءة لكل راوٍ من رواة القراء العشرة بختمة كاملة لا تجمع رواية إلى غيرها، ثم ختمة كاملة للقارئ الذي أخذ عنه الراويان المفرد لهما، فتفرد مثلاً رواية قالون بختمة كاملة، ثم رواية ورش بختمة كاملة، ثم قراءة نافع براوييه بختمة كاملة؛ فيفرد للقراء السبعة في إحدى وعشرين ختمة، وللقراء العشرة في ثلاثين ختمة.^(٢٥)

يقول الإمام ابن الجزري في طيبته^(٢٦):

وَقَدْ جَرَى مِنْ عَادَةِ الْأَيْمَةِ إِفْرَادُ كُلِّ قَارِيٍّ بِخِتْمِهِ
حَتَّى يُؤْهَلُوا لِجَمْعِ الْجَمْعِ بِالْعَشْرِ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ بِالسَّبْعِ

وقد جوز بعض أهل الأداء للقارئ أن يفرد لكل قارئ من السبعة بختمة كاملة إلا نافعاً وحمزة، فلا بد لكل منهما من ثلاث ختمات، ختمة لقالون عن نافع، وختمة لورش عن نافع، ثم ختمة لنافع من روايته، وهكذا حمزة: ختمة لخلف، وختمة لخلاّد، ثم ختمة لحمزة من روايته؛ وذلك أن الخلاف بين روايتي قالون وورش، وخلف وخلاّد كثير فأفردت لكل راوٍ ختمة.

٢٤ - ينظر: ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، علي العمران، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ط١، (١٤١٩هـ): ص٧٢، والجرمي: معجم علوم القرآن (علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات)، دمشق، دار القلم، ط١، (١٤٢٢ - ٢٠٠١هـ): ص٤١.

٢٥ - ينظر: عبد العزيز القارئ: سنن القراء ومناهج المجودين، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، (١٤١٤هـ): ص٤٠.

٢٦ - ينظر: النويري: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، جمال الدين شرف، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م): (٢/١٣٣).

قال السيوطي: «ولم يكونوا يسمحون به -أي جمع القراءات- إلا لمن أفرد القراءات وأتقن طرقها، وقرأ لكل قارئٍ بختمة على حدة، بل إذا كان للشيخ راويان قرؤوا لكل راوٍ بختمة، ثم يجمعون له وهكذا. وتساهل قوم فسمحوا أن يقرأ لكل قارئٍ من السبعة بختمة سوى نافع وحمزة، فإنهم كانوا يأخذون ختمة لقالون، ثم ختمة لورش، ثم ختمة لخلف، ثم ختمة لخلاّد» أ. هـ. (٢٧)

المبحث الثاني: جمع القراءات

المطلب الأول: معنى جمع القراءات لغة واصطلاحاً:

الجمع لغة: مصدر من جَمَعَ الشيءَ إذا ضمّه عن تفرّقه. يقال: يَجْمَعُهُ جَمْعاً وِجْمَعَهُ وأَجْمَعَهُ فاجتمع، والجَمْعُ: تَأْلِيفُ الْمُتَفَرِّقِ. يُقَالُ: جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ. واجتمع السيلُ أتى من كل موضع، وجمعتُ الشيءَ إذا جئت به من هنا وهناك، وتجمّع القوم اجتمعوا أيضاً من هنا وهناك. (٢٨)

ويطلق قراء المغرب على جمع القراءات الإرداف؛ لأن القارئ يتبع الوجه تلو الوجه أثناء الجمع. (٢٩)

والإرداف في اللغة هو: مصدر من أَرَدَفَ، والإرداف التتابع والتوالي. يقال: أَرَدَفَ يَرْدِفُ إِرْدَافاً فهو مُرْدِفٌ ومُرْدَفٌ. وَأَرْدَفَ فلاناً: جاء بعده، وَرْدِفَ صَاحِبَهُ: رَكِبَ خَلْفَهُ، وأردفه الأمر: دهمه، وفاجأه. (٣٠)

٢٧- السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م): (٢/٦٤٧)، وينظر: ابن الجزري، النشر: (٢/١٩٤)، والنويري، شرح طيبة النشر: (٣/٢٤٦).

٢٨- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (١/٤٧٩)، والجوهري، الصحاح: ص ١٩٩، وابن منظور، لسان العرب: (٩/٤٠٣) مادة: (ج.م.ع)

٢٩- ينظر: سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (١٤١٠هـ): ص ٦٥، وعبد العلي المسؤل، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ٦٦.

٣٠- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (٢/٥٠٣)، والجوهري، الصحاح: ص ٤٣٧، وابن منظور، لسان العرب: (١١/١٣) مادة: (ر.د.ف)

وأما في الاصطلاح:

عُرِّف جمع القراءات وإردافها ب: أن يقرأ القارئ المقطع القرآني^(٣١) بقراءاته المختلفة، فإذا انتهى منه انتقل إلى مقطع آخر.^(٣٢)

وقيل هو: القراءة بأكثر من رواية في ختمة واحدة.^(٣٣)

وعرّفه الشيخ عبد الفتاح هنيدي بأنه: تكرار أبعاض القرآن؛ لاستيفاء مذاهب القراء، ولو مع غيره من التدبر والتذكر، بشروطه من مراعاة الوقف والابتداء وحسن الأداء وعدم التركيب.^(٣٤)

وعرّفه د. عبد العزيز القارئ بقوله: «أن تقرأ الآية وتعيد موضع الاختلاف؛ فتقرأ جميع ما فيه من أوجه منزلة، إما بأن تعيد من أول الآية في كل وجه أو تعيد موضع الاختلاف فقط.» أ. هـ.^(٣٥)

وقيّده د. العبيدي بقوله: «أن يجمع القارئ بين روايتين أو قراءتين متواترتين فأكثر لأحد القراء السبعة أو العشرة المشهورين، حسب مذهب معين من مذاهب العلماء في كيفية الجمع، وفي نطاق مرتبة محددة من مراتبه، بتلاوة جزء من آية أو آية فأكثر من القرآن في مجلس واحد وضمن ختمة واحدة.» أ. هـ.^(٣٦)

يطلق جمع القراءات على دلالات عدّة، هي^(٣٧):

٣١- المقطع القرآني هو: الجزء من الآية الذي يحسن الوقوف عليه. ينظر: عبد العلي المسؤل، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ٣١٤.

٣٢- ينظر: المزيني، المدخل لعلم القراءات: ص ٤١، وسعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص ٦٥، وعبد العلي المسؤل، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ١٦٣.

٣٣- ينظر: الدوسري، مختصر العبارات: ص ٥٣.

٣٤- ينظر: عبد الفتاح هنيدي، الأدلة العقلية: ص ٤٤.

٣٥- عبد العزيز القارئ، سنن القراء: ص ٣٦.

٣٦- العبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ١٣١.

٣٧- وسماها المراطي في مقدمته لكتاب الأدلة العقلية: ص ٣٣ بمراتب جمع القراءات القرآنية.

١- الجمع بين الروایتين المنسوبتين لأحد القراء، كالجمع بين رواية قالون وورش في ختمة واحدة، والجمع بين رواية حفص وشعبة في ختمة واحدة.^(٣٨) وقد يُسمى ذلك إفراد قراءة، فجمع روايتي قالون وورش، يطلق عليه أيضا إفراد قراءة نافع، وكلاهما إطلاق صحيح.

٢- الجمع بين قراءة قارئین أو أكثر دون السبعة، كالجمع بين قراءة ابن كثير وقراءة أبي عمرو البصري، أو الجمع بين قراءة أهل سما (نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري)^(٣٩)، ويسمى هذا الأخير عند بعض المشاركة الجمع الصغير أو جمع الجمع الصغير.^(٤٠)

٣- الجمع بين قراءات القراء السبعة أو العشرة في ختمة واحدة^(٤١)، وهو الإطلاق المشهور. وسماه ابن الجزري بجمع الجمع^(٤٢)، لأن دونه جمع أقل منه.

٤- الجمع الصغير: وهو الجمع لنافع من طرقه العشر عند قراء المغرب.^(٤٣) أما عند المشاركة فيُطلق بعضهم الجمع الصغير على الجمع بالقراءات الذي

٣٨- ينظر: العبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ١٣٤، ص ٣٠٦.

٣٩- ينظر: د. عبد الهادي حميتو: قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، (١٤١٩هـ-١٩٨٩م): (٤ / ٥٩) وسعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص ٥٩، ١٤٥.

٤٠- هناك مؤلف في هذا الجمع هو (الجمع الصغير لأهل (سما): نافع المدني وابن كثير المكي وأبي عمرو البصري) لأحمد بن زكي القيسي. ومثل هذا النوع من الجمع يُقرب به بعض المشايخ من أراد جمع السبع أو العشر ليترقى الطالب في تعلم طريقة الجمع.

٤١- ينظر مثلا: ابن الجزري، غاية النهاية: (١ / ٢٩، ٣٥، ٤٩، ٥٥، ٩٩)

٤٢- في قوله في طبيته: (حتى يؤهلوا لجمع الجمع ××× بالعشر أو أكثر أو بالسبع)، وينظر: ابن الناظم، شرح الطيبة: ص ١٩٩، والعبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ٣١٤.

٤٣- هذه الطرق هي: طريق الأزرق عن ورش، وطريق أبي الأزهر عن ورش، وطريق الأصهباني عن ورش، وطريق أبي نسيب عن قالون، وطريق الحلواني عن قالون، وطريق أبي إسحاق الأزدي عن قالون، وطريق أبي عبد الله المسيبي عن أبيه، وطريق ابن سعدان عن المسيبي، وطريق ابن فرح عن إسماعيل بن جعفر، وطريق أبي الزعراء عن إسماعيل بن جعفر. ينظر: سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص ٧٦، والعبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ٣١٦.

يستوفي فيه القارئ الجامع أقل من سبع قراءات، مثل الجمع بـ (سما) قراءة نافع والمكي والبصري.^(٤٤)

٥- الجمع الكبير: وهو جمع القراءات العشر عند قراء المغرب.^(٤٥)

المطلب الثاني: نشأة جمع القراءات، وفائدته:

أولاً: نشأة جمع القراءات: كانت بداية ظهور جمع القراءات في القرن الرابع الهجري تقريباً. قال ابن الجزري: «ظهر لي أن الإقراء بالجمع ظهر من حدود الأربع مئة وهلمَّ جرّاً، وتلقاه الناس بالقبول، وقرأ به العلماء وغيرهم.» أ. ه.^(٤٦) ولم يستطع الباحثون تحديد أول من قرأ بالجمع إلا أن بعض الباحثين ذكر أن أول من ابتكروا طريقة الجمع هم قراء المغرب والأندلس.^(٤٧)

ويعود سبب ظهوره لضعف الهمم وقلة العزائم في طلب علم القراءات، فخشية من اندراس هذا العلم أذن علماء القراءة بجمع القراءات.^(٤٨)

وتلقى جمهور الأئمة والعلماء جمع القراءات بالقبول^(٤٩) إلا أنهم لم يسمحوا به إلا لمن أفرد القراءات وأتقن معرفة الطرق والروايات وقرأ لكل قارئ ختمة منفردة، وتجاوزوا عن هذا الشرط للقارئ المتمكن الضابط للقراءات بأخذها على شيخ معتبر. قال ابن الجزري: «ولم يكن أحد من الشيوخ يسمح

٤٤- ينظر: العبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ٣١٥.

٤٥- ينظر: حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٣/ ٥٣٦).

٤٦- ابن الجزري، منجد المقرئين: ص ٧٢. وقد حاول الدكتور فتحي العبيدي تحديد وقت ظهور كينيات جمع القراءات، فجعل الجمع بالحرف هو أقدم أنواع جمع القراءات، تلاه بعد ذلك الجمع بالوقف وبقية أنواع الجمع. ينظر: العبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ١٥٥ وما بعدها.

٤٧- ينظر: سعيد أعراب، القراء والقراءات في المغرب: (٢/ ١٤٨). وقد ذكر ابن الجزري أن الإمام أحمد بن مهران (ت: ٣٨١هـ) ممن أقرأ بالجمع وهو من علماء وقراء أصبهان؛ فعلى هذا فمسألة أول من ابتكر جمع القراءات تحتاج لمزيد تحرير، والعلم عند الله. ينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين: ص ٧٣.

٤٨- ينظر: ابن الجزري، النشر: (٢/ ١٩٥).

٤٩- ينظر: المرجع نفسه، (٢/ ١٩٥).

به إلا لمن أفرد القراءات وأتقن معرفة الطرق والروايات، وقرأ لكل قارئ ختمة على حدة، ولم يسمح أحد بقراءة قارئ من الأئمة السبعة، أو العشرة في ختمة واحدة فيما أحسب إلا في هذه الأعصار المتأخرة... وكان الذين يتساهلون في الأخذ يسمحون أن يقرؤوا لكل قارئ من السبعة بختمة سوى نافع وحمزة فإنهم كانوا يأخذون ختمة لقالون ثم ختمة لورش، ثم ختمة لخلف ثم ختمة لخلاّد، ولا يسمح أحد بالجمع إلا بعد ذلك» أ. هـ.^(٥٠)

ثانياً: فائدة جمع القراءات: فائدة جمع القراءات هي الاختصار، فقد تمّ استحداث هذا المنهج في الإقراء ليتلقى القراءات الراغب في القراءة على الأئمة في وقت أقل مما لو قرأ بالإفراد مع تمام الضبط وحسن الأداء. قال أبو الحسن الأنصاري: «اعلم أن ثمرة الجمع بين القراءات إنما هي الاختصار، وعدم التكرار لغير موجب، وأما التكرار لموجب فلا بد منه لاختلاف الروايات» أ. هـ.^(٥١)

المطلب الثالث: التأليف في جمع القراءات:

تناول بعض علماء القراءات جمع القراءات في فصل خاص في ثنايا مصنفاتهم في القراءات، ومن أوائل من تكلم عن جمع القراءات والإرداف الإمام عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي (ت: ٦٣٦هـ) في كتابه الإعلان؛ فقد عقد فصلاً كاملاً لجمع قراءات كل إمام، جمع له من روايته المشهورتين، ثم عقد فصلاً آخر لجمع القراءات السبع، كما أفرد له الإمام ابن الجزري في كتابه النشر فصلاً كاملاً^(٥٢).

٥٠- المرجع السابق: (٢ / ١٩٥).

٥١- أبو الحسن الأنصاري، ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء، عبد الله بن محمد اكيك، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط ١، (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م): ص ١٧٣.

٥٢- ينظر: ابن الجزري، النشر: (٢ / ١٩٤)، والنويري، شرح الطيبة: (٣ / ٢٤٥)، وعبد الفتاح هنيدي، الأدلة العقلية: ص ١٥.

وأما أفراد جمع القراءات بمصنف خاص، فقد انقسمت مناهج التأليف فيه إلى منهجين:

الأول: مؤلفات تناولت الجانب النظري لجمع القراءات:

ومن أقدم المؤلفات فيه كتاب «الاستدلال على رفع الإشكال، في جمع القراءات، وتبيين المعاني المبهمات»، لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القيسي البسطي الأندلسي.^(٥٣) ومن أشهر المؤلفات:

- ١- كتاب ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء، لسليمان الأنصاري القرطبي (ت: ٧٣٠هـ)، وهذا الكتاب من أقدم ما وصل إلينا. وهو مطبوع.
- ٢- كتاب نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء الجامع، لأبي العلاء إدريس بن محمد الحسني المعروف بالمنجرة (ت: ١١٣٧هـ). وهو مخطوط.
- ٣- كتاب قانون الجمع والإرداف لأبي عبد الله محمد بن القاسم الزفري الحسني (١٢١٤هـ). وهو مخطوط.

ومن الدراسات الحديثة:

- ١- كتاب الجمع بالقراءات القرآنية للدكتور فتحي العبيدي.
 - ٢- كتاب جمع القراءات القرآنية قواعده وضوابطه لعمر مالم أبه الرماطي.
- ومن الملاحظ أن أكثر من ألف في هذا الجانب علماء المغرب والأندلس. وهناك مؤلفات اهتمت ببيان جانب واحد من جوانب جمع القراءات منها:

٥٣- كان حيا سنة ٥٥٤هـ. وينظر: حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٣/ ٥٥١)، وسعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص ٦٥، ووليد الزبيدي وآخرون، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، بيروت، مكتبة لسان العرب، ط ١، (١٤٢٤-٢٠٠٣هـ): ص ١٦١٨.

- ١- كتاب تحفة المقرئين في بيان حكم جمع القراءات في كلام رب العالمين، لإبراهيم بن أحمد المارغني التونسي (ت: ١٣٤٩هـ).
- ٢- كتاب الآيات البينات في حكم جمع القراءات، لشيخ المقارئ المصرية محمد بن علي بن خلف الحسيني المشهور بالحداد.
- ٣- كتاب هدية القراء والمقرئين في جواز القراءة بجمع روايات الكتاب المبين، للشيخ خليل بن محمد بن غنيم، الجنايني (ت: ١٣٤٦هـ).
- ٤- كتاب الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات النقلية، للشيخ عبد الفتاح بن هنيدي بن أبي المجد (ت: ١٣٦٩هـ).
- ٥- جوهر الفرد المصون في جمع الأوجه من الضحى إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لأبي العزائم سلطان بن أحمد المزاحي.^(٥٤)

الثاني: مؤلفات تناولت الجانب التطبيقي العلمي لجمع القراءات:

ومن الملاحظ أن المعاصرين هم من اهتم بهذا الجانب، فمن المؤلفات:

- ١- كتاب فريدة الدهر في جمع وتأصيل القراءات العشر للشيخ محمد إبراهيم محمد سالم، والكتاب في جمع القراءات العشر من طريق الطيبة، وللمؤلف كتاب آخر في جمع القراءات من طريق الشاطبية هو التحفة المرضية من طريق الشاطبية.
- ٢- كتاب المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية للدكتور خالد بن محمد الحافظ العلمي.

٥٤- ينظر: السيد أحمد عبد الرحيم: قياسات نورانية من مدرسة الإقراء المصرية (حول ملامحها في القرن الرابع عشر الهجري)، نشر ضمن بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي، جامعة الملك سعود، الرياض، (١/٣-١/١٤٣٥هـ): ص ٣٨٩.

٣- كتاب النفحات العاطرة في جمع القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد حسام سبسي.

٤- كتاب البسط في القراءات العشر للأستاذة سمر العشا.

المطلب الرابع: حكم جمع القراءات:

لجمع القراءات حال التلاوة ثلاث حالات^(٥٥):

الحالة الأولى: جمع القراءات حال التعليم والتلقي: وهي أقدم حالات الجمع ظهوراً، وقد لقي كراهة من بعض العلماء في بداية ظهوره^(٥٦) فاختلف في حكمه على قولين:

القول الأول: كراهة جمع القراءات في المجلس الواحد والختمة الواحدة، واستدلوا بأدلة منها:

١- جمع القراءات في المجلس الواحد والختمة الواحدة لم يرد عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، وكذا لم يرد عن التابعين ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة.

٢- ما يؤديه جمع القراءات من فساد نظم القرآن الكريم، وصرف القارئ والسماع عن تدبر القرآن الكريم^(٥٧).

٥٥- ينظر: عبد العزيز القارئ، سنن القراء: ص ٤٠، وعبد الفتاح هندي، الأدلة العقلية: ص ١٧.

٥٦- بداية ظهور الجمع كانت للتعليم وتلقي القرآن الكريم، ولم تظهر مسألة الجمع في المحافل وكذا في الصلاة إلا متأخرة عن الحالة الأولى. ينظر: عبد الفتاح هندي، الأدلة العقلية: ص ١٦.

٥٧- ينظر: أبو بكر الحداد: الآيات البيّنات في حكم جمع القراءات، القاهرة، مطبعة المعاهد، (١٣٤٤-١٩٣٤م): ص ٩، ولييب السعيد: التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، (١٩٧٠م): ص ٧٧، وعبد الفتاح هندي، الأدلة العقلية: ص ١٦، وإبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع علي الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع للمارغيني، بيروت، دار الفكر، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م): ص ٢٦٠، وبكر أبو زيد: بدع القراء القديمة والمعاصرة، الطائف، دار الفاروق، ط ١، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م): ص ١٨، والعبدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ١٨٨.

القول الثاني: جواز جمع القراءات حال التعليم والتلقي في المجلس الواحد، وفي الختمة الواحدة، وهو القول المشهور، وتلقاه أئمة القراء بالقبول، فصار الناس يقرؤون به على الشيوخ والعلماء، واستقر العمل عند القراء على قبولها والعمل بها.^(٥٨)

واستدل القائلون بهذا القول بأدلة منها:

١- الأحاديث التي تدل على عرض النبي ﷺ على جبريل عليه السلام القرآن الكريم. يقول الدكتور عبد العزيز القارئ: «حديث المدارس أو عرض القرآن على جبريل يمكن أن يُستنبط منه أصل الجمع، فإن قوله في الحديث: «يعرض القرآن على جبريل مرة...» معناه يختمه ختمة واحدة، ويلزم منه أن يقرأ في هذه الختمة سائر ما أنزل عليه قبلها، ويدخل فيه أحرف القرآن المختلفة» أ. هـ.^(٥٩)

٢- ما في جمع القراءات من حفظ القراءات المتواترة من الاندثار، والتسهيل على طلاب العلم حال القراءة.

الحالة الثانية: جمع القراءات في الصلاة: والمقصود بذلك أن يأتي القارئ بالأوجه والروايات كلها في قراءة وختمة واحدة أثناء الصلاة. واختلف في جواز ذلك على قولين:

القول الأول: منع هذه الحالة؛ لعدم ورودها عن النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، ومعلوم أن العبادات توقيفية، ولما فيها من صرف القارئ عما هو فيه من ذكر وصلاة ودعاء. وهو القول الراجح.

القول الثاني: جواز جمع القراءات في الصلاة؛ لدخوله في عموم الرخصة

٥٨- ينظر: ابن الجزري، النشر: (٢/١٤٨)، والقارئ، سنن القراء: ص ٤٠.

٥٩- القارئ، سنن القراء: ص ٤١، وينظر: العبيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ١٨٥. وإن كان هذا الأمر جائزاً عقلاً إلا أنه لا دليل صريح عليه، ولا أظن أحداً يستطيع الجزم به خصوصاً أن هذا المنهج لم يرد عن الصحابة في الإقراء رغم حرصهم على متابعة النبي في كل شيء.

الواردة في قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] ^(٦٠)

الحالة الثالثة: جمع القراءات في المحافل؛ كما تم والأفراح وغيرها، أو في الإذاعات أمام عامة الناس. واختلف في هذه المسألة أيضاً على قولين:

القول الأول: منع جمع القراءات في المحافل والإذاعات لما فيه من التلبس على الناس، وهي بدعة لم يفعلها سلف الأمة، وإنما ظهرت في العصور المتأخرة. ^(٦١) وهو القول الراجح.

الثاني: جواز الجمع في هذه الحالة؛ لدخوله في عموم الرخصة الواردة في قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].

المطلب الخامس: شروط جمع القراءات، وضوابطه:

أولاً: شروط جمع القراءات: المقصود بالشروط هو ما يلزم توفره من صفات في القارئ المرید جمع القراءات ^(٦٢)، وهي ثمانية شروط استفدتها من كلام أئمة الإقراء والعلماء على جمع القراءات:

الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى: وهو شرط لازم لكل طالب لعلم القراءات وإقراء القرآن الكريم. وقد وردت الأحاديث بالتحذير من طلب القراءة من غير إخلاص، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك

٦٠- ينظر: ابن تيمية: مجموع فتاوى، عبدالرحمن القاسم، مطابع الطوبجي التجارية، (د. ت): (١٣ / ٤٠٤)، وأبو شامة: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م): ص ١٤٢، والقارئ، سنن القراء: ص ٤٠، ومحمد نصر: القول المفيد في وجوب التجويد، الجليل، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في الجليل، ط ٢، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م): ص ٧٠.

٦١- ينظر: المراجع نفسها.

٦٢- عُرِفَ الشرط بأنه: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده. ينظر: علي الجرجاني: التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، (١٤٠٣هـ): ص ١٠٨.

القرآن. قال: كذبت. ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»^(٦٣) قال النووي: «أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥] أي: الملة المستقيمة. وعنه ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» أ. هـ.^(٦٤) ورغم أهمية هذا الشرط ولزومه إلا أنه لا يمكن قياسه، فالإخلاص من الأمور الباطنة التي لا يعلم بها إلا الله تعالى، ولا يستطيع أحد القطع بها؛ ولذا نص كثير من أهل العلم على أنه ليس للمقرئ منع الطالب من القراءة عليه إن شك في إخلاصه. قال النووي: «قال العلماء ﷺ: ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فقد قال سفيان وغيره: طلبهم للعلم نية. وقالوا: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، معناه: كانت عاقبته أن صار لله تعالى» أ. هـ.^(٦٥) وهو شرط عام لكل طالب علم الإقراء.

الشرط الثاني: الأهلية: بأن يكون مسلماً عاقلاً بالغاً.^(٦٦) وهو شرط عام لكل طالب علم الإقراء.

الشرط الثالث: العدالة: المقصود بها السلامة الظاهرة من أسباب الفسق وخوارم المروءة. فالأصل عند القراء قبول مستور الحال، ولا يُكَلَّفُ المقرئ أو

٦٣ - أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم (١٩٠٥)، (١٢٠٢/٣).

٦٤ - النووي: التبيان في آداب حملة القرآن، بشير محمد، الرياض، دار المؤيد، ط١، (د.ت): ص٢٤. وينظر: الصفاقسي: غيث النفع في القراءات السبع، محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٩هـ-١٩٩٩): ص٧. وحديث «إنما الأعمال بالنيات» أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي: (٢/١)، برقم (١).

٦٥ - النووي، التبيان في آداب حملة القرآن: ص٣٤، وينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين: ٦٣، والصفاقسي، غيث النفع: ص١٥، وقدرى عبد الوهاب، إتخاف المهرة في جمع العشرة المتواترة من طريقي الشاطبية والدررة، مصر، دار الآثار، ط١، (د.ت): (١١٢/١).

٦٦ - ينظر: دخيل الدخيل: إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمركز الشاطبي، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م): ص١٨٠.

غيره بطلب معرفة العدالة الباطنية لطالب الإقراء ما دام ظاهره الصلاح. قال النويري: «أما إذا كان مستورا - أي المقرئ - وهو أن يكون ظاهر العدالة، ولم تعرف عدالته الباطنة، فيحتمل أنه يضره كالشهادة، والظاهر أنه لا يضره؛ لأن العدالة الباطنة تعسر معرفتها على غير الحكام، ففي اشتراطها حرج على الطلبة والعوام» أ. هـ. ^(٦٧) وهو شرط عام لكل طالب علم الإقراء.

الشرط الرابع: ضبط الرواية: المقصود به ضبط حفظ القرآن الكريم واستظهاره كاملاً عن ظهر قلب، مع ضبط الأداء بأن يكون القارئ قادراً على الإتيان بالحروف صحيحة المخرج، متقناً مقادير الغنن والمدود، والروم والإشمام والإمالات الصغرى والكبرى والاختلاس وما يتصل بأمور القراءة. ^(٦٨) وهو شرط عام لكل طالب علم الإقراء.

الشرط الخامس: ضبط الدراية: وهو ضبط العلم والفهم، وذلك بأن يكون عالماً بأصول القراءات وفرشها مع معرفة الأوجه الجائزة، وما فيها من خلاف واجب وجائز، وما ينبغي معرفته من علم عدّ الآي وعلم رسم المصاحف مما لا بد منه لختمتها، وما يتبع كل ذلك من حفظ المتن الذي سيقراً الطالب بمضمّنه، فهذا مما يعين الطالب على الاستحضار. قال ابن الجزري: «من يريد تحقيق علم القراءات وإحكام تلاوة الحروف فلا بد من حفظه كتاباً كاملاً يستحضر به اختلاف القراءة، وينبغي أن يعرف أولاً اصطلاح الكتاب الذي يحفظه ومعرفة طريقه، وكذلك إن قصد التلاوة بكتاب غيره» أ. هـ. ^(٦٩) وقد جرى العرف عند القراء وعلماء الإقراء

٦٧- النويري، شرح الطيبة: (١ / ٣٩).

٦٨- ينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين: ص ٧٢ وما بعدها، والقسطلاني: لطائف الإشارات في فنون القراءات لطائف الإشارات لفنون القراءات، مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤٣٤هـ): (١ / ١٧٢)، والنويري، شرح الطيبة: (٢ / ١٣٥).

٦٩- ابن الجزري، النشر: (٢ / ١٩٩) وينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين: ص ٧٢ وما بعدها، القارئ، سنن القراء ومناهج المجودين: ص ٩٤ وما بعدها، والقسطلاني، لطائف الإشارات: (١ / ١٧٢)، والنويري، شرح الطيبة: (٢ / ١٣٥)، والصفاقسي، غيث النفع: ص ٢٢، والضباع: تقريب النفع في =

أن من أراد جمع القراءات السبع يحفظ متن الشاطبية، ومن أراد جمع العشر الصغرى يضم مع متن الشاطبية متن الدرّة، ومن أراد جمع العشر الكبرى فيحفظ متن طيبة النشر.^(٧٠)

الشرط السادس: إفراد القراءات: وهو شرط لازم لكل مرید لجمع القراءات. أما المؤهل للجمع فلم يشترط أئمة الإقراء عليه الإفراد إذا ما أراد الجمع، فقد قرأ أبو العز القلانسي جمعا على أبي القاسم الهذلي، دون أن يفرد عليه، وذلك لضبط القلانسي وإمامته. قال ابن الجزري: «ولا بد من إفراد التي يقصد معرفتها قراءة على ما تقدم فإذا أحكم القراءات إفرادا وصار له بالتلفظ بالأوجه ملكة لا يحتاج معها إلى تكلف، وأراد أن يحكمها جمعا فليرض نفسه ولسانه فيما يريد أن يجمعه». أ. هـ.^(٧١)

وللإفراد المؤهل للجمع عند القراء مناهج منها^(٧٢):

١- إفراد كل راوٍ بختمة كاملة حتى يتم أربع عشرة رواية، ثم إفراد كل قارئ

= القراءات السبع (بهامش سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي)، مصر، مصطفى البابي الحلبي، (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م): ص ١٠-١١، وياسر المزروعى: التبيان لمن طلب إجازة القرآن، لياسر المزروعى، مكتبة المنار الإسلامية، ط ١، (١٤٢٤هـ): ص ٦١ وما بعدها.

٧٠- تساهل بعض من يقرأ ويحيز بجمع القراءات - في هذا العصر - بشرط حفظ المتن الذي سيقراً بمضمّنه، وهو مما لا مجال للتساهل فيه؛ فإن الإعراض عن حفظ المتون في القراءات من أسباب ضعف من يتصدر للإقراء.

٧١- ابن الجزري، النشر: (١٩٩ / ٢) وينظر: النويري، شرح الطيبة: (١٣٥ / ٢)، والصفافسي، غيث النفع: ص ٢٠، وأبو العلاء إدريس المنجرة: نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للجامع، مخطوط ضمن مجموع (٨٨١)، الخزانة العامة والمحفوظات بتطوان المملكة المغربية: (٤ / أ)، والضباع، تقريب النفع: ص ٩، وحميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٣٢٩ / ٤)، والمزروعى، التبيان لمن طلب الإجازة: ص ٦١ وما بعدها.

٧٢- ينظر: المراجع نفسها و: محمد إبراهيم سالم: التحفة المرضية من طريق الشاطبية، القاهرة، دار البيان العربي، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥): (٥ / ١)، وحميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٥٩ / ٣)، والعبدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ١٦٤، وما بعدها. وهذه المناهج مبنية على الاجتهاد، فلكل مصر من الأمصار منهج، وأحيانا ينتشر في عصر من العصور منهج لم يكن سائدا فيما قبل، بل قد يكون لكل شيخ مقرئ منهج يميزه عن غيره. والغالب أن مناهج الإقراء لا تخرج عما ذكرت. والله أعلم.

بختمة حتى يتم سبع قراءات، ثم جمع القراءات السبع ببختمة كاملة. فإن أراد العشر فيفرد لكل راوٍ من رواة القراء الثلاثة المتممة قراءتهم للعشر ختمة كاملة، ثم لكل قارئٍ من الثلاث ختمة، ثم ختمة بالجمع، فيكون جمع القراءات العشر الصغرى بثلاث وثلاثين ختمة. فإن أراد الجمع بالعشر الكبرى من طريق الطيبة فعل مثل ما فعل في جمعه للعشر الصغرى، ويكون جمع القراءات العشر بأربع وستين ختمة من الطريقتين.

وهذا منهج المتقدمين من أئمة الإقراء. قال ابن الجزري: «ولم يكن أحد من الشيوخ يسمح به إلا لمن أفرد القراءات وأتقن معرفة الطرق والروايات، وقرأ لكل قارئٍ ختمة على حدة، ولم يسمح أحد بقراءة قارئٍ من الأئمة السبعة، أو العشرة في ختمة واحدة فيما أحسب إلا في هذه الأعصار المتأخرة حتى إن الكمال الضرير صهر الشاطبي لما أراد القراءة على الشاطبي لم يقرأ عليه قراءة واحدة من السبعة إلا في ثلاث ختمات فكان إذا أراد قراءة ابن كثير مثلاً يقرأ أولاً برواية البزي ختمة ثم ختمة برواية قنبل ثم يجمع البزي وقنبل في ختمة هكذا... وكان الذين يتساهلون في الأخذ يسمحون أن يقرأوا لكل قارئٍ من السبعة ببختمة سوى نافع وحمزة فإنهم كانوا يأخذون ختمة لقالون ثم ختمة لورش، ثم ختمة لخلف ثم ختمة لخالد، ولا يسمح أحد بالجمع إلا بعد ذلك» أ. هـ. (٧٣) واستثنى من ذلك شخص أفرد وجمع على شيخ معتبر - ثم أجاز وتأهل، فقد أذنوا له في جمع القراءات في ختمة؛ لعلمهم أنه وصل إلى حد الإتقان والمعرفة.

٢- أفراد كل قارئٍ ببختمة حتى يتم سبع قراءات، ثم جمع القراءات السبع ببختمة كاملة، فإن أراد العشر فيفرد لكل قارئٍ من القراء الثلاث المتممة قراءاتهم للعشر ختمة كاملة، ثم ختمة بالجمع، فيكون جمع القراءات العشر الصغرى بثلاث عشرة ختمة. فإن أراد الجمع بالعشر الكبرى من طريق الطيبة

٧٣- ابن الجزري، النشر: (٢ / ١٩٥). وينظر: ابن الناظم، شرح الطيبة: ص ١٦٤.

فعل مثل ما فعل في جمعه للعشر الصغرى، فيكون جمع القراءات العشر من الطريقتين بأربع وعشرين ختمة. وممن يأخذ بهذا المنهج غالب علماء الهند وباكستان.^(٧٤)

٣- إفراد بعض الرواة بختمة كاملة، والاكتفاء لبعض القراء بختمة كاملة، فمثلا يفرد لقالون أولا ثم ورش ثم يجمع لنافع، ثم ختمة لابن كثير الروائتين معا، ثم ختمة للدوري عن أبي عمرو وحده ثم ختمة أخرى للسوسي، ثم يجمع لأبي عمرو، ثم ختمة بقراءة لابن عامر من الروائتين، وختمة بقراءة لعاصم من الروائتين، ثم ختمة لخلف عن حمزة ثم ختمة أخرى لخلاّد ثم يجمع لحمزة من الروائتين، ثم ختمة بقراءة للسائي من الروائتين، ثم يجمع السبع، فيكون جمع القراءات السبع بأربع عشرة ختمة.

٤- أن يفرد بعض الرواة أو القراء بختمة، ويجمع قراءات بعض القراء الآخرين بختمة واحدة، فيفرد مثلا رواية ورش بختمة، ثم ختمة برواية قالون، ثم ختمة بقراءة ابن كثير، ثم ختمة أخرى بقراءة أبي عمرو، ثم يجمع القراءات الأربع الباقية (قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي) مرة واحدة. وقد تفرد قراءة ابن عامر بختمة واحدة، فيكون جمع القراءات السبع بخمس ختمات أو ست. وهذه طريقة بعض المغاربة. أو إفراد قراءة نافع بختمة، ثم نافع والمكي معا بختمة كاملة، ثم ختمة كاملة لنافع والمكي وأبي عمرو البصري (سما)، ثم جمع القراءات السبع بختمة كاملة، ثم جمع العشر بختمة كاملة.^(٧٥)

٧٤- ينظر: المزروعى، التبيان لمن طلب الإجازة: ص ٦٥.

٧٥- ينظر: سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص ٥٩، ٢٠٧، والعبدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ٣١٢.

٥- أن يفرد لكل إمام براوييه جزءاً من القرآن، كسورة البقرة كاملة، ثم يجمع لل سبع، ثم للعشر الصغرى، أو يجمع للعشر الصغرى بعد إفراده سورة البقرة^(٧٦). أو يفرد الجزء الأول من القرآن الكريم فقط لكل راوٍ من رواة القراء السبعة، كأن يفرد رواية الدوري عن أبي عمرو^(٧٧)، ثم رواية السوسي، ثم قراءة أبي عمرو، وهكذا يفعل مع كل قارئ من القراء السبعة، وقد يُكتفى بقراءة الإمام دون إفراد رواه إن رأى الشيخ من القارئ نجابة، ثم يجمع القارئ القراءات السبع بختمة واحدة، وهذه الطريقة عند قراء الموصل.

ومن عُرِفَ بعض القراء أيضاً جمع القارئ الخمسة أجزاء الأولى من القرآن الكريم للقراء الثلاثة، نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويسمون ذلك الجمع الصغير، ثم الجمع للسبعة بختمة كاملة، ثم يفرد الجزء الأول من القرآن الكريم لكل راوٍ عن القراء الثلاثة المتممين للعشرة، ثم يجمع ختمة كاملة للقراء العشر الصغرى^(٧٨).

٦- ألا يفرد بل يجمع القراءات السبع بختمة، ثم يجمع الثلاث بختمة أخرى، ثم يجمع العشر الكبرى بختمة كاملة، فيجمع القراءات من الطريقتين بثلاث ختمات.

٧- لقراء المغرب منهج في الإفراد بأن يبدأ القارئ بإتقان قراءة نافع بطرقها العشرية، ثم جمع قراءة نافع مع قراءة ابن كثير بختمة واحدة، ثم مع أبي عمرو بختمة واحدة، ثم مع ابن عامر، ثم ختمة أخرى للكوفيين الثلاثة (عاصم وحمزة والكسائي)، ثم ختمة بالجمع للسبعة^(٧٩). أو جمع لنافع من

٧٦- ينظر: عبد الفتاح هنيدي، الأدلة العقلية: ٣٤، والمزروعي، التبيان لمن طلب الإجازة: ص ٦٢.

٧٧- على ترتيب البقري في القواعد المقررة والفوائد المحررة، وهو الكتاب الذي يُدرس عند علماء العراق.

٧٨- ينظر: د. صلاح العبيدي، المدرسة الموصلية ومنهجها في إلقاء القرآن الكريم وقراءته للعبيدي، المؤتمر العالمي الأول للقراءات القرآنية في العالم الإسلامي والذي أقيم بمدينة مراكش (١٤٣٤هـ): ص ٨٤ وما بعدها.

٧٩- ينظر: الأنصاري، ترتيب الأداء: ص ٨٣.

طرقه العشرة ويسمونه الجمع الصغير ثم يشرعون بإفراد وجمع القراءات السبع والعشر.^(٨٠)

الشرط السابع: التمييز بين الخلاف الواجب والخلاف الجائز: الخلاف الجائز ما جاء عن القراء على سبيل التخير، ويكون في الأوجه، فبأي وجه أتى القارئ أجزاءه، ولا يلزم استيفاء الأوجه؛ كأوجه المد العارض للسكون. أما الخلاف الواجب فهو خلاف النص والرواية، ولا يجوز الإخلال به عند المشافهة والقراءة، وغالب خلاف القراء والرواة من هذا القبيل.^(٨١) قال الصفاقسي: «لا بد لكل من أراد القراءة أن يعرف الخلاف الواجب من الخلاف الجائز فمن لم يفرق بينهما تعذرت عليه القراءة ولا بد أيضاً أن يعرف الفرق بين القراءات والروايات والطرق والفرق بينها». أ. هـ.^(٨٢)

الشرط الثامن: معرفته بطريقة الجمع التي سيقراً بها.^(٨٣)

ثانياً: ضوابط جمع القراءات: المقصود بها ما يلزم القارئ الالتزام به حال جمع القراءات^(٨٤). وأول من تكلم عليها أبو الحسن علي بن عمر القيجاطي (ت: ٧٣٠هـ) في منظومته: «التكملة المفيدة لحافظ القصيدة».^(٨٥) وهي أربعة ضوابط:

- ٨٠- ينظر: سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص٧٦، وحميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٣/ ٥٩)، والعيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص٣١٦.
- ٨١- ينظر: الدوسري، مختصر العبارات: ص٦١، ٦٢، وعبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات: ص٢١٠. ينبغي التنبيه على أن أوجه الخلاف الجائز مما يلزم القارئ إتقانها ومعرفتها وضبطها، ولا يسعه جهلها، لكن لا يلزمه استيفائها حين عرض القراءة.
- ٨٢- الصفاقسي، غيث النفع: ص٢٣، وينظر: ابن الجزري، النشر: (٢/ ١٩٩)، والنوري، شرح الطيبة: (٢/ ١٣٥)، والضباع، تقريب النفع: ص١١.
- ٨٣- ينظر: المراجع نفسها.
- ٨٤- عُرّف الضبط بأنه: إحكام الشيء وإتقانه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (٩/ ٢١٤) مادة: (ض. ب. ط.).
- ٨٥- ينظر: الصفاقسي، غيث النفع: ص٢٣، وابن الجزري، النشر: (٢/ ١٩٩)، والنوري، شرح الطيبة: (٢/ ١٣٥)، وسعيد أعراب، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٢/ ٢٦٧ - ٢٧٤)، والعيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص٢٠٢.

١- مراعاة الوقف: المقصود به التزام القارئ بالوقوف الصحيحة حال جمعه القراءات، فلا يقف على ما يوهم المعنى القبيح أو على معنى غير مراد؛ كأن يقف على (وَالْمَوْتَى) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾ [الأنعام: ٣٦]، بل يقف على ما يحسن الوقف عليه، ويجوز الابتداء بما بعده.

٢- مراعاة الابتداء: المقصود به ألا يبتدىء القارئ حال جمعه القراءات إلا بما يجوز الابتداء به، فلا يبتدىء بما يوهم معنى فاسداً؛ كأن يبتدىء بـ (لَا أَعْبُدُ) من قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]. ويلزمه الابتعاد عن التكلف والتعسف في الابتداء.

٣- عدم التركيب: المقصود بالتركيب: التنقل بين الروايات أثناء التلاوة من غير إعادة أوجه الخلاف، ودون الالتزام برواية معينة،^(٨٦) وذلك أن يأخذ القارئ حكماً من قراءة أو رواية وحكماً آخر من قراءة أو رواية ثانية فيقرأ بهما في آن واحد. ولا يجوز ذلك حال جمع القراءات. ومثال ذلك:

- عند جمع القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿فَلَقَّحْ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] فلا يجوز القراءة برفع (آدَمَ) و(كَلِمَاتٍ) معاً، بأخذ رفع (آدَمَ) من قراءة غير ابن كثير، ورفع (كَلِمَاتٍ) من قراءة ابن كثير، كما لا يجوز نصبهما معاً بدعوى الجمع.^(٨٧)

٨٦- ينظر: عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات: ص ١٣٥، والدوسري، مختصر العبارات: ص ٤٦.

٨٧- قرأ ابن كثير بنصب (آدم) ورفع (كلمات)، وقرأ الباقر بنرفع (آدم) ونصب (كلمات). ينظر: ابن الجزري، النشر: (٢ / ٢١١).

- وكذا عند جمع القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧] لا يجوز القراءة بتشديد (وَكَفَّلَهَا) مع همز (زَكَرِيَّا) ورفعها، بأخذ التشديد من قراءة الكوفيين، والرفع مع الهمز من قراءة غير الكوفيين بدعوى الجمع.^(٨٨)
- ومثل ذلك القراءة بهمز كلمة (يُؤْمِنُونَ) من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة: ٣] أخذاً من قراءة من يهمز، مع تعليل اللام في كلمة (الصَّلَاة) أخذاً من رواية ورش.

حُسن الأداء: وهو أن يلتزم القارئ بقواعد التجويد وضوابط الترتيل.^(٨٩)

وأما رعاية ترتيب القراء، والتزام تقديم رَاو بعينه، فلا يشترط؛ إلا أنه يحسن للقارئ مراعاة ترتيب الكتاب الذي يقرأ بمضمونه، فيُقدِّم مَنْ قَدَّمَهُ صاحب الكتاب من القراء ورواتهم على ترتيبه.

المطلب السادس: كيفية جمع القراءات:

لما كان جمع القراءات من المسائل الاجتهادية، فقد تعددت مذاهبه وكيفياته، ومن الملاحظ اتفاق طريقة جمع القراءات على عدم إهمال أي قراءة أو رواية، وكذلك على عدم إعادة مذهب مع غيره من دون سبب. وللقراء فيه أربع كيفيات:

٨٨- قرأ حفص عن عاصم، وحمزة والكسائي وخلف (كفلها) بالتشديد، و(زكريا) من غير همز، وقرأ شعبة عن عاصم (كفلها) بالتشديد وهمز (زكرياء) مع النصب، وقرأ الباقون بتخفيف (كفلها) وهمز (زكريا) مع الرفع. ينظر: المرجع نفسه: (٢ / ٢٣٩).

٨٩- ينظر: المرجع نفسه.

الكيفية الأولى: الجمع بالحرف: ويطلق عليه الجمع الكلمي، وهو: أن يتدئ القارئ برواية من قدمه من الرواة، فإذا مرَّ بكلمة فيها خلف أصولي أو فرشي، وقف وأعاد تلك الكلمة بمفردها حتى يستوفي ما فيها من الخلاف، فإن كانت مما يسوغُ الوقف عليه وقف، واستأنف ما بعدها، وإلا وصلها بآخر وجه انتهى إليه، حتى يصل إلى وقف فيقف. وإن كان الخلفُ مما يتعلق بكلمتين، وقفَ على الكلمة الثانية إن حسن، واستوعب الخلاف، ثم انتقل إلى ما بعدها على هذا الحكم، وهو أوثق في استيفاء أوجه الخلاف، وأسهل وأخصر في الأخذ. يقول صاحب القصيدة الطاهرة:

ونوعانِ جمعُ الجمعِ إمَّا بحرفٍ أو بوقفٍ وذًا مختارًا أشياءِ المَلَا
لرونقه والبدء عن أهلِ مصرٍ وال مغاربةٍ احفظُ وهو أخصرُ مطولا
ومعناه أن يستوعبوا خُلفَ كلمة فأخرى وقسُ حتى يُصيبوا مُحللاً
وإن كان من لفظين يتكئوا على ال أخيرٍ ويستوفوا كآمنٍ وهم ألا

وهذه الكيفية تنسب إلى الإمام أبي عمرو الداني والإمام القيجاطي، وهي طريقة أكثر المصريين والمغاربة قديماً.^(٩٠)

٩٠- ينظر: السيوطي، الاتقان: (٢/٦٤٧)، وابن الجزري، النشر: (٢/٢٠٢)، والنويري، شرح الطيبة: (٣/٢٤٩)، والضباع، تقريب النفع: ص ١٠، ومحمد سبسي: النفحات العاطرة في جمع القراءات العشر المتواترة، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط ١، (٢٠٠٦م): (١/٣١)، وهندي، الأدلة العقلية: ص ٢٨.

مثال على طريقة الجمع بالحرف .

| | | | |
|--|--------|---------------------|--------------|
| قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] | | | |
| ويندرج معه ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب | قالون | القصر | يأبها |
| ويندرج معه الدوري عن أبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، والكسائي، وخلف العاشر | قالون | التوسط | |
| ويندرج معه حمزة | ورش | المد | |
| ويندرج معه جميع القراء إلا ابن كثير، والسوسي، وأبا جعفر | قالون | الإظهار وسكون الميم | خلقكم والذين |
| ويندرج معه لابن كثير وأبي جعفر | قالون | الإظهار وصلة الميم | |
| - | السوسي | الإدغام وسكون الميم | |
| ويندرج معه جميع القراء إلا ابن كثير وأبا جعفر | قالون | سكون الميم | قبلكم |
| ويندرج معه ابن كثير، وأبو جعفر | قالون | صلة الميم | |
| - | - | - | لعلكم |

الطريقة الثانية: الجمع بالوقف: وهو أن يبتدئ القارئ برواية من يقدمه من الرواة ثم يقف على موضع يجوز فيه الوقف ثم يعود للموضع الذي ابتداء به، ويأتي الراوي الذي يليه في الترتيب^(٩١)، وهكذا يفعل مع جميع الرواة والقراء إلا من اندرجت قراءته أو روايته مع قارئ قبله فلا يأتي به، حتى يستوعب جميع الأوجه ويقف على نفس الموضع الذي وقف عليه أولاً، وهذه طريقة الشاميين.

٩١- يُراعى ترتيب واحد للقراء في هذه الكيفية؛ فيقدم نافعاً وراوييه، ثم ابن كثير وراوييه، ثم أبا عمرو وراوييه، ثم ابن عامر وراوييه، ثم عاصم وراوييه، ثم حمزة وراوييه، ثم الكسائي وراوييه، ثم أبا جعفر وراوييه، ثم يعقوب وراوييه، ثم خلف العاشر وراوييه. والأصل أن يقدم قالون، وقد يُقدم ورشاً عند بعض القراء. ينظر: ابن الجزري، النشر: (٢ / ٢٠٢)، والعبدي، الجمع بالقراءات: ص ٢٧٠، وهندي، الأدلة العقلية: ص ٢٨، والدوسري، مختصر العبارات: ص ٥٤، ومحمود أوهاج: مدخل للقراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرّة، مجلة كلية القرآن الكريم، المدينة المنورة، العدد الأول، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م): ص ١٦٤.

مثال على طريقة الجمع بالوقف:

| | | |
|--|-----------------------------------|--|
| قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] | | |
| قالون | بقصر المنفصل والإظهار وترك الصلة | يندرج معه الدوري عن أبي عمرو، ويعقوب |
| قالون | بقصر المنفصل والإظهار والصلة | يندرج معه ابن كثير وأبو جعفر |
| قالون | بتوسط المنفصل والإظهار وترك الصلة | يندرج معه الدوري عن أبي عمرو، وابن عامر وعاصم والكسائي |
| قالون | بتوسط المنفصل والإظهار والصلة | - |
| ورش | بمد المنفصل وقصر البدل | يندرج معه حمزة |
| ورش | بمد المنفصل وتوسط البدل | - |
| ورش | بمد المنفصل والبدل | - |
| السوسي | بقصر المنفصل والإدغام وترك الصلة | - |

الطريقة الثالثة: الجمع بالآية: وهو أن يبتدىء القارئ برواية من يقدمه من الرواة، حتى ينتهي إلى آخر الآية، ثم يعيد نفس الآية لقارئ آخر، حتى يكمل الخلاف الوارد في الآية، إلا من اندرجت قراءته أو روايته مع قارئ قبله فلا يأتي به، ثم ينتقل إلى آية أخرى. فهو كالجمع بالوقف إلا أن الجمع بالوقف لا يعتمد رؤوس الآي موضع وقف بعكس الجمع بالآية فيلزم أن يقف على رأس آية. (٩٢)

الطريقة الرابعة: الجمع بالتوافق: وهو مركب من المذهبين (الجمع بالحرف

٩٢- ينظر: السيوطي، الاتقان: (٢/٦٤٧)، وابن الجزري، النشر: (٢/٢٠٢)، والنويري، شرح الطيبة: (٣/٢٤٩)، والضباع، تقريب النفع: ص ١٠، وسبسي، النفحات العطرة: (١/٣١)، وهنيدي، الأدلة العقلية: ص ٢٨.

والجمع بالوقف)^(٩٣)؛ وهي طريقة ابن الجزري، وذلك بأن يبتدئ القارئ برواية من يقدمه ويواصل القراءة حتى يقف على موضع يسوغ الوقف عليه فمن اندرج معه من القراء أو الرواة فلا يعيدهم ومن لم يندرج أعاده، ويقدم أقرب القراء خلفاً إلى ما وقف عليه فلا يراعي ترتيب القراء، فإن تساوا في الخلف والقرب يقدم الأسبق فالأسبق حسب ترتيب صاحب الكتاب الذي يقرأ بضمونه، وهكذا يفعل حتى ينتهي.^(٩٤)

مثال على طريقة الجمع بالتوافق:

| | | |
|--|-----------------------------------|--|
| قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] | | |
| قالون | بقصر المنفصل والإظهار وترك الصلة | يندرج معه الدوري عن أبي عمرو، ويعقوب |
| قالون | بقصر المنفصل والإظهار والصلة | يندرج معه ابن كثير وأبو جعفر |
| السوسي | بقصر المنفصل والإدغام وترك الصلة | - |
| قالون | بتوسط المنفصل والإظهار وترك الصلة | يندرج معه الدوري عن أبي عمرو، وابن عامر وعاصم والكسائي |
| قالون | بتوسط المنفصل والإظهار والصلة | - |
| ورش | بمد المنفصل وقصر البدل | يندرج معه حمزة |
| ورش | بمد المنفصل وتوسط البدل | - |
| ورش | بمد المنفصل والبدل | - |

٩٣- (اختلف في وجه مشابهة هذه الكيفية للجمع بالحرف، والجمع بالوقف، فقيل: شابهت الجمع بالوقف في مراعاتها حسن الوقف، وأشبهت الجمع بالحرف في أن آخر قارئ أو راوي في الآية السابقة هو الأول في الآية التالية، وقيل: غير ذلك. ينظر: ابن الناظم، شرح الطيبة: ص ٢٠١، والعيدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ٢٧٦، وهنيدي، الأدلة العقلية: ص ٣٠.

٩٤- ينظر: المراجع السابقة، والمنجرة، نزهة الناظر والسامع: (٧/أ)، والأنصاري، ترتيب الأداء: ص ٢٦.

وتشبه هذه الطريقة طريقة الصفاقسي، غير أنه يُراعى في طريقة ابن الجزري عند ترتيب الأوجه الوجه الأكثر مناسبة لسابقه في الأحكام. أما طريقة الصفاقسي فيقدم الوجه الأقرب إلى الوقف على غيره، كما أن آخر قارئ أو راوٍ في ترتيب الآية السابقة هو المبدوء به في طريقة ابن الجزري، أما الصفاقسي فيلتزم البدء بقالون.

ومثل طريقة الصفاقسي طريقة سلطان المزاحي في الجمع إلا أن المزاحي يعتمد الوقف بالآية، بخلاف الصفاقسي الذي يقف على مواضع الوقف سواء أكان رأس آية أم لا. (٩٥)

ومما ينبغي التنبيه عليه أمور:

١- جرت العادة بتقديم قالون في الجمع إذا تعددت وجوه القراءة؛ لتقديم الشاطبي له، فمن اندرج معه في هذا الوجه لم يؤت به، ومن لم يندرج معه أعاده وفق كفيات الجمع المتنوعة، وقد يقدم بعض القراء المغاربة ورشاً في الجمع، وبعض قراء العراق يُقدم الدوري عن أبي عمرو على ترتيب الإمام أبي القاسم البكري في قواعده. (٩٦)

٢- جمع طرق نافع العشرية عند قراء المغرب، يُقدم فيه قالون ثم ورش ثم إسحاق المسيبي ثم إسماعيل، ومن وافق غيره اندرج معه، ومن لم يوافقهُ يُؤتى به مراعيًا الترتيب، ومنهم من يُقدم ورشاً على قالون. (٩٧)

٩٥- طريقة الصفاقسي يقرأ بها في المغرب ومصر، أما طريقة المزاحي يقرأ بها في الشام. ينظر: الصفاقسي، غيث النفع: ٣١، وسبسي، النفحات العاطرة: ص ٣٢، والعبدي، الجمع بالقراءات المتواترة: ص ٢٧٩، وعبد الفتاح هنيدي، الأدلة العقلية: ص ٣٠.

٩٦- ينظر: المنجرة، نزهة الناظر والسامع: (٦/ب)، والمارغيني، النجوم الطوالع علي الدرر اللوامع: ص ٢٥٩، وحميتو، قراءة نافع عند المغاربة: (٣/٦٧٣)، وسعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب: ص ٥٩، والجمع بالقراءات المتواترة: ص ٢٦٦، والعبدي، المدرسة الموصلية في الإقراء: ص ٨٤.

٩٧- ينظر: حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة: (٤/١٠٢).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وهي:

- ١- إفراد القراءات والروايات هو الأصل، وهو المنهج الذي تلقى به الصحابة رضي الله عنهم القرآن بحروفه وقراءاته عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي سار عليه السلف والقراء قديما وحديثا.
- ٢- ثمرة الجمع بين القراءات إنما هي الاختصار، وعدم التكرار لغير موجب.
- ٣- الإقراء بالإفراد يتقدم على الجمع، لنص علماء القراءة فقد نصوا على أنه لا يجمع القراءات إلا إذا كان مفردا للقراءات، وليس العكس.
- ٤- من أقدم من أفرد جمع القراءات بالتصنيف أبو الحسن علي القيسي الأندلسي.
- ٥- اختلف في حكم جمع القراءات في التلاوة بناء على حالة الجامع الذي قد يكون في حالة التعليم والتلقي، أو في الصلاة، أو في المحافل؛ كالمآتم والأفراح والإذاعات أمام عامة الناس.
- ٦- اتفقت كفيات جمع القراءات على عدم إهمال أي قراءة أو رواية، وعدم إعادة مذهب مع غيره من دون سبب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- إبراهيم الدوسري: مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع علي الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع للمارغيني، بيروت، دار الفكر، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- أحمد الشيباني: المسند، بيروت، المكتب الإسلامي، (د.ت).
- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٩ - ١٩٧٩).
- أحمد النسائي: سنن النسائي الكبرى، حسن شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- أبو بكر الحداد: الآيات البيئات في حكم جمع القراءات، القاهرة، مطبعة المعاهد، (١٣٤٤ - ١٩٣٤م).
- بكر أبو زيد: بدع القراء القديمة والمعاصرة، الطائف، دار الفاروق، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- البيهقي: السنن الكبرى، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط ١، (١٣٤٦هـ).
- الترمذي: الجامع، عبد الوهاب عبداللطيف، القاهرة، مطبعة المدني، (١٣٨٤هـ).

- ابن تيمية: مجموع فتاوى، عبدالرحمن القاسم، مطابع الطوبجي التجارية، (د. ت).
- الجرمي: معجم علوم القرآن (علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات)، دمشق، دار القلم، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، علي الضبّاع، بيروت، دار الكتب العلمية، (د-ت).
- ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، علي العمران، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ط ١، (١٤١٩هـ).
- ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، (١٤٠٢هـ).
- الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، (١٩٩٠م).
- أبو الحسن الأنصاري، ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء، عبد الله بن محمد اكيك، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط ١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، محمد الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، (١٣٩٥هـ).
- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، (١٣٢٨هـ).
- دخيل الدخيل: إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمركز الشاطبي، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- سالم الزهراني: القصيدة الطاهرة في القراءات العشر لطاهر بن عرب عرض ودراسة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، العدد الحادي عشر.
- سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (١٤١٠هـ).
- السيد أحمد عبد الرحيم: قبسات نورانية من مدرسة الإقراء المصرية (حول ملامحها في القرن الرابع عشر الهجري)، نُشر ضمن بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي، جامعة الملك سعود، الرياض، (١-٣ / ١ / ١٤٣٥هـ).
- السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).
- أبو شامة: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- الصنفقاسي: غيث النفع في القراءات السبع، محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
- صلاح العبيدي، المدرسة الموصلية ومنهجها في إقراء القرآن الكريم وقراءاته للعبيدي، المؤتمر العالمي الأول للقراءات القرآنية في العالم الإسلامي والذي أقيم بمدينة مراكش (١٤٣٤هـ).
- الضباع: تقريب النفع في القراءات السبع (بهامش سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي)، مصر، مصطفى البابي الحلبي، (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م).
- الطيالسي: المسند، الهند، مطبعة دار المعارف النظامية، (١٣٢١هـ).

- ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، (١٣٢٨هـ).
- عبد العزيز القارئ: سنن القراء ومناهج المجودين، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط ١، (١٤١٤هـ).
- عبد العزيز المزيبي: مباحث في علوم القراءات، الرياض، دار كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٣١هـ.
- عبد العلي المسئول: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، دار السلام، ط ١، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- عبد الفتاح هنيدي: الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات النقلية، عمر مالم أبه المراطي، طنطا، دار الصحابة للتراث، (د.ت).
- عبد الهادي حميتو: قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، (١٤١٩هـ-١٩٨٩م).
- علي الجرجاني: التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، (١٤٠٣هـ).
- أبو العلاء إدريس المنجرة: نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للجامع، مخطوط ضمن مجموع (٨٨١)، الخزانة العامة والمحفوظات بتطوان المملكة المغربية.
- فتحي العبيدي: الجمع بالقراءات المتواترة، بيروت، دار ابن حزم، ط ٢، (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).
- قدرى عبد الوهاب، إتخاف المهرة في جمع العشرة المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، مصر، دار الآثار، ط ١، (د.ت).

- القسطلاني: لطائف الإشارات في فنون القراءات لطائف الإشارات لفنون القراءات، مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤٣٤هـ).
- لبيب السعيد: التغني بالقرآن (بحث فقيي تاريخي)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، (١٩٧٠م).
- ابن ماجة: السنن، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت).
- ابن مجاهد: السبعة في القراءات، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط٢، (١٤٠٠هـ).
- محمد إبراهيم سالم: التحفة المرضية من طريق الشاطبية، القاهرة، دارالبيان العربي، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥).
- محمد حوا، المدخل إلى علم القراءات: ص٤٢، ود. عبد العزيز المزيني: مباحث في علم القراءات، الرياض، دار كنوز إشبيلية، ط١، (١٤٣١هـ).
- محمد سبسي: النفحات العاطرة في جمع القراءات العشر المتواترة، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط١، (٢٠٠٦م).
- محمد مطيع: القراءات وكبار القراء في دمشق من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر، دمشق، دار الفكر، ط١، (٢٠٠٣م).
- محمد نصر: القول المفيد في وجوب التجويد، الجليل، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في الجليل، ط٢، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- محمود أوهاج: مدخل للقراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة، مجلة

- كلية القرآن الكريم، المدينة المنورة، العدد الأول، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- مسلم بن الحجاج: في الصحيح، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- ابن منظور: لسان العرب، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).
- ابن الناظم: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، علي الضباع، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).
- النووي: التبيان في آداب حملة القرآن، بشير محمد، الرياض، دار المؤيد، ط١، (د.ت).
- النويري: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، جمال الدين شرف، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط١، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- وليد الزبيدي وآخرون، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، بيروت، مكتبة لسان العرب، ط١، (١٤٢٤-٢٠٠٣هـ).
- ياسر المزروعى: التبيان لمن طلب إجازة القرآن، لياسر المزروعى، مكتبة المنار الإسلامية، ط١، (١٤٢٤هـ).

الوحي بتكليم الملك عند ابن خلدون

د. شريف عبد العليم محمود

كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي

دولة الإمارات العربية المتحدة



ملخص البحث

تسلط الدراسة الضوء على (الوحي تكليماً عند ابن خلدون).

ومشكلة الدراسة هي (معالجة ابن خلدون لأمر الوحي عقلياً)، والمنهج الذي يتسق وطبيعة هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي، المتضمن جمع أقوال ابن خلدون في الوحي ومقارنتها بأقوال العلماء، وكان من أبرز نقاط هذه الدراسة ما يأتي:

- انسلاخ الأنبياء من البشرية إلى الملكية الذي يقول به ابن خلدون مردود.
- أن الله هيأ رسله وأعدهم إعداداً خاصاً لتلقي الوحي.
- أمر الوحي موكل إلى الله تعالى، ولا يخضع لمشيئة أحد.
- أن الوحي من الغيبات التي لا يدركها العقل ولا يعرف حقيقتها.

وأخيراً بيّنت الدراسة أن العلامة ابن خلدون ترك لعقله المجال للخوض في الوحي الذي هو من الغيبات التي لا تستطيع العقول إدراكها؛ لأنها فوق مداركها، وكان الواجب عليه أن يقف عند نصوص الكتاب والسنة ولا يتجاوزها، لكنه جال بعقله في تفاصيلها فكبا وتعثر.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

Abstract

“Revelation by the Divine Speech” Case Study by Ibn Khaldun

Dr. Sherif Abdelalim Mahmoud Mohamed

The study sheds light on (Revelation by Speech by Ibn Khaldun).

The case of the study is (Ibn Khaldun's handling of revelation matters mentally). The approach that is consistent with the nature of this study is the inductive approach, which includes the collection of Ibn Khaldun's sayings in Revelation and its comparison with the scholars' opinions.

The main points of this study are as the following:

- The disintegration of the prophets from mankind to the sovereignty, which Ibn Khaldun says, is rejected.
- Allah has prepared his messengers to be ready for special mission in order to receive Revelation.
- The command of Revelation is entrusted to Allah only and doesn't subject to the will of anyone.
- The Revelation is one of the unseen issue that can't be known or realized by mind.

Finally, the study showed that Ibn Khaldun has been deeply engaged into Revelation, which is one of the mysteries that the minds cannot realize because they are above their perceptions. He should stand at the texts of the Qur'an and Sunnah and did not exceed it, but he moved into details and went astray.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد:

فالوحي هو وسيلة الاتصال بين الله عز وجل وبين رسله إلى خلقه، وهو طريق لتبليغ المعرفة الإلهية إلى العباد، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، لذا فإن من الأهمية بمكان معرفة الوحي، وكيفيته، وطرقه.

ومعرفة الوحي وتفاصيله توقيفية؛ لأن الوحي من الأمور الغيبية التي لا يجوز الخوض فيها إلا بما جاء به الشرع الشريف؛ ويعد الكتاب والسنة المصدرين الأساسيين للوقوف على الوحي وتفاصيله، لأن العقل البشري لا يحسن الخوض في غمار الغيبات، ولا يستطيع الوقوف على كنهها، وذلك لما يتصف به من المحدودية في الإدراك، وقد أكثر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من الحديث عن الوحي بما يسد حاجتنا المعرفية، وتناول كثير من العلماء الحديث عن الوحي وكيفيته، وأنواعه، وإمكانية وقوعه، والشبهات التي أثيرت حوله، في ضوء الكتاب والسنة.

وكان العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى أحد هؤلاء العلماء الذين تناولوا الحديث عن الوحي في كتابه المتاع الموسوم بـ «المقدمة» وقد طالعت حديثه عن الوحي، بروية وتأن، فاتضح لي أنه بحاجة ماسة إلى دراسة وبحث.

من هنا جاء سبب اختياري لهذا الموضوع، بالإضافة إلى أهميته في بابه،

وعدم التطرق له بالدراسة.

أقوم بتناول طرح ابن خلدون للوحي بالدراسة في هذه الورقة البحثية،
سائلا الله عز وجل التوفيق والسداد.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث من خلال:

١- تناوله لقضية من القضايا العلمية الهامة، هي قضية الوحي من خلال طرح ابن
خلدون - رحمه الله - لها.

٢- إن البحث يوضح المصادر الهامة التي يتوجب الاعتماد عليها في الحديث
عن الوحي.

مشكلة البحث:

المشكلة التي يعالجها البحث هي طرح ابن خلدون لأمر الوحي، وينبثق عن
هذه المشكلة عدة تساؤلات أهمها:

١- ما مفهوم الوحي؟

٢- هل الأنبياء ينسلخون من البشرية إلى الملكية؟

٣- ما موقف العلماء من طرح ابن خلدون للوحي؟

٤- ما الإعدادات الإلهية للأنبياء لتلقي الوحي؟

٥- هل الأنبياء يتوجهون إلى الأفق الأعلى متى شاءوا؟

٦- ما خطورة البحث العقلي في الغيبات؟

منهج البحث:

المنهج المناسب الذي يتسق وطبيعة هذا البحث هو المنهج الاستقرائي،
المتضمن جمع أقوال ابن خلدون في الوحي ومقارنتها بأقوال العلماء، بالإضافة

- إلى بعض الأدوات اللازمة مثل:
- ١- نسبة الأقوال إلى أصحابها.
- ٢- نقل الأقوال من مصادرها.
- ٣- بيان الألفاظ الغريبة.
- ٤- عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار من مظانها، والحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين.
- ٥- الاعتماد على المصادر الأصلية، ذكراً اسم الكتاب، والجزء والصفحة، ومعلومات.

حدود الدراسة: تبحث الدراسة طرح ابن خلدون لموضوع «الوحي بتكليم الملك» من خلال كتابه «المقدمة».

الدراسات السابقة: التي لها صلة بموضوع البحث، هي:

- ١- ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية (عرض ونقد) للباحث عبد الله عبد الرشيد عبد الجليل، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٢٠م.

وفيها جمع الباحث آراء ابن خلدون الاعتقادية، وخصص الفصل الرابع لمسائل النبوة والولاية، ولم يتوقف عند مسائل البحث، بالتحليل والدراسة.

- ٢- الفكر الكلامي عن ابن خلدون، تأليف د. منى أبو زيد (طبع مجد- المؤسسة الجامعية للدراسات ١٩٩٧م).

تناولت المؤلفة في هذا الكتاب عرض فكر ابن خلدون الكلامي، وذكرت في

الفصل الرابع «النبوة عند ابن خلدون»، ولم تتوقف عند مسائل البحث بالدراسة والتحرير.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

- أما المقدمة: فتتحدث عن أهمية الموضوع، ومشكلته، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

- وأما التمهيد: فيتناول باختصار الحديث عن المصنف، والمصنف.

- المبحث الأول: بيان معنى الوحي.

- المبحث الثاني: الإعدادات الإلهية للأنبياء لتلقي الوحي.

- المبحث الثالث: توجه الأنبياء إلى الأفق الأعلى.

- المبحث الرابع: خطورة البحث في الغيبات.

- خاتمة البحث: وفيها أهم نتائج البحث ومقترحاته.

وهذا أوان البدء في المقصود، والله أسأل التوفيق والسداد.

التمهيد

التعريف بالمؤلف والمؤلف

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف:

أولاً: نسبه وكنيته: هو قاضي القضاة العلامة المؤرخ، الحكيم المشهور أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون

الحضرمي، الإشبيلي، المغربي، يكنى بأبي زيد. واشتهر بابن خلدون، نسبة إلى جده «خالد بن عثمان»^(١).

ثانياً: عقيدته: إن معرفة التوجه العقدي لأية شخصية، تسهم في بيان ملامحها، وابن خلدون أشعري العقيدة^(٢) صوفي، تأثر كثيراً بأراء أبي حامد الغزالي، كما تأثر بفلسفة ابن سينا وابن رشد.

ثالثاً: أسرته: ترجع أسرته إلى أصل عربي عريق، فهي من يمن حضرموت، اعتزل والده السياسة، واشتغل بالعلم، وكان على مكانة عالية في العربية والشعر وفنونه، وتوفي عن خمسة أبناء عمر وموسى ويحيى ومحمد وعبد الرحمن وهو (ابن خلدون)^(٣).

رابعاً: نشأته: ولد ابن خلدون ونشأ في تونس، في القرن الرابع عشر الميلادي، في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ، وترى في بيت علم، فنشأ فيه نشأة إسلامية، اتجه منذ حداثة سنه، بنفس تواقه وحماس منقطع النظير إلى تحصيل العلم أينما كان، فحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره، وقرأ القراءات السبع، ودرس التفسير والحديث والفقه والعقيدة، وعلوم العربية من نحو وصرف

١- مترجم له في: التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، لابن خلدون، ط، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٧، تاريخ ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، ٧ / ٣٧٩، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د.ت)، ١٣ / ١٥٥، الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ / ١٤٢٤هـ، ٣ / ٣٧٧، إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر، تحقيق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث، مصر ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ٢ / ٣٣٩، وغيرها.

٢- راجع مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١م، ١ / ٦٠٤، فقد عاصر العلامة ابن خلدون المتكلمين من الأشاعرة وتبني معتقداتهم، ودافع عنها، ويظهر هذا جلياً في مباحث الصفات، والأفعال الاختيارية. وهو يقول بالكلام النفسي، ويؤول الصفات التي توهم التشبيه. ومن راجع مقدمته تبين له هذا.

٣- تاريخ ابن خلدون، ٧ / ٥٠٣-٥٠٩.

وبلاغة وأدب، والمنطق، والفلسفة، والطبيعة، والرياضيات، وغيرها^(٤).

خامساً: مكانته العلمية: من المعروف أنه على قدر علم الرجل تكون مكانته، وعلى قدر حفظه وإتقانه تكون درجته، والواقف على سيرة ابن خلدون، يرى أنه كان على مكانة عالية في العلم، وعلى قدر كبير في الحفظ والإتقان.

ومن دلائل فضله أيضاً وشواهد نبهه ما حظي به من الثناء والمدح من العلماء وغيرهم^(٥).

سادساً: وفاته: مات فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة، ودفن بمقابر الصوفية، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوماً^(٦).

سابعاً: آثاره العلمية^(٧): له مؤلفات كثيرة من أهمها كتاب (المقدمة) وإليك نبذة مختصرة عنها في المطلب التالي:

- ٤- يُنظر: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، ص ٣٦.
- ٥- من أراد الوقوف على ذلك فليراجع: تاريخ ابن خلدون ٧/ ٥١٤، التعرف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، ص ٤١، ٢٠٣، المعجم المؤسس لابن حجر، تحقيق د. يوسف المرعشي، دار المعرفة-بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ٣/ ١٥٩، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٣/ ٣٧٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١/ ٧٢، مجاني الأدب في حدايق العرب، لرزق الله بن يوسف، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣، ٥/ ٢٩٤.
- ٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي، تحقيق: دكتور محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، ٧/ ٢٠٩.
- ٧- من مؤلفاته: (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لباب المحصل في أصول الدين، وشفاء السائل لتهديب المسائل، ومزيل الملام عن حكام الأنام، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً». هذه أهم كتب العلامة. يُنظر: الأعلام للزركلي، ٣/ ٣٣٠، تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، ٢/ ٢١٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٤م، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٣/ ٣٨٦.

المطلب الثاني التعريف بالمصنّف:

أما المصنّف فموسوم بـ (مقدمة ابن خلدون)، وهي الجزء الأول من كتاب العلامة ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، ألفه ابن خلدون أثناء إقامته بالمغرب في قلعة ابن سلامة، تفرغ له أربع سنوات من ٧٧٦-٧٨٠هـ، ونقحه بمصر، وقد نالت هذه المقدمة شهرة وصيتاً أكثر من الكتاب نفسه، وبمرور الأعوام تم اعتبار المقدمة كمؤلف مستقل، وحظيت بعناية كبيرة^(٨).

وتعتبر المقدمة من أفضل ما أُخط عن المجتمع في عصر ابن خلدون، لذا يعد ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع.

وكان ابن خلدون يفخر بهذا العلم الذي سطره في مقدمته، فكان يقول: «أطلعنا الله عليه من غير تعليم أرسطو...»^(٩).

وقد اشتملت هذه المقدمة على ستة أبواب:

الباب الأول: العمران البشري. الباب الثاني: العمران البدوي.

الباب الثالث: أمور الدولة والخلافة والملك. الباب الرابع: العمران الحضري.

الباب الخامس: المهن والمعيشة وأوجه الكسب. الباب السادس: العلوم المختلفة وكيفية تعلمها.

وهذه المقدمة تشهد لصاحبها بالريادة في هذا المجال، وتميزه بالعقلية العلمية، الناقدة الواعية.

٨- تاريخ ابن خلدون، ٧/ ٦٣٩، رحلة ابن خلدون، ص ١٨٨.

٩- تاريخ ابن خلدون، ١/ ٥٢.

المبحث الأول

بيان معنى الوحي

المطلب الأول: الوحي عند علماء اللغة:

قال ابن فارس: «الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في خفاء، أو غيره إلى غيرك»^(١٠).

وقال ابن منظور: «الوحي: الإشارة، والكتابة، والرّسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ وكلُّ ما ألقته إلى غيرك»^(١١)، وقال الزجاج: أصل الوحي في اللغة: كلها إعلام في خفاء، وقال الأزهري: وكذلك الإلهام يسمى وحيًا، وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيًا، والكتابة تسمى وحيًا^(١٢)، وقال الراغب: «أصل الوحي الإشارة السريعة»^(١٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: الوحي الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام^(١٤).

هذا هو معنى الوحي عند علماء اللغة، وهذه المعاني ترتبط بالمعنى الاصطلاحي للوحي برباط وثيق وتسهم في بيان معناه.

- ١٠- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ، ٦ / ٧٠.
- ١١- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٥ / ٣٧٩، تاج العروس، للزبيدي، ط، دار الهداية، (د.ت)، ٤٠ / ١٦٩.
- ١٢- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٥ / ١٩٣.
- ١٣- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٨٥٨.
- ١٤- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، ط، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٢ / ٣٩٧، ٥١٤١٦هـ.

المطلب الثاني: الوحي في الاصطلاح:

عرف العلماء الوحي في الاصطلاح بتعريفات عدة^(١٥) أفضلها:

قال الزهري: «الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله^(١٦) .

وقال ابن حجر: الوحي هو الإعلام بالشرع^(١٧) .

وقال العلامة الزرقاني: «أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر»^(١٨) .

ويكون على أنواع شتى:

منه ما يكون مكالمة بين العبد وربّه كما كلم الله موسى تكليماً.

ومنّه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً ولا يجد في شكاً.

ومنّه ما يكون مناماً صادقاً يجيء في تحقّقه كما يجيء فلق الصبح في تبلّجه وسطوعه.

ومنّه ما يكون بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو ملك، وصفه

١٥- يُنظر: مناهل العرفان، للزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢ (د.ت)، ١/٦٣، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبّة، مكتبته السنة - القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ، ص٨٤، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد، دار السلام - القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ، ص٢٩، علوم القرآن الكريم، لنور الدين عتر، مطبعة الصباح - دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ص١٥.

١٦- الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٣٩٤هـ، ١/١٦٠.

١٧- فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ١/٩.

١٨- مناهل العرفان، للزرقاني، ١/٦٣.

القرآن الكريم بـ«ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين»، سورة التكوير الآيات (٢٠-٢١). وذلك النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها. ووحي القرآن كله من هذا القبيل وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي^(١٩).

المطلب الثالث: معنى الوحي عند ابن خلدون:

قال ابن خلدون: «التلّقي من الملك والرّجوع إلى المدارك البشرية وفهمه ما ألقى عليه كله كأنه في لحظة واحدة، بل أقرب من لمح البصر؛ لأنه ليس في زمان، بل كلها تقع جميعاً فيظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيًا لأن الوحي لغة الإسراع»^(٢٠).

وقال «نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لها خاصية تستعدُّ بها للانسلاخ من الروحانية البشرية إلى الروحانية الملكية، حتى يصير ملكًا في تلك اللّمة التي انسلخت فيها. وهذا هو معنى الوحي»^(٢١).

وقال في موضع آخر وهو يتكلم عن علوم الأنبياء: «فوجب... أن يكون للنفس الإنسانية استعدادًا للانسلاخ من البشرية إلى الملكية، لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتًا من الأوقات، وفي لمحّة من اللّمحات، ثم تراجع بشريتها وقد تلقت في عالم الملكية ما كلفت بتبليغها إلى أبناء جنسها من البشر. وهذا هو معنى الوحي»^(٢٢).

دراسة وتعقيب:

نلاحظ مما سبق أن العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى اقتصر في بيانه لمعنى

- ١٩- ينظر: المصدر نفسه، ١/٦٣، الحديث في علوم القرآن والحديث، لحسن محمد أيوب، دار السلام- الإسكندرية، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٤٠.
- ٢٠- مقدمة ابن خلدون، ١/١٢٣-١٢٤.
- ٢١- المصدر نفسه، ١/٦٥٦.
- ٢٢- المصدر نفسه، ١/٥٩٨.

الوحي على مفهوم محدد عنده ألا وهو انسلاخ الأنبياء من البشرية إلى الملكية حتى يصيروا بالفعل من جنس الملائكة فيتلقوا من عالم الملكية ما أمروا بتبليغه.

ثم نراه يُبيّن أن هذا كله - أي الانسلاخ من البشرية والرجوع إليها بعد تلقي ما أمروا بتبليغه - لا يستغرق شيئاً من الزمن، وإنما يحدث في لمحة واحدة، ثم نراه يتوجه نحو اللغة ليغوص في بحارها باحثاً عن معنى من معاني الوحي يعضد به مراده، فذكر أن أحد معاني الوحي في اللغة الإسراع.

هذا هو معنى الوحي عند ابن خلدون، وهو في الحقيقة تصور فلسفي للوحي بعيد عن المفهوم الصحيح، وإن شئت قلت: إنها محاولة من العلامة ابن خلدون للتركيز على معنى الانسلاخ للأنبياء من البشرية إلى الملكية.

وقد أيد العلامة ابن خلدون طرحه السابق بأن الوحي في اللغة الإسراع، وهذا فيه نظر؛ لأن الإسراع - كما سبق في التعريف اللغوي للوحي - ليس من معاني الوحي، وإنما هو وصف لمعنى من معاني الوحي، كالإشارة السريعة، أو الإعلام السريع.

ويتضح لنا من هذا الطرح: أن العلامة ابن خلدون يتصور أن اتصال الأنبياء عليهم السلام بالملائكة، ولقاءهم بالملائكة، وسماعهم للكلام الإلهي، لا يتم إلا عن طريق الانسلاخ من البشرية إلى الملكية، وهذا فيه نظر، وسوف نبين ذلك في الصفحات التالية.

أما سبب تسمية الوحي بذلك فقد ذكر ابن خلدون أنه سمي بذلك لسرعته^(٢٣).

قلت: الأولى أن يقال: تسمية الوحي بذلك لخفائه على الخلق.

قال الأنباري: إنما سمي وحيًّا؛ لأن الملك أسره عن الخلق وخص به النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله إليه^(٢٤).

وبهذا يتبين لنا أن ابن خلدون ركز في توضيح معنى الوحي على بيان حالة الرسل أثناء الوحي لا على بيان معنى الوحي، وسيأتي تفصيل هذه الحالة في موضعها إن شاء الله.

المبحث الثاني

الإعداد الإلهي للأنبياء لتلقي الوحي

قال العلامة ابن خلدون في شرحه للوحي: «وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانياتها وروحانياتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير في لمحة من اللمحات ملكًا بالفعل، ويحصل له شهود الملائع الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني، والخطاب الإلهي في تلك اللمحة، وهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللمحة، وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبلتهم صورهم فيها، ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة»^(٢٥).

وقد أصّل ابن خلدون تصوره السابق من عدة روايات أوردها في ثنايا حديثه عن الوحي هي:

١- قال بعد طرحه السابق: وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله الحارث بن هشام، وقال كيف يأتيك الوحي،

٢٤- الزاهر في معاني كلمات الناس، لابن الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢، ٢/٣٤١، لسان العرب، لابن منظور، ١٥/٣٧٩، تاج العروس، للزبيدي، ٤٠/١٧١.

٢٥- المقدمة، ابن خلدون، ١/١٢٣.

فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول»^(٢٦).

٢- وقال-أي ابن خلدون- واعلم أن في حالة الوحي كَلِّها صعوبة على الجملة وشدة قد أشار إليها القرآن قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (سورة المزمل آية ٥-٥). وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان مما يعاني من التنزيل شدة». وقالت: «كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(٢٧)»، ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف، وسبب ذلك أن الوحي كما قررنا مفارقة البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدأ الوحي في قوله «فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ وكذا ثانية وثالثة». كما في الحديث^(٢٨).

دراسة وتعقيب:

إن من أغرب التفسيرات لحالات الوحي هذا التفسير الذي ذكره ابن خلدون والذي يتلخص في القول: بأن النبي ينسلخ من صورته البشرية كلية (جسمانيتها وروحانيتها) إلى الملكية ليحصل له مشاهدة الملائ الأعلى وتلقي الوحي.

وإليك تفنيد الأدلة التي أصل منها ابن خلدون هذا الطرح:

١- أما حديث الحارث بن هشام الذي أورده ابن خلدون أثناء حديثه عن الوحي، فقد أخرجه الشيخان في صحيحيهما ونصه: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث ابن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

٢٦- المصدر السابق، ١/ ١٢٤.

٢٧- المقدمة ابن خلدون، ١/ ١٢٤.

٢٨- المصدر نفسه، ١/ ١٢٣-١٢٤.

وسلم فقال يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالُ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا^(٢٩).

هذا الحديث يوضح كيفية مجيء الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، وجاء فيه ذكر حالتين من حالات الوحي:

الأولى: أنه صلى الله عليه وسلم قال: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالُ.

ومعناها: أن يأتي ملك الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل صلصلة الجرس، إيداناً ببدء الوحي.

ومعنى الصلصلة: هي في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، كالحديد، والنحاس، والصفير، ويابس الطين، وما أشبه ذلك. وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة. وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملك^(٣٠).

والحكمة من الصلصلة: «أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان

٢٩- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ..، كتاب بدء الوحي، ٦/١، ح ٢، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي، ٤/١٨١٦، ح ٢٣٣٣، واللفظ للبخاري.

٣٠- فتح الباري لابن حجر، ١/٢٠، والصلصلة صوت مرتبط بالوحي يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم عند مجيء الوحي إليه، ويسمعه أهل السماء عندما يتكلم الله بالوحي. ينظر سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م: كتاب السنة، باب في القرآن، ٧/١١٧، ح ٧٣٨.

لغيره»^(٣١)، «وكان هذا الصوت إعلان أن زمن وساعة الوحي قد جاءت فاستعد لها يا رسول الله»^(٣٢).

أما الحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه. قال الحافظ ابن حجر: «فإن الملك قد تمثل رجلاً في صور كثيرة.. كما في قصة مجيئه في صورة دحية وفي صورة أعرابي وغير ذلك وكلها في الصحيح»^(٣٣).

بعد هذا البيان لهذا الحديث، يتبين لنا أنه لم يذكر الانسلاخ، لا تصريحاً ولا تلميحاً، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم ينسلخ أو ينخلع من البشرية لصرح بذكره، كما صرح بذكر تمثل الملك في صورة بشرية، فلما لم يصرح بذكره توجب علينا الامسك عن القول به، وإذ قد تبين لنا ما سبق فالحديث لا يصلح دليلاً للقول بالانسلاخ.

٢- أما الروايتان اللتان أوردتهما عن السيدة عائشة، فالأولى تقول: «كان مما يعاني من التنزيل شدة»، وهذه الرواية لم أقف عليها في كتب السنة عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فسقطت من الاستدلال. والثانية: تقول: «كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفْصَدُ عَرَقًا»^(٣٤).

وهذه الرواية جزء من رواية الحارث بن هشام السابقة، والمتأمل فيها يرى أنها لا تشير إلى الانسلاخ لا تصريحاً ولا تلميحاً أيضاً، إنما تشير إلى الشدة التي كان يعانها النبي صلى الله عليه وسلم عند التنزيل، فيتصبب جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد، وقد صرح ابن عباس بهذه الشدة، كما عند البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] قال: كان رسول الله

٣١- فتح الباري، لابن حجر، ١/ ٢٠.

٣٢- تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ٥/ ٢٨٢٧.

٣٣- ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١/ ١٩.

٣٤- سبق تخريجه، ص ١٤.

صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفثيه..»^(٣٥).

العلة في شدة الوحي:

لا خلاف بين العلماء في أن الوحي كله شديد كما قال تعالى ﴿ إِنَّا سُلِّقْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا نَفِيلاً ﴾ (سورة المزمل آية ٥-٥)، وكما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق «كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة».

قال العلامة أبو شامة: وذلك لضعف القوة البشرية عن تحمل مثل ذلك الوارد العظيم من ذلك الجناب الجليل، وللولج من توقع تقصير فيما يخاطب به من قول أو فعل، وشدة ما يأخذ به نفسه من جمعه في قلبه وحفظه^(٣٦).

وإذا كان الوحي كله شديداً فإن أشد حالات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه مثل صلصلة الجرس كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث الحارث السابق: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ)، قال ابن حجر: يفهم منه أن الوحي كله شديد وأشدّه أن يأتيه مثل صلصلة الجرس^(٣٧).

وقد علل العلماء هذه الشدة بالآتي:

- قال البلقيني: «سبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به»^(٣٨).
- وقال السهيلي: «وقيل: إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون

٣٥- صحيح البخاري، ١/ ٨، ح ٥.

٣٦- ينظر: شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، لأبي شامة، تحقيق: جمال عزون، مكتبة العميرين العلمية- الشارقة، الإمارات، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ص ٧٤، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط ١، ١٣٥٦، ٥/ ٢٠٨.

٣٧- ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١/ ٢٠.

٣٨- المصدر نفسه، وينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٢/ ١٢.

أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى»^(٣٩).

• وقال ابن حجر: «الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود»^(٤٠).

أما فائدة هذه الشدة فهي: ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى له صلى الله عليه وسلم ورفع الدرجات^(٤١).

هذه هي أقوال العلماء في الشدة التي كانت تعتري النبي صلى الله عليه وسلم عند الوحي، وليس سببها الانسلاخ الذي يقول به ابن خلدون، إذ لو كان سببها الانسلاخ، لما عانى من التنزيل شدة، وذلك لمساواته للملك، أما وإنه صلى الله عليه وسلم كان يعاني من التنزيل شدة، فهذا دليل يثبت كونه صلى الله عليه وسلم على بشريته أثناء تلقيه للوحي من الملك ولم ينسلخ منها، وأما تفصده جبينه صلى الله عليه وسلم عرفاً فليل آخر على مجيئه الوحي وهو على هذه البشرية.

٣- وأما ما استدل به ابن خلدون من أن سبب الغط والغطيط الذي كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم، هو: «مفارقة البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر»^(٤٢) فمردود بما يأتي:

أ- أن معنى الغطيط هو: «صوت النفس المتردد من النائم، ويقال: صوت به بحوحة وهو كغطيط النائم، أي شخيرته وصوته الذي يردده في حلقة ومع نفسه، وسبب ذلك شدة الوحي وثقله، وهو كقوله تعالى ﴿إِنَّا سُلِّقْنَا عَلَيْنَا قَوْلًا

٣٩- الروض الأنف، للسهيلى، تحقيق: عمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٥٨ / ٢.

٤٠- ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١ / ٢٠.

٤١- المصدر نفسه، ينظر: إرشاد السارى، القسطلانى، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣ هـ، ١ / ٥٨، شرح الزرقانى على الموطأ، الزرقانى، ٢ / ١٢.

٤٢- المقدمة، ابن خلدون، ١ / ١٢٥.

تَقِيلًا ﴿٤٣﴾ .

ب- معنى الغط الوارد في حديث مبدأ الوحي بيّنه جمهور العلماء فقالوا معنى «فغطني»: أي ضمني وعصرني^(٤٤). وقال الزرقاني «وغطني بفتح الغين وتشديد الطاء المفتوحة أي ضمني ضمًا شديدًا حتى كان لي غطيط وهو صوت من حبست أنفاسه بما يشبه الخنق»^(٤٥)، إذًا فسبب الغط هنا: هو الضم الشديد الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من الملك، وليس الانسلاخ.

أما الحكمة من الغط فبيّنها الحافظ ابن حجر وغيره من العلماء فقالوا: «والحكمة في هذا الغط شغله عن الالتفات لشيء آخر، أو لإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهًا على ثقل القول الذي سيلقى إليه»^(٤٦)، وقال السهيلي: «كأن في ذلك إظهارًا للشدة والجد في الأمر، وأن يأخذ الكتاب بقوة ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهويني»^(٤٧).

وإذ قد تبين لنا مما سبق أن سبب الغط هو شدة الوحي وثقله، وسبب الغط الوارد في حديث مبدأ الوحي هو: الضم الشديد الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من الملك، فكيف يتأتى القول بأن السبب في ذلك هو الانسلاخ إلى الملكية؟

خلاصة ذلك أن الطرح الخلدوني السابق مردود؛ لأنه طرح عقلي محض لا

- ٤٣- عمدة القاري البدر، العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت)، ١٥٢/٩.
- ٤٤- فتح الباري، لابن حجر ١/ ٢٤، إرشاد الساري، للقسطلاني ١/ ٦٣، عمدة القاري، للبدر العيني ١/ ٥٠، شرح البخاري، للسفيري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ، ١/ ٢٠٧، مرقاة المفاتيح، للقاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٩/ ٣٧٣٠، طرح التثريب، للعراقي، الطبعة المصرية القديمة، (د.ت)، ٤/ ١٨٨.
- ٤٥- مناهل العرفان، الزرقاني، ١/ ٩٣.
- ٤٦- فتح الباري، لابن حجر ٨/ ٧١٨، التوشيح شرح الجامع الصحيح، للسيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ، ١/ ١٣٩، سبل الهدى والرشاد، للصالح، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ، ٢/ ٢٤٠.
- ٤٧- الروض الأنف، للسهيلي، ٢/ ٢٦٢.

دليل عليه، وغير خاف على أولي الألباب أن العقل لا يمكنه الوقوف على الغيبات ولا معرفة كنهها؛ لأنها فوق طاقته ومداركه، وليسعه الوقوف عند النصوص الواردة عن الشارع في ذلك.

ثانيًا: موقف العلماء من طرح ابن خلدون:

ينحصر موقف العلماء من طرح ابن خلدون السابق في ثلاثة:

الأول: المؤيدون له: أيد ابن خلدون في طرحه السابق، نصر حامد أبو زيد، خلا أن نصرًا جعل الانسلاخ من البشرية إلى الملكية، يخص الوحي بالسنة^(٤٨).

الثاني: الناقلون لقول ابن خلدون دون تعليق، من هؤلاء: العلامة تقي الدين المقرئزي (٨٤٥هـ)^(٤٩)، والدكتور رؤوف شلبي^(٥٠). فقد أورد ابن خلدون ولم يعلقا عليه بقبول أو رفض.

الثالث: المعارضون له:

١- قال الدكتور عدنان: «هل ينخلع الرسول من صورته البشرية ليتلقى عن الملك، أم يدخل الملك في صورة بشرية ليوحي إلى الرسول! وكل ذلك افتراضات لا سند لقائلها يعول عليه، وليست مثل هذه القضايا الغيبية مما يدخل تحت الفروض والاحتمالات العقلية الكثيرة، وما نعرفه من الوحي وما شاهده الصحابة بأنفسهم - ولم يزيدوا عليه من افتراضاتهم - إنما هو آثاره التي كانت تبدو على النبي صلى الله عليه وسلم من الجهد والمشقة. وما كان خبر السماء يهبط به أمين السماء إلا أمرًا جليلاً هياً الله تعالى له نبيه الذي اصطفاه وخاطبه بقوله: ﴿ إِنَّا سُنَّلِقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ . وقد أحسن الحاكم -

٤٨ - مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، لنصر حامد، مكتبة الفكر الجديد، ط١، ١٤٢٠م، ص٧٤.
٤٩ - إمتاع الأسماع، لتقي الدين المقرئزي (٨٤٥هـ)، تحقيق، محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣٨٣/٢.
٥٠ - الدعوة الإسلامية في عهد المكي مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، دار القلم، ط٣، (د.ت)، ص٤٨٨.

رحمه الله- في عدم خوضه في هذه الموضوعات، سواء في تفسيره أو في كتبه الأخرى التي وقفنا عليها^(٥١).

٢- وقال الدكتور مساعد بن سليمان: «إن ما يحكيه بعضهم من كيفية إتيان الملك للرسول صلى الله عليه وسلم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية، فذلك مما لا دليل عليه»^(٥٢).

ثالثاً: الطرح الخلدوني في ميزان الشرع:

لا يخفى على أحد أن الوحي من الأمور الغيبية، التي لا يجوز الخوض فيها بعيداً عن الكتاب والسنة، إذ هما المصدران الأساسيان للمعرفة الغيبية. ومن استقرأ الكتاب والسنة ليعثر على دليل يؤيد طرح ابن خلدون السابق رجع وهو حسير، إذ لا يوجد دليل قط يؤيد هذا الطرح من قريب أو بعيد، وقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن الوحي بما يشبع الحاجة المعرفية، وإليك بيان أهم الآيات والأحاديث التي تمت بصلة إلى هذه المسألة:

أما القرآن الكريم: فقد ذكر الله عز وجل طرق تبليغ المعرفة الإلهية للبشر في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ﴾^(٥٣).

فهذه الآية ذكرت ثلاثة طرق لتبليغ المعرفة الإلهية وهي: الوحي، والكلام من وراء حجاب، وأن يرسل الله رسولا، ولم يذكر الله عز وجل فيها إشارة أو تلميحاً أن الرسل ينسلخون من البشرية عند تلقي الوحي.

٥١- الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، لعدنان زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٤١٢.

٥٢- المحرر في علوم القرآن، لمساعد بن سليمان، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢، ١٤٢٩هـ، ص٦٢.

٥٣- سورة الشورى آية (٥١).

أما السنة: فقد سبق ذكر الروايات التي تبين كيفية اللقاء بين الملك والرسول، ولم يقف الباحث على رواية تؤيد طرح ابن خلدون.

ولقد سبرت كتب التفسير وكتب السنة وشروحها - حسب جهدي - فلم أظفر في واحد منها على دليل يؤيد القول بالانسلاخ أو الانخلاع للنبي صلى الله عليه وسلم من البشرية إلى الملكية ولو بالإشارة أو التلميح.

رابعاً: أقوال العلماء في كيفية الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

قد تحدث بعض العلماء عن كيفية الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وها هي أقوال بعضهم:

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث الحارث بن هشام السابق: «والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع وهي هنا: إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول: وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني والأول أشد بلا شك»^(٥٤).

ونقل هذا القول عنه كثير من العلماء منهم: السفيري^(٥٥)، والصالحى^(٥٦)، والزرقانى^(٥٧)، وغيرهم.

وقال فهد الرومى: «الوحي يقوم على اتصال بين جبريل عليه السلام وهو «ملك» وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وهو «بشر»، وحين يكون حديث بين اثنين عربي وعجمي - مثلاً - فإن التفاهم بينهما يحتاج إلى أن يتعلم أحدهما لغة الآخر، والوحي اتصال بين «ملك» و«بشر»، فالأمر يحتاج إلى غلبة البشرية على الملك فيفهم البشر كلامه، أو غلبة الروحانية على البشر فيسهل على الملك

٥٤ - فتح الباري لابن حجر، ١ / ٢٠.

٥٥ - شرح البخاري، للسفيري، ١ / ١٧٢.

٥٦ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحى، ٢ / ٢٦٧.

٥٧ - شرح الزرقانى على الموطأ، ٢ / ١٢.

تبليغه^(٥٨).

وإذا كان بعض علماء علوم القرآن عبروا عن هذه المناسبة التي تكون بين القائل والسامع بالانخلاع من حالة البشرية إلى حالة الملكية^(٥٩)، فقد قيدها البعض بغلبة الروحانية على النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من أن يسبق إلى الذهن أن مرادهم من كلمة (الانسلاخ أو الانخلاع)، هو الانخلاع الكلي من البشرية إلى الملكية، كما قال ابن خلدون.

فقد قال السفيري: «فينسلخ صلى الله عليه وسلم عن وصف البشرية ويتصف بصفة الملك بأن يغلب عليه الروحانية»^(٦٠)، وقال الذهبي رحمه الله: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينخلع عن حالة البشرية إلى الحال الملكية، وذلك بغلبة روحانيته، حتى يزول التنافر ويحصل التلاؤم الذي لا بد منه بين المتكلم والسامع»^(٦١)، وقال حسن ضياء: «التخاطب يتطلب تناسباً وتلاؤماً بين المتكلم والسامع، ولا يحصل هذا إلا بأمرين: إما أن يتصف النبي بوصف ملك الوحي باستثارة الروحانية فيه وتقويتها وتغليبها على الأوصاف الجسدية... وإما أن يتصف المتكلم (ملك الوحي) بوصف النبي»^(٦٢)، ولو أمسكوا عن هذا المصطلح - الانسلاخ، أو الانخلاع - لكان خيراً.

والذي يحصل لنا مما سبق أن القول بالانسلاخ للنبي صلى الله عليه وسلم من البشرية جملة (جسمانيتها وروحانيتها) إلى الملكية ويصير ملكاً بالفعل، قول مردود، إذ لا دليل عليه من الكتاب أو السنة، وغاية الأمر - كما يقول كثير من

٥٨ - دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص ١٨٤.

٥٩ - البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١ / ٢٢٩، الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ١ / ١٥٦.

٦٠ - شرح البخاري، للسفيري، ١ / ١٧٢.

٦١ - الوحي والقرآن، للذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ١٠.

٦٢ - ينظر: وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، د. حسن ضياء الدين عتر، دار المكتبي، ط ١،

١٩٩٩م - ١٤١٩هـ، ص ١١٦.

العلماء- أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تغلب عليه الروحانية، ليحصل التناسب بينه وبين الملك.

وقد أحسن القاضي عياض إذ أمسك عن الخوض في مثل هذه الأمور التي لا دليل عليها فقال في تعليقه على حديث الحارث بن هشام: «ما جاء من مثل ذلك يُجرى على ظاهره وكيفيته مما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تعالى ومن أطلعته على شيء من ذلك من ملائكته ورسله، وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان»^(٦٣).

وقال المؤلفون للتفسير الوسيط: «وقد يأتي الوحي دون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للملك وإنما يسمع عند قدومه دويًا أو صلصلة شديدة لا يعلم إلا الله كنهها وحقيقتها فيعتريه صلى الله عليه وسلم حالة روحية لا يدرك الحاضرون منها إلا أماراتها الظاهرة مثل ثقل البدن وتفصد جبينه الشريف عرقًا»^(٦٤).

ومن الأدلة التي تؤكد عدم الانسلاخ من البشرية إلى الملكية الآثار التي شاهدها الصحابة رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تلقيه للوحي وهي:

١- تفصد جبينه عرقًا، قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفْصَدُ عَرَقًا»^(٦٥).

٢- كانت تأخذه البرحاء، قال زيد بن ثابت: كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا

٦٣- شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ٣٧٢٤/١٢، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، للبرماوي (٨٣١هـ)، تحقيق: لجنة بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٣هـ، ٣٩ / ١.

٦٤- التفسير الوسيط، تأليف مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٣٩٣هـ، ٧٧٧ / ٩.

٦٥- سبق تخريجه، ص١٤.

مثل الجمان^(٦٦).

٣- ثقل جسمه ثقلاً شديداً، قال زيد بن ثابت: «أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي»^(٦٧).

٤- الكرب، قال عبادة بن الصامت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه كرب^(٦٨).

فكل هذه الآثار المحسوسة التي شاهدها الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تلقيه للوحي لتدل دلالة قاطعة على عدم الانسلاخ من البشرية إلى الملكية.

إن تلقي الوحي والاتصال بالملأ الأعلى لا يحتاج إلى الانسلاخ من البشرية كما زعم ابن خلدون، ولو أنه ذهب إلى القول بأن الله عز وجل أعد أنبياءه إلى مثل هذا اللقاء لكان أجمل وأحسن، وها أنا ذا أذكر بعض جوانب الإعداد الإلهي لنبيه صلى الله عليه وسلم.

أولاً: حفظ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وعنايته به.

ثانياً: شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم، وهذه الحادثة وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة.

أما الأولى: فكانت وهو صبي، وكانت لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك^(٦٩).

٦٦- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢، (د.ت)، ١٤٢/٥، ح ٤٨٨٩.

٦٧- صحيح البخاري، ١/٨٣.

٦٨- صحيح مسلم، كتاب المناقب، بيان صفة لون رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٤/١٨١٧، ح ٢٣٣٤.

٦٩- ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ١/١٤، ح ٢٦١.

أما الثانية: فكانت عند مجيء جبريل عليه السلام له بالوحي في غار حراء، وهدفها: التهيئة ليتلقى ما يوحى إليه من أمور الرسالة بقلب قويّ وهو على أكمل الأحوال وأتمّ الاستعداد^(٧٠).

أما الثالثة: فكانت ليلة الإسراء والمعراج، ليتهيأ صلى الله عليه وسلم لمناجاة الرب العلي عز وجل، وشهوده الملائ الأعلى، ورؤية الآيات الباهرات في الأرض والسماوات، وذلك كله يحتاج إلى تهيئة واستعداد^(٧١).

ثالثاً: أن الله تعالى زوده بملكات خاصة، فكان يرى ما لا يراه البشر، ويسمع ما لا يسمعه البشر.

١- فقد كان صلى الله عليه وسلم يرى من عالم الغيب ما لا يراه غيره، فكان يرى الملائكة، والجن، والشياطين^(٧٢).

٢- أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع ما لا يسمع غيره^(٧٣).

المبحث الثالث

توجه الأنبياء إلى الأفق الأعلى

قال العلامة ابن خلدون في شرحه للوحي:

«وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة، جسمانياتها وروحانياتها، إلى الملائكة من الأفق الأعلى... فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا بتلك الفطرة التي فطروا عليها»^(٧٤).

٧٠- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/ ٤٦٠.

٧١- ينظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، صحيح البخاري، ٤/ ١٠٩، ح ٣٢٠٧.

٧٢- المصدر نفسه: كتاب المناقب، باب ذكر الجن، ٥/ ٤٦، ح ٣٨٦٠.

٧٣- ينظر: صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ٤/ ١٧٨٢، ح ٢٢٧٧.

٧٤- مقدمة ابن خلدون، ١/ ١٢٣.

دراسة وتعقيب:

ذكر العلامة ابن خلدون أن الرسل عليهم السلام ينسلخون من البشرية إلى الملائكة، ويصيرون ملائكة بالفعل، ويحصل لهم شهود الملائكة الأعلى وتلقي الوحي، وقد بينا ذلك.

وهنا يذكر أن التوجه إلى الأفق الأعلى، يكون رهن مشيئة الأنبياء عليهم السلام.

وهذا القول مردود، ولم يقل به أحد سوى ابن خلدون، وإذا توقفنا مع هذا القول تبين لنا ما يأتي:

أولاً: أنه يتناقض مع الشرع الحنيف، الذي يقرر أن الاتصال بالملائكة الأعلى لا يكون إلا بإذن الله تعالى وأمره، وليس رهن مشيئة أحد قط، فقد بينت النصوص: أنه ليس لسيدنا جبريل عليه السلام، ولا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد من الأنبياء من أمر الوحي شيء، فتكليم الله لبعض الأنبياء ولقاء جبريل عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام، كان بأمر وإذن من الله عز وجل، والأدلة على ذلك ما يأتي:

أولاً: قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧٥).

قال الإمام البغوي في قوله ﴿يَاذِنِ اللَّهُ﴾ ، أي: بأمر الله^(٧٦) .
قال العلامة الرازي: «أما قوله تعالى. ﴿يَاذِنِ اللَّهُ﴾ فالأظهر بأمر الله وهو أولى
من تفسيره بالعلم لوجوه .

أولها: أن الإذن حقيقة في الأمر، مجاز في العلم، واللفظ واجب الحمل على
حقيقته ما أمكن .
وثانيها: أن إنزاله كان من الواجبات، والوجوب مستفاد من الأمر لا من
العلم .

وثالثها: أن ذلك الإنزال إذا كان عن أمر لازم كان أوكد في الحجة .
إذا فاتصال الملك بالنبى لا يكون إلا بإذن الله تعالى ، وأمره^(٧٧) .

٢- قوله تعالى ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾^(٧٨) .
وفي سبب نزول هذه الآية أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله
عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما
تزورنا؟ فنزلت: ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾^(٧٩) .

فسبب النزول يبين لنا ما يأتي:

١- أن الوحي لا يتنزل إلا بأمر الله تعالى .

٧٦- معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ،
١ / ١٤٥، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف: هاشم محمد علي، دار
طوق النجاة، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢ / ١٢٨ .

٧٧- مفاتيح الغيب، للرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ٣ / ٦١٢، اللباب في علوم
الكتاب، لابن عادل، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط ١،
١٤١٩هـ، ٢ / ٣١٤، فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،
صيدا-بيروت، ١٤١٢هـ، ١ / ٢٣٠ .

٧٨- سورة مريم، آية (٦٤) .

٧٩- صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٤ / ١١٢، ح ٣٢١٨ .

٢- أن الوحي كان ينقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً فيشتاق إلى جبريل عليه السلام.

٣- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبريل عليه السلام أن يكثّر من زيارته، فيعذر له جبريل بأنه عبد مأمور لا ينزل إلا بأمر إلهي^(٨٠).

ثانياً: ومما يرد قول ابن خلدون أيضاً ما يأتي:

النوازل التي كانت تنزل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بأحد ممن حوله، وكانت هذه النوازل تتطلب إجابة ملحة أو معالجة سريعة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر قول الوحي؛ لأنه لا يملك إجابة لها أو حلاً، وربما طال الانتظار به، لحكمة يعلمها الحكيم سبحانه، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوجه إلى الأفق الأعلى متى شاء - كما يقول ابن خلدون - لفعل وأخرج نفسه من طائلة الانتظار بجواب أو حل لهذه النوازل، ومن هذه النوازل التي نزلت به:

١- حادثة الإفك الشهيرة: وهذه الحادثة تمس النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اتهم المنافقون السيدة عائشة في عفتها وطهارتها، ولاك المنافقون هذه الفرية، حتى بلغت القلوب الحناجر والنبي صلى الله عليه وسلم لا يملك من الأمر شيئاً، فلم يزد أن قال لعائشة: «يا عائشة، أما إنه بلغني كذا وكذا»، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»، وقد لبث النبي صلى الله عليه وسلم ما يزيد على الشهر لا يوحى إليه، وكان صلى الله عليه وسلم يتألم أشد الألم مما يقوله المنافقون، حتى نزل عليه الوحي ببراءة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها والقصة في البخاري^(٨١).

٨٠- منار الفاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد، مكتبة دار البيان، دمشق-السورية، ١٤١٠هـ، ٤/١٥٩.

٨١- صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً)، ١٠١/٦، ح ٤٧٥٠، وانظر: تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ، ٣/٥٠٨، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخان، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ٣/٢٨٥.

٢- أسئلة كفار قريش التي وجهت للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن لديه صلى الله عليه وسلم جواب عنها، وانتظر خمسة عشر يوماً، لا يأتيه الوحي فيها حتى أرفج أهل مكة، وأحزن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف^(٨٢).

فهذه الأمثلة وغيرها ترد قول ابن خلدون السابق، وتبين: أن التوجه إلى الأفق الأعلى لا يكون بمشية أحد، إنما يكون بأمر الله ومشيته.

المبحث الرابع

خطورة البحث العقلي في الغيبات

رأينا فيما سبق التفسير الخلدوني للوحي، وبيننا أنه تفسير مخالف لنصوص الشرع؛ لأن العلامة ابن خلدون انطلق في تفسيره للوحي انطلاقاً عقلياً، متأثراً بالفلسفة والتصوف، فقد كان ابن خلدون رحمه الله - كما ذكرنا في ترجمته - صوفياً متأثراً بأراء أبي حامد الغزالي، وبفلسفة ابن سينا وابن رشد.

ومن المسلمات التي لا تقبل الجدل: أن العقول لا مجال لها في الغيبات؛ لأنها فوق طورها ومداركها.

وإذا كان الشرع الشريف قد أعلى من شأن العقول ورفع مكانتها، وجعلها مناط التكليف، فقد حدد لها المجال الذي تخوض فيه حسب ما منحها من قدرات، فجعل عالم الشهادة هو الميدان الرحب الذي تصول فيه وتجول، وفتح لها أبوابه على مصاريعها للتأمل والتدبر والتفكير، قال تعالى ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ

٨٢- تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ٥/١٢٣، لباب النقول، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، (د.ت)، ص١٢٩.

وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١]، وقال ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠].

أما عالم الغيب، فأغلق أبوابه أمامها ومنعها من ولوجه والخوض فيه إلا بسلطان قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِيهِ آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانِ اتَّهَمُوا إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]؛ لأن عالم الغيب خارج عن أدواتها، فإذا أقحمت فيه كبت وتعثرت، وحادت عن الصواب، وأوضح مثال على ذلك ما ذكرناه سابقاً، وهو الطرح العقلي للوحي عند ابن خلدون.

وقد جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تثبت قصور العقول عن إدراك الأمور الغيبية منها قوله تعالى ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فالعقل لا يمكنه إدراك حقيقة الروح فضلاً عن تصورها.

وقد أشار العلامة السفاريني إلى خطورة البحث العقلي في الغيبات فقال: «تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة، ونصب من غير عائدة، وطمع في غير مطمع، وكد من غير منجع»^(٨٣).

وقد أبت جماعة إلا أن تقحم عقولها في الغيبات، التي لا يمكن لها إدراكها، بل لا يمكن لها تصورها البتة، لبعدها عن طورها ومداركها، وإليك بعض النماذج لهؤلاء الذين خاضوا في الوحي وأصروا على تفسيره تفسيراً عقلياً، لا يتفق والشرع الشريف:

١- الفيلسوف الجزائري محمد أركون، الذي يذهب إلى تأليه العقل، وهو صاحب المشروع الذي أسماه (نقد العقل الإسلامي)، ويهدف من ورائه

٨٣- لوامع الأنوار البهية، لشمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ -، ١٠٥/١.

إلغاء فكرة القداسة، ويعتبر أن الألوهية والنبوة والوحي ظهرت في مرحلة حرجة من تاريخ العرب، وتحكمها عوامل تاريخية.

فقد ذهب أركون إلى تفسير الوحي بأنه «حدوث معنى جديد في الفضاء الداخلي للإنسان»^(٨٤). ليس هذا فحسب بل يعتبر الوحي ظاهرة اجتماعية «تظهر فيها لغة جديدة لكي تعدل جذرياً من نظرة الإنسان عن وضعه وعن كينونته في العالم، وعن علاقته بالتاريخ وعن فعاليته في إنتاج المعنى»^(٨٥).

٢- وأما المفكر التونسي عبد المجيد الشرفي ففسر الوحي بأنه «حالة استثنائية يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات، ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته!»^(٨٦).

٣- وأما نصر حامد أبو زيد، فإنه يذهب إلى أن للخيال الإنساني أثراً بارزاً في النبوة والوحي، ويقول: «إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم الخيال معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية المخيلة الإنسانية التي تكون في الأنبياء -بحكم الاصطفاء والقطرة- أقوى منها عند من سواهم من البشر، فإذا كانت فاعلية الخيال عند البشر العاديين لا تتبدى إلا في حالة النوم وسكون الحواس عن الاشتغال بنقل الانطباعات من العالم الخارجي إلى الداخلي، فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرين دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء، وليس معنى ذلك -بأي معنى من المعاني- التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفعاليتها، فالنبي يأتي دون شك على قمة الترتيب، يليه

٨٤- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، ط٤، ٢٠١٢، ص٨٣.

٨٥- المصدر نفسه، ص٨٣.

٨٦- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، ص٤٢، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.

الصوفي، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب»^(٨٧).

فهذه تصورات عقلية منحرفة أنتجتها عقول تتخبط في ظلمات الجهل، بهدف القضاء على قداسة الوحي، ومحاولة جعله منتجاً ثقافياً، لا يمت إلى السماء بصلة، ولا يخفى على اللبيب خطورة هذا الاتجاه العقلي الذي يزوج العقول في ميادين الغيب التي لا تحسن السباحة فيها.

قال دراز رحمه الله تعالى في الرد على الاتجاه العقلي: «وهذا الرأي هو الذي يروجه الملحدون اليوم باسم «الوحي النفسي» زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاءونا برأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، لا يختلف عنه في جملته ولا في تفصيله. فقد صوروا النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذاً شاعر. ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه، وما ذلك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته، فهو إذاً الجنون أو أضغاث الأحلام. على أنهم لم يطبقوا الثبات طويلاً على هذه التعليقات، فقد اضطروا أن يهجروا كلمة «الوحي النفسي» حينما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلية»^(٨٨).

والله أعلم

٨٧- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص ٤٩.
٨٨- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٩٧.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد توقفنا فيما سبق مع موضوع [الوحي بتكليم الملك عند ابن خلدون] ندعو الله أن نكون قد أوفينا، راجين من الله الاستفادة منه، وفيما يأتي النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

١- أن الوحي من الغيبات التي لا يجوز لنا الخوض فيها بعيداً عن الكتاب والسنة.

٢- أن الكتاب والسنة، هما المصدران الأساسيان للغيبات.

٣- أن الله أعد أنبياءه إعداداً خاصاً لتلقي الوحي.

٤- أن الأنبياء لا ينسلخون من البشرية كلية إلى الملكية.

٥- أن الأنبياء لا يتوجهون إلى الأفق الأعلى متى شاءوا.

٦- أن العلامة ابن خلدون قد عمد إلى تفسير الوحي تفسيراً غريباً لا يتلاءم ونصوص الشرع الحنيف

المقترحات:

أقترح جمع التأويلات الخاطئة للوحي، ودراستها دراسة علمية، تتفق مع نصوص الكتاب والسنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتيقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الأندلسي، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٤ / ١هـ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧ / ١٣٢٣هـ.
- أسباب نزول القرآن، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق عصام ابن عبد المحسن، دار الإصلاح - الدمام، ط ٢ / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥ / ٢٠٠٢ م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- إنباء الغمر بأبناء العمر، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث، مصر ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩ م.

- الأنساب ، لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١ / ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، ط، دار الهداية.
- تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ (ت ١٤٠٨هـ)، ٢ / ٢١٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ٢ / ١٩٩٤ م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلامة محمد الأمين الهري، مراجعة: هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١ / ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م).
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط ١ / ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١ / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ / ٢٠٠١ م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، لعبدان محمد زر زور، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- رحلة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، للحافظ جلال الدين السيوطي - للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رتبته وعلق عليه: عصام موسى هادي، دار الصديق - توزيع مؤسسة الريان، ط ٣ / ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط ١ / ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط ١ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- شرح صحيح البخاري، لعلي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، ط ٢ / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١ / ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- علوم القرآن الكريم، لنور الدين عتر، مطبعة الصباح - دمشق، ط ١ / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، قدّم له: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط / ١ - ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، لسراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط ١ / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣ / ١٤١٤ هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط ٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مجاني الأدب في حقائق العرب، لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، سنة ١٩١٣ م.
- مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.

- المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة - القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١١ - ١٩٩٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط ١ / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ / ١٤٢٠ هـ.
- المعجم المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق د. يوسف المرعشي، دار المعرفة - بيروت، ط ١ / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤.
- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣ / ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط ١ / ١٤١٢ هـ.

- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، لنصر حامد أبي زيد، مكتبة الفكر الجديد، ط ١ / ٢٠١٤ م.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
- مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط ١ / ١٤٠١ م - ١٩٨١.
- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٢.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق: دكتور محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد محمد معبد (ت ١٤٣٠هـ)، دار السلام - القاهرة، ط ٢ / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، ونقد مزاعم المستشرقين، د. حسن ضياء الدين عتر، دار المكتبي، ط ١، سنة ١٩٩٩ م - ١٤١٩هـ.

تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم
وأثره في الأحكام الشرعية
تأصيلاً وتطبيقاً

د. سلمان بن صمايل السلمي
الكلية الجامعية بأملج - جامعة تبوك
المملكة العربية السعودية



ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذا البحث يتعلق بموضوع مهم له أثر كبير في خلاف الفقهاء وفي استنباطاتهم الفقهية وهو تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في الأحكام الشرعية (تأصيلاً وتطبيقاً)، ويحتوي هذا البحث على تمهيد، ومبحثين، وخاتمة. التمهيد ذكرت فيه بيان معنى العام، والتخصيص، وفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما المبحث الأول فقد تناولت فيه الجانب التأصيلي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: آراء الأصوليين في تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، والمطلب الثاني في الأدلة والمناقشة، وأما المطلب الثالث فجعلته في الترجيح، وترجع لدى الباحث القول الأول القائل بجواز تخصيص عموم الكتاب أو السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لقوة أدلته وسلامتها من المعارض، وفيه جمع بين أدلة الشريعة، وذكرت في المبحث الثاني الجانب التطبيقي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وأوضحت فيه أثر اختلافهم الأصولي في الأحكام الشرعية وانتظم ثلاث مسائل مختارة هي: استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة، مباشرة الحائض، المقاتلون المستحقون للسلب، وتضمنت الخاتمة أهم نتائج البحث.

وبالله التوفيق،،،

Abstract

The specification of the general in the Prophet's (PBUH) deed and its effect on the Shari'ah provisions (Rooting and Application)

Dr. Salman Smail Alsulmi

Praise be to Allah alone, and peace and blessings be upon the seal of prophets:

This research discusses a very important subject that has a significant influence on the scholars' dispute and their jurisprudential inferences i.e., The Specification of the General in the Prophet's deed (Peace Be Upon Him) and its effect on the Shari'ah Provisions (Rooting and Application). The research contained a preface, two chapters and conclusion.

The preface focused on the definition of general, specification and the Prophet's deed (Peace Be Upon Him). The first chapter dealt with the rooting aspect of the specification of general in the Prophet's deed (Peace Be Upon Him) in three issues.

1. The fundamentalists' opinions in the specification of the general in the Prophet's deed (Peace Be Upon Him).

2. Evidences and discussion.

3. Preferring which is likely preferring the first opinion which authorized the general issues in Qur'an or Sunnah in the Prophet's deed (Peace Be Upon Him) due to strength and safety of adversaries as well as collecting the Shari'ah evidences. In the second chapter, discussed the applied aspect in the specification of the general in the Prophet's deed (Peace Be Upon Him) and clarified the impact of their fundamental difference in the Shari'ah provisions in three selected issues giving preference to one narration of Hadith or statement of a scholar over another narration on the same topic due to the greater authenticity of the former).

1. Reception or turning the back to Qiblah in relieving oneself case.

2. The sexual intercourse of menstruating woman.

3. Fighters who deserved looting.

The conclusion included the most important results of the research.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فإن مبحث الدلالات اللفظية عند الأصوليين لاسيما مباحث العموم والخصوص من أعظم المباحث الأصولية أهمية في الاستدلال والاستنباط، ولها أثر كبير في خلاف الفقهاء وفي استنباطاتهم الفقهية؛ ولأهمية مسائل دلالات الألفاظ على الأحكام الشرعية أردت أن أسهم فيها ببحث مسألة من مسائله يجمع بين التأصيل والتطبيق وهي مسألة تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

إشكالية البحث

هل فعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخالف عموم النص في القرآن أو السنة في بعض أفراده يكون مخصصا لذلك العموم أو لا؟ وهل لذلك أثر في الأحكام الشرعية؟.

الدراسات السابقة

تطرق بعض الأصوليين لهذه المسألة تبعا لما في مصنفاتهم الأصولية كالزركشي والآمدي لكنهم اقتصروا فيها على الجانب التأصيلي دون توسع، كما أنهم لم يتعرضوا للجانب التطبيقي للمسألة ولم أجد أحداً من الباحثين تعرض لها ببحث مستقل مما اطلعت عليه من قوائم الكتب والمؤلفات والأبحاث العلمية.

وقد جعلت عنوان البحث (تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في الأحكام الشرعية تأصيلا وتطبيقا).

وقد قسمت البحث إلى تمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

أما التمهيد فقد تناولت فيه: بيان معنى العام، والتخصيص، وفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: الجانب التأصيلي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آراء الأصوليين في تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأدلة والمناقشة.

المطلب الثالث: الترجيح.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة.

المطلب الثاني: مباشرة الحائض.

المطلب الثالث: المقاتلون المستحقون للسلب.

الخاتمة: أهم نتائج البحث.

وقد كان منهجي في البحث المنهج الاستقرائي المتمثل في جمع المادة العلمية، وفحصها، ودراستها، والمنهج التحليلي في عرض الأدلة ومناقشتها،

وقمت بما يتطلبه المنهج العلمي في البحوث من الرجوع إلى المصادر الأصلية إلا عند الحاجة، وتوثيق النصوص من مظانها، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وعزو الآيات لسورها، وتخريج الأحاديث والآثار، وترجمة للأعلام غير المشهورين ووضع قائمة للمصادر والمراجع.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه سميع مجيب.

التمهيد: في بيان معنى العام، والتخصيص، وفعل النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً: تعريف العام

الفرع الأول: تعريف العام في اللغة.

العام في لغة العرب: اسم فاعل مشتق من العموم بمعنى الشمول والإحاطة ومنه سميت العمامة؛ لأنها تشمل وتحيط بالرأس، ويقال عم المطر إذا شمل جميع البلاد كما يطلق العموم على الكثرة والاجتماع ومنه عامة الناس؛ لكثرتهم، وكذا القرابة إذا توسعت وكثرت أشخاصها تسمى قرابة العمومة^(١).

الفرع الثاني: تعريف العام في اصطلاح الأصوليين.

عرف الأصوليون العام بتعريفات كثيرة وسأذكر نماذج من أشهر تلك التعريفات، واختيار التعريف الأنسب منها.

١- ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د، ط، د، ت (١٢ / ٤٢٥-٤٢٦)، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، دار الفكر، لبنان، د، ط، د، ت (ص ١٦٣)، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، لبنان، د، ط، ١٤٠٣هـ (ص ١٠٥٢) مادة «عمم»، السمرقندي، علاء الدين محمد بن أحمد ت ٥٣٩هـ، ميزان الأصول تحقيق د. عبد الملك السعدي، مطبعة الخلود د، م، ط، ١٤٠٧هـ (١ / ٣٨٥).

عرف أبو الحسين البصري^(٢) العام بقوله: «العام هو كلام مستغرق لجميع ما يصلح له»^(٣)، واعترض عليه الأمدي^(٤) من وجهين:

الأول/ أنه عرف العام بالمستغرق، والمستغرق مرادف للعام والمطلوب شرح المسمى الحقيقي أو الرسمي وما ذكره خارج عن القسمين.

الثاني/ أنه غير مانع لأنه يدخل فيه قول القائل: «ضرب زيد عمرا» فإنه لفظ مستغرق لجميع ما يصلح له وليس بعام^(٥).

وعرف أبو حامد الغزالي^(٦) العام فقال: «العام عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعدا»^(٧).

اعترض عليه الأمدي بأنه غير جامع، ووجه ذلك أن لفظ المعدوم والمستحيل من الألفاظ العامة ولا دلالة له على شيئين فصاعدا.

كما أن هذا التعريف غير مانع، ووجه ذلك أن لفظ عشرة، مائة ليس من الألفاظ العامة وإن كان مع اتحاده دالا على شيئين فصاعدا وهي الأحاد الداخلة فيها^(٨).

٢- هو محمد بن علي بن الطيب، أحد أئمة المعتزلة من مؤلفاته: المعتمد في أصول الفقه، شرح الأصول الخمسة توفي سنة ٤٣٦هـ، ينظر ترجمة في: ابن العماد، عبدالحى بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مطبعة القدس، القاهرة، (د. ط)، ١٣٥٠هـ (٣/ ٢٥٩).

٣- البصري، أبو الحسين محمد بن علي ت ٤٣٦هـ، المعتمد في أصول الفقه، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ (١/ ٢٠٣).

٤- هو سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الأمدي من أبرز علماء الكلام من مؤلفاته: أبحاث الأفكار، الإحكام في أصول الأحكام توفي سنة ٦٣١ ينظر ترجمة في: ابن العماد، شذرات الذهب (٥/ ١٤٤).

٥- ينظر: الأمدي، سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ت ٦٣١هـ، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي، دار العيصي، الرياض، ١٤٢٤هـ (٢/ ٢٤٠، ٢٤٢).

٦- هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، من أبرز علماء الشافعية من مؤلفاته: المستصفي، المنحول وغيرهما توفي سنة ٥٠٥هـ ينظر ترجمته في: السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح الحلو وزميله، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٣هـ (٦/ ١٩١)، ابن العماد، شذرات الذهب (٤/ ١٠).

٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت ٥٠٥هـ، المستصفي من علم الأصول، تحقيق د. حمزة زهير حافظ، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٣٤هـ (٢/ ٧١١).

٨- ينظر: الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٢٤٠-٢٤١).

وعرّف الرازي^(٩) العام فقال:

«اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد»^(١٠)

وعرّف العام ابن الحاجب^(١١) فقال:

«ما دل على مسميات باعتبار أمر اشتركت فيه مطلقا ضربة^(١٢)»^(١٣)، كما عرفه

البيزدوي^(١٤) بقوله: «هو كل لفظ ينتظم جمعا من الأسماء لفظا أو معنى»^(١٥).

وسبب اختلاف الأصوليين في تعريف العام كان لاختلافهم في مسألتين:^(١٦)

الأولى: هل العموم حقيقة في المعاني كما هو حقيقة في الألفاظ، أو هو حقيقة

في الألفاظ مجاز في المعاني؟

٩- هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي من أبرز علماء الشافعية من مؤلفاته: المحصول في علم الأصول، والمعالم في أصول الفقه وغيرها توفي سنة ٦٠٦هـ ينظر ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية (٨ / ٨١).

١٠- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت ٦٠٦هـ، المحصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ (٢ / ٣٠٩).

١١- هو عثمان بن عمر بن أبي بكر جمال الدين المعروف بابن الحاجب، من أبرز علماء المالكية من مؤلفاته: الجامع بين الأمهات في الفقه، والمختصر في أصول الفقه وغيرهما توفي سنة ٦٤٦هـ ينظر ترجمته في: إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت (٢ / ٦).

١٢- معنى ضربة: أي دفعة واحدة ليخرج نحو رجل وامرأة، فإنه يدل على مسميات لا دفعة، بل دفعات على سبيل البدل. ينظر: الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد ت ٧٥٦هـ، شرح مختصر المنتهى، المطبعة الاميرية بولاق، مصر، ط ١، ١٣١٦هـ (٢ / ٩٩)، يعقوب الباحسين، دلالات الألفاظ في مباحث الأصوليين، دار التدمرية، الرياض، ط ١، ١٤٣٤هـ (١ / ٤٦٠).

١٣- ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر ت ٦٤٦هـ، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، مطبوع مع شرح العضد الإيجي، المطبعة الاميرية بولاق، مصر، ط ١، ١٣١٦هـ (٢ / ٩٩).

١٤- هو فخر الإسلام علي بن محمد بن الحسين البيزدوي، من أبرز علماء الحنفية من مؤلفاته: كنز الوصول إلى معرفة الأصول، وشرح الجامع الصغير وغيرهما توفي سنة ٤٨٢هـ، ينظر ترجمته في: المراغي، عبدالله مصطفى، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، محمد أمين دمج وشركاؤه، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ (١ / ٢٨٦).

١٥- البيزدوي، فخر الإسلام علي بن محمد الحنفي ت ٤٨٢هـ، أصول البيزدوي، مطبوع مع شرحه كشف الأسرار، تحقيق عبدالله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط)، ١٤١٨هـ (١ / ٥٣).

١٦- ينظر: السمرقندي، ميزان الأصول (١ / ٣٨٥-٣٨٦).

فالذين عرفوا العام بـ (الكلام) أو (اللفظ) كأبي الحسين البصري، والغزالي، والرازي ذهبوا إلى أن العموم حقيقة في الألفاظ فقط وهو مذهب أكثر الأصوليين.

والذين عرفوا العام بـ(ما) كما في تعريف ابن الحاجب ذهبوا إلى أن العموم حقيقة في الألفاظ والمعاني^(١٧) الثانية: هل يشترط في العموم الاستغراق أو أن المشترط فيه الجمع فقط؟ فالذين ذكروا قيد الاستغراق في التعريف أو ما يدل عليه، كأبي الحسين البصري والرازي وغيرهم، ذهبوا إلى أن العموم يشترط فيه الاستغراق بجميع أفراد، وهو مذهب جمهور الأصوليين.

والذين ذكروا قيد الجمع في التعريف أو ما يدل عليه كالبردوي وغيره ذهبوا إلى أن العموم يشترط فيه الكثرة دون الاستغراق، وهو مذهب لبعض الأصوليين^(١٨).

التعريف المختار:

يعتبر تعريف الرازي للعام بأنه «اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد» من أجود التعريفات المتقدمة؛ وذلك لكونه جامعاً لأفراد المحدود، ومانعاً من دخول غيره فيه وهو أسلم التعريفات وأشهرها وقد تبعه أكثر من جاء

١٧- للاستزادة في أدلة المسألة ومناقشتها، ينظر: السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت (١/ ١٣٩)، الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام (٢/ ٢٤٤)، أمير بادشاه، محمد أمين الحنفي، تيسير التحرير شرح كتاب التحرير في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت (١/ ١٩٤).

١٨- للاستزادة في أدلة المسألة ومناقشتها ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بهادر بن عبدالله ت ٧٩٤هـ، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير د/ عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة، الغردقة، ط ٢، ١٤١٣هـ، (٤/ ١٤) ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوح ت ٩٧٢هـ، شرح الكوكب المنير، مكتبة العبيكان، الرياض، (د. ط)، ١٤١٨هـ (٣/ ١٤٢).

بعده كتاج الدين الأرموي في الحاصل^(١٩)، والقاضي البيضاوي في المنهاج^(٢٠) وغيرهما.

شرح التعريف:

(اللفظ) جنس في التعريف يشمل العام والخاص والمطلق والمشترك، وذكر بعض الأصوليين: أن بقوله (اللفظ) أخرج الأفعال؛ لأنها لا تقع إلا مشخصة غير مستغرقة كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة فإنها إما أن تكون فرضاً أو نفلاً^(٢١).

وقوله: «المستغرق لجميع ما يصلح له» أي: الشامل شمولاً استغراقياً لجميع ما وضع اللفظ له، ويخرج به ما ليس مستغرقاً استغراقاً شمولياً كالخاص والمطلق.

وقوله: «بحسب وضع واحد» قيد يخرج اللفظ المشترك الذي يدل على معانيه المتعددة بأوضاع متعددة^(٢٢).

ثانياً: تعريف التخصيص

الفرع الأول: تعريف التخصيص في اللغة.

التخصيص في اللغة مصدر للفعل خصّص ويطلق في اللغة على معنيين:

الأول: الإفراد يقال: خصّص فلاناً بالشيء وخصه به جعله منفرداً به.

١٩- ينظر: الأرموي، تاج الدين محمد بن الحسين ت ٦٥٣هـ، الحاصل من المحصول، تحقيق د. عبد السلام محمد أبو ناجي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، (د. ط)، ١٩٩٤م (ص ٤٩٩).

٢٠- ينظر: البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، منهاج الوصول إلى علم الأصول، مطبوع مع شرحه نهاية السؤل تحقيق د/ شعبان اسماعيل، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ (١/ ٤٤٢).

٢١- ينظر: يعقوب الباحثين، دلالات الألفاظ (١/ ٤٦٣)، الجاربردي، فخر الدين أحمد بن حسن ت ٧٤٦هـ، السراج الوهاج في شرح المنهاج، تحقيق د/ أكرم أوزيقان، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ (١/ ٤٩٧).

٢٢- ينظر: الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن ت ٧٧٢هـ، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق د/ شعبان اسماعيل، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ (١/ ٤٤٤-٤٤٥).

الثاني: التمييز والتفضيل، يقال: خصه بكذا أي ميزه عن غيره^(٢٣).

الفرع الثاني: تعريف التخصيص في اصطلاح الأصوليين.

اختلف علماء الأصول في تعريف التخصيص، فالتخصيص عند جمهور الأصوليين يختلف عن التخصيص عند الحنفية وسبب ذلك اختلافهم في بعض الشروط الواجب توافرها في الدليل حتى يكون مخصصا فالجمهور يرون أن دليل التخصيص يصح أن يكون مستقلا بنفسه مقارنا أو متراخيا عنه ويصح أن يكون غير مستقل ولذلك تجدهم في تعريفهم للتخصيص لم يشترطوا أن يكون الدليل مستقلا أو غير مستقل بخلاف الحنفية الذين يشترطون في التخصيص أن يكون الدليل مستقلا مقارنا للفظ العام فيذكرونه في التعريف^(٢٤).

وسأذكر بعضا من تعريفات الجمهور للتخصيص وتعريفا للحنفية، فمن تعريفات الجمهور للتخصيص:

عرف أبو إسحاق الشيرازي^(٢٥) التخصيص بقوله: «هو إخراج بعض ما دخل في اللفظ العام بدليل»^(٢٦)، وعرفه الرازي بقوله: «هو إخراج بعض ما تناوله الخطاب عنه»^(٢٧)، وعرفه ابن الحاجب بقوله: «التخصيص هو قصر العام على بعض مسمياته»^(٢٨).

٢٣- ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٨٠ / ٥) مادة: (خصص)، الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص ٦١٧) مادة: (خصه)، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د. م. د. ط، د. ت (١٧ / ٥٥٠) مادة: (خصص).

٢٤- ينظر: أمير باد شاه، تيسير التحرير (١ / ٢٧١)، الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم ت ٤٧٦هـ، شرح اللمع، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ١٤٠٨هـ (١ / ٣٤٨)، الرازي، المحصول (٣ / ٣٥)، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق علي محمد معوض وزميله، عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ (٣ / ٢٣٤).

٢٥- هو إبراهيم بن علي بن يوسف جمال الدين الفيروز أبادي، من أبرز علماء الشافعية، من مؤلفاته: المهذب، اللمع وشرحه وغيرهما توفي سنة ٤٧٦هـ. ينظر ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية (٤ / ٢١٥).

٢٦- الشيرازي، شرح اللمع (١ / ٣٤١).

٢٧- الرازي، المحصول (٣ / ٦).

٢٨- الأصفهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن ت ٧٤٩هـ، بيان المختصر شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب في أصول الفقه، تحقيق د. محمد مظهربقا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ط، د. ت (٢ / ٢٣٥).

وبهذا التعريف أخذ ابن السبكي^(٢٩) مع تغييره لفظ مسمياته إلى أفراده فقال: «قصر العام على بعض أفراده»^(٣٠).

وأما تعريف الحنفية للتخصيص فقال عبدالعزيز البخاري^(٣١): إن الحد الصحيح على مذهب الحنفية هو قصر العام على بعض أفراده بدليل مستقل مقترن به^(٣٢).

التعريف المختار:

يعتبر تعريف ابن السبكي رحمه الله للتخصيص بأنه «قصر العام على بعض أفراده» من أجود وأسلم التعريفات، ومن خلال شرح هذا التعريف وبيان محترزاته يظهر ذلك.

شرح التعريف:

قوله: «قصر العام» أي قصر حكمه فإن العام يبقى مع التخصيص لكن بقاءه يكون لفظاً لا حكماً^(٣٣) كما يشمل هذا القصر الإخراج لبعض ما تناوله اللفظ بلا تعرض للباقي^(٣٤).

٢٩- هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، من أبرز علماء الشافعية من مؤلفاته: الإبهاج شرح المنهاج، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب وغيرها، توفي سنة ٧٧١هـ ينظر ترجمته في: ابن حجر، الدرر الكامنة (٣/ ٣٩).

٣٠- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ، جمع الجوامع في أصول الفقه، مطبوع مع حاشية البناني على شرح جلال الدين المحلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٥٦هـ (٢/ ٢).

٣١- هو علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد البخاري، من أبرز علماء الحنفية، مؤلفاته: كشف الأسرار، وغاية التحقيق وغيرها توفي سنة ٧٣٠هـ ينظر ترجمته: المراغي، الفتح المبين (٢/ ١٤١).

٣٢- البخاري، علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد ت ٧٣٠هـ، كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ١٤١٨هـ (١/ ٦٢١).

٣٣- ينظر: ابن النجار، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٦٨).

٣٤- ينظر: الشربيني، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ت ١٣٢٦هـ، تقارير الشربيني على حاشية البناني لجمع الجوامع، مطبعة الحلبي، مصر، (د. ط)، ١٣٥٦هـ (٢/ ٢)، التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر ت ٧٩٣هـ، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح، مصر، (د. ط)، د. ت (١/ ٧٤).

والمراد بالعام هو العموم الشمولي لا العموم البدلي فيخرج بهذا تقييد المطلق فإنه لا يسمى تخصيصا ويشمل ما كان عمومه لفظيا أو عرفيا أو عقليا^(٣٥).

وقوله: «على بعض أفراده»: خرج به قصر العام عن كل أفراده فيكون بذلك نسخا لا تخصيصا^(٣٦).

ثالثا: تعريف فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

لفظ فعل النبي صلى الله عليه وسلم مركب تركيب إضافة من كلمتين هما: فعل، والنبي، والمراد بالفعل في اللغة هو: إحداث شيء من عمل وغيره، ويطلق الفعل على حركة الانسان.

قال ابن منظور^(٣٧) في معني الفعل بأنه كناية عن كل عمل متعدد أو غير متعدد^(٣٨).

والمراد بالفعل عند الأصوليين: هو إحداث الشيء من عمل وغيره ولا يشمل كل الأفعال بحسب اصطلاحات علماء النحو والصرف فنحو: كان، وصار، وعاش هذه أفعال عند الصرفيين لكنها ليست أفعالا عند الأصوليين؛ لأن من نسبت إليه لم يفعلها^(٣٩).

٣٥- ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله ت ٧٩٤هـ، تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تحقيق د. عبدالله ربيع وزميله، مؤسسة قرطبة، د. م، ط ٢، د. ت (١٥٠/٢).

٣٦- ينظر: العطار، حسن بن محمد بن محمود الشافعي ت ١٢٥٠هـ، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت (٣٠/٢)، السبكي، رفع الحاجب (٢٢٧/٣).

٣٧- هو محمد بن جلال الدين بن مكرم الأنصاري، من أبرز علماء اللغة من مؤلفاته: لسان العرب، مختصر العقد الفريد وغيرهما توفي سنة ٧١٢هـ له ترجمه في: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ (٤٣٩/٢٢).

٣٨- ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة: (فعل)، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ (٥١١/٤).

٣٩- ينظر: الأشقر، محمد بن سليمان، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦، ١٤٢٤هـ (٥١/١).

وأما النبي في لغة العرب فهو مشتق من النبأ وهو الخبر^(٤٠) قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿﴾ (النبأ: ١-٢)، وسمي النبي نبيا لأنه مخبر أي أن الله تعالى أخبره وأوحى إليه^(٤١) قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحریم: ٣).

والمراد بالنبي: هو من أوحى إليه، وبعث لتقرير شرع من قبله من الرسل، وأما الرسول فهو من أوحى إليه بشرع جديد^(٤٢)، وهذا عندما يذكر النبي والرسول في مكان واحد.

والمقصود بفعل النبي صلى الله عليه وسلم: هو ما نقل إلينا من أفعال النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يكون فيه أسوة لأمتة ويستدعي الاتباع^(٤٣).

المبحث الأول: الجانب التأصيلي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آراء الأصوليين في تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأدلة والمناقشة.

المطلب الثالث: الترجيح.

٤٠- ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٣/ ١٦١، ٧٣).

٤١- ينظر: السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي ت ١١٨٨هـ، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ (١/ ٤٩).

٤٢- ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني ت ١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبدالله عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ (١٧/ ١٥٧).

٤٣- ينظر: أبو شامة المقدسي ت ٦٦٥هـ، المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق د. محمود صالح جابر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٣٢هـ، (ص ١٨٩).

المطلب الأول: آراء الأصوليين في تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا ورد لفظ عام في القرآن أو السنة، ووقع فعل من النبي صلى الله عليه وسلم يخالف ذلك العموم في بعض أفرادها فهل يكون فعله تخصيصاً لذلك العموم أو لا؟^(٤٤) اختلف الأصوليون في ذلك على قولين^(٤٥):

القول الأول/ جواز تخصيص عموم الكتاب أو السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول جماهير العلماء^(٤٦).

القول الثاني/ عدم جواز تخصيص عموم الكتاب أو السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول بعض الأصوليين منهم الكرخي^(٤٧).

سبب الخلاف:

سبب الخلاف في المسألة هو هل فعل النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمة اتباعه فيه، أو أنه مختص به؟

٤٤ - يتوقف هذا الخلاف على القول بأن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم شرع لأمة وليس خاصاً به ينظر: الأمدى، الإحكام في أصول الإحكام (٢/ ٤٠٢) الزركشي، البحر المحيط (٣/ ٣٨٧).

٤٥ - أضاف الزركشي ثلاثة أقوال أخر مجردة عن أدلتها وهي:
القول الأول: التفريق بين الفعل الظاهر فيخص به العموم وبين الفعل المستتر فلا يخص به العموم.
القول الثاني: التفريق بين ألا يظهر كون الفعل من خصائصه فيخص به العموم فإن اشتهر كونه من خصائصه فلا يخص به العموم.

القول الثالث: الوقف. ينظر: الزركشي، البحر المحيط (٣/ ٣٨٧-٣٨٨).
ولم أجد لهذه الأقوال أدلة في كتب الأصول، وأكثر الأصوليين جعلوا الخلاف في هذه المسألة على قولين مع ذكر أدلتها.

٤٦ - ينظر: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ت ٤٨٩هـ، قواطع الأدلة في أصول الفقه، تحقيق د/ عبدالله الحكمي وزميله، مكتبة التوبة، (د. م)، ط ١، ١٤١٩هـ (١/ ٣٧٦)، الأمدى، الإحكام في أصول الإحكام (٢/ ٤٠٢) أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ت ٤٥٨هـ، العدة في أصول الفقه، تحقيق د/ أحمد سير المبارك، (د. ن)، (د. م)، ط ٢، ١٤١٠هـ (٢/ ٥٧٣) الزركشي، البحر المحيط (٣/ ٣٨٧) الأنصاري، محمد بن نظام الدين، فوائح الرحموت شرح مسلم الثبوت، مطبوع بهامش المستصفي للغزالي، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط ١، ١٣٢٢هـ (١/ ٣٧٩).

٤٧ - ينظر: السمعاني، قواطع الأدلة (١/ ٣٧٦)، الأمدى، الإحكام في أصول الإحكام (٢/ ٤٠٢) ابن النجار، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٧٢).

فمن قال إن فعل النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته ولا يكون مختصاً به إلا بدليل ذهب إلى جواز تخصيص العموم بفعله، ومن قال بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم مختص به ولا يشرع لأُمَّته اتباعه فيه إلا بدليل ذهب إلى عدم جواز تخصيص العموم بفعله^(٤٨).

المطلب الثاني: الأدلة والمناقشة.

استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ (النساء: ١١)، ولما ورث النبي صلى الله عليه وسلم ابنتي سعد بن الربيع^(٤٩) الثلثين^(٥٠)، دل على أن الآية إنما قصدت الاثنتين فما فوق^(٥١).

ثانياً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)

فلما قالت عائشة وميمونة^(٥٢): كانت إحدانا إذا حاضت اتزرت ودخلت مع

٤٨ - ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٤٠٢)، الرازي، المحصول (٣/ ٨١)، صفي الدين الهندي، محمد بن عبدالرحيم الأرموي الهندي ت ٧١٥هـ، نهاية الوصول في دراية الأصول، تحقيق د. صالح بن سليمان اليوسف وزميله، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ، (٤/ ١٦٧١)، الزركشي، البحر المحيط (٣/ ٣٨٧).

٤٩ - هو سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي، صحابي جليل، استشهد يوم أحد له ترجمة في: يوسف بن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ (٢/ ٥٨٩).

٥٠ - هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٤١٤) - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث البنات برقم ٢٠٩٢ وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

٥١ - ينظر: أبو يعلى، العدة (٢/ ٥٧٣).

٥٢ - هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٧هـ، توفيت سنة ٤٩هـ، لها ترجمة في: ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ (٨/ ١٩١).

رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعاره^(٥٣)، دل أنه أراد الجماع فخص العموم بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم^(٥٤).

ثالثاً: إن المسلمين أجمعوا على تخصيص قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) برجم النبي صلى الله عليه وسلم لما عز^(٥٥).

رابعاً: قياس فعل النبي صلى الله عليه وسلم على قوله، فكما أنه يجوز تخصيص العموم بقوله صلى الله عليه وسلم، فكذلك يجوز التخصيص بفعله^(٥٦).

استدل أصحاب القول الثاني القائلون بعدم جواز تخصيص العموم بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

بأن الفعل يحتمل أن يكون مخصوصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأمته فيه سواء، فلا يجوز أن يخص بهذا الفعل المشكوك العموم المتيقن.

أجيب: بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم تشريع إلا أن يدل دليل على خصوصيته به، وإلا فالظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الفعل فجاز التخصيص به^(٥٧).

٥٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الحيض - باب مباشرة الحائض برقم ٢٩٩ ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية ومطبعاتها، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٧هـ (١/ ٤٨١).

٥٤ - ينظر: أبو الخطاب بن محفوظ بن أحمد الكلوذاني ت ٥١٠هـ، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق مفيد محمد أبو عمشة وزميله، مؤسسة الريان، لبنان، ط ٢، ١٤٢١هـ (٢/ ١١٦).

٥٥ - ينظر: المرجع نفسه (٢/ ١١٦)، وحديث رجم معاذ بن مالك الأسلمي أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الحدود - باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت؟ برقم ٦٨٢٤، ينظر: ابن حجر، الفتح (١٢/ ١٣٨).

٥٦ - ينظر: أبو الخطاب، التمهيد (٢/ ١١٧).

٥٧ - ينظر: أبو يعلى، العدة (٢/ ٥٧٨)، أبو الخطاب، التمهيد (٢/ ١١٧).

المطلب الثالث: الترجيح

بعد مناقشة أدلة المسألة ترجح لدى الباحث القول بجواز تخصيص عموم الكتاب أو السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول جمهور الأصوليين؛ وذلك لقوة أدلته وسلامتها من المعارض، ولوقوع هذا النوع من التخصيص في أحكام الشريعة المجمع عليها، كما حصل فعل الرجم من النبي صلى الله عليه وسلم لما عزم، كان هذا الفعل تخصيصاً لعموم قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢)، كما أن هذا القول فيه جمع بين أدلة الشريعة.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي لتخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم. يظهر أثر اختلاف الأصوليين في تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم في المطالب الآتية:

المطلب الأول: استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة

المطلب الثاني: مباشرة الحائض

المطلب الثالث: المقاتلون المستحقون للسلب

المطلب الأول: استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة.

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول/أنه لا يجوز استقبال القبلة واستدبارها لقضاء الحاجة مطلقاً سواء في الصحراء أو البنيان، وهو قول سفيان الثوري^(٥٨)، وأبي حنيفة ورواية عن الإمام أحمد^(٥٩).

٥٨- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، أحد الأئمة المجتهدين توفى سنة ١٦١هـ، له ترجمة في: ابن العماد، شذرات الذهب (١/ ٢٥٠).

٥٩- ينظر: الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود ت ٥٨٧هـ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت (٥/ ١٢٦)، ابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي ت ٦٢٠هـ، المغني، تحقيق د/ عبدالله التركي وزميله، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣، ١٤١٧هـ (١/ ٢٢١).

واستدلوا بعموم النهي في حديث أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غائط ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا»^(٦٠).

وأما حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: «رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة»^(٦١)، فقالوا: بأنه فعل من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو محمول على أنه خاص به صلى الله عليه وسلم، وقالوا: بأن النهي مقدم على الإباحة^(٦٢).

القول الثاني/ أنه يجوز استقبال القبلة، واستدبارها لقضاء الحاجة مطلقا سواء في الصحراء أو البنين، وهو قول عروة^(٦٣)، وداود^(٦٤).

واستدلوا بحديث جابر رضى الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة ببول فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها^(٦٥)، وهذا دليل على النسخ فيجب تقديمه^(٦٦).

٦٠ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء - باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء جدار أو نحوه برقم (١٤٤)، ينظر: ابن حجر، الفتح (١/ ٢٩٥).

٦١ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء - باب التبرز في البيوت - برقم ١٤٨ ينظر الفتح (١/ ٣٠١).

٦٢ - ينظر: ابن قدامة، المغني (١/ ٢٢١)، ابن حجر، فتح الباري (١/ ٢٩٦).

٦٣ - هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أحد فقهاء المدينة السبعة توفى سنة ٩٤هـ له ترجمة في: ابن العماد، شذرات الذهب (١/ ١٠٣).

٦٤ - هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، إمام أهل الظاهر، من مؤلفاته إبطال القياس وغيره توفى سنة ٢٧٠هـ له ترجمة في: ابن العماد، شذرات الذهب (٢/ ١٥٨).

٦٥ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الطهارة - باب الرخصة في استقبال القبلة بغائط أو بول - برقم ٩، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ت ٢٧٩هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وزملاؤه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ (١/ ١٥).

٦٦ - ينظر: ابن قدامة، المغني (١/ ٢٢٠).

أجيب: بأن حديث جابر يحتمل أنه رآه في البنيان أو مستترا بشيء ولا يثبت النسخ بالاحتمال^(٦٧).

القول الثالث/ أنه يجوز استقبال القبلة، واستدبارها لقضاء الحاجة في البنيان دون الصحراء، وهو قول جمهور العلماء من المالكية، والشافعية، والحنابلة^(٦٨).

واستدلوا بحديث أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غائط ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا»^(٦٩)، وبحديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: «رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة»^(٧٠)، فحديث أبي أيوب عام يدل على حرمة استقبال القبلة، واستدبارها مطلقا سواء في الصحراء أو البنيان.

أما حديث ابن عمر فيدل على جواز استقبال القبلة، واستدبارها؛ لفعله صلى الله عليه وسلم، ويمكن الجمع بين هذين الحديثين؛ بأن يحمل حديث ابن عمر على جواز الاستقبال والاستدبار في البنيان، فيكون فعله صلى الله عليه وسلم مخصصا لعموم حديث أبي أيوب^(٧١)، وهذا القول هو الراجح، وهو متفرع على القول بجواز تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه جمع بين الأدلة.

٦٧- ابن قدامة، المغني (١/ ٢٢١).

٦٨- ينظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي ت ٦٨٤هـ، الذخيرة، تحقيق محمد حجي وزملاؤه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م (١/ ٢٠٤)، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري ت ٤٥٠هـ، الحاوي في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق علي محمد معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ (١/ ١٥٠)، ابن قدامة، المغني (١/ ٢٢١).

٦٩- سبق تخريجه.

٧٠- سبق تخريجه.

٧١- ينظر: ابن قدامة، المغني (١/ ٢٢١)، ابن حجر، فتح الباري (١/ ٢٩٦).

المطلب الثاني: مباشرة الحائض

اتفق العلماء على جواز استمتاع الزوج بزوجته الحائض في زمن الحيض فيما فوق السرة ودون الركبة، كما أنهم اتفقوا على حرمة الوطء في الفرج زمن الحيض^(٧٢). واختلف العلماء في الاستمتاع فيما بين السرة والركبة على قولين:

القول الأول: أنه لا يجوز الاستمتاع بالحائض فيما بين السرة والركبة، وهو قول جمهور العلماء من الحنفية، والمالكية، والشافعية^(٧٣).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

فدلت الآية على وجوب الامتناع عن مباشرة الحائض أثناء الحيض، وعدم جواز أي نوع من أنواع المباشرة من جماع، وغيره إلا أن هذا العموم خصص بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأترز بإزار ثم يباشرها»^(٧٤)، وهذا فعل منه صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على تخصيص العموم في الآية، وأن المراد بها النهي عن الجماع^(٧٥).

القول الثاني: أنه يجوز الاستمتاع بالحائض فيما بين السرة والركبة، وإليه ذهب أحمد، وهو مروى عن عكرمة، وعطاء، والشعبي، وهذا القول هو الراجح؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢)؛ حيث إن المحيض اسم لمكان الحيض كالقبل والمبيت، فتخصيصه موضع الدم بالاعتزال

٧٢- ينظر: ابن قدامة، المغني (١/ ٤١٤)

٧٣- ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع (٥/ ١١٩)، ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد ت ٥٩٥هـ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ (١/ ٤١)، الماوردى، الحاوي (١/ ٣٨٤).

٧٤- سبق تخريجه.

٧٥- ينظر: أبو يعلى، العدة (٢/ ٥٧٤).

دليل على إباحته فيما عداه^(٧٦)، وما روه عن عائشة دليل على حل ما فوق الإزار لا على تحريم غيره، وقد يترك النبي صلى الله عليه وسلم المباح تقذرا؛ كتركه أكل الضب والأرنب^(٧٧).

المطلب الثالث: المقاتلون المستحقون للسلب

اختلف الفقهاء فيمن يستحق السلب^(٧٨) من المقاتلين:

فذهب أبو ثور، وداود، وابن المنذر إلى أن السلب يستحقه كل من قتل كافرا^(٧٩)؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلا فله سلبه»^(٨٠).

وذهب الشافعي إلى عدم إعطاء السلب لكل قاتل بل يختص ذلك بمن قتل قتيله عند الإقبال دون الإدبار، وحال قيام الحرب دون حال الانهزام^(٨١)، وهذا هو القول الراجح؛ وذلك لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لم يعط السلب إلا في حال الإقبال دون الإدبار، وحال قيام الحرب دون حال الانهزام، فكان فعله مخصصا لعموم قوله صلى الله عليه وسلم «من قتل قتيلا فله سلبه».

٧٦- ابن قدامة، المغني (١/ ٤١٥).

٧٧- ينظر: المرجع نفسه (١/ ٤١٦).

٧٨- المراد بالسلب هو ما يأخذه المقاتل المسلم من قتيله الكافر في الحرب مما عليه من ثياب وآلات الحرب، ومن مركبه الذي يقاتل عليه وما عليه من سرج ولجام. ينظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المتوفى ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وزميله، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٩هـ (٢/ ٣٨٧)، النووي، محي الدين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ (٦/ ٣٧٤).

٧٩- ينظر: ابن قدامة، المغني (١٣/ ٦٩).

٨٠- أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب استحقاق القاتل سلب القتل برقم (١٧٥١).

٨١- ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس ت ٢٠٤هـ، الأم، ومعه الرسالة للإمام الشافعي وبهامشه مختصر المزني، بيمنى الهند حاملي محله، د. ط، د. ت (٤/ ٦٦-٦٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

- فهذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث وهي كالتالي:
- أهمية باب تخصيص العموم عند الأصوليين وظهور أثره في الاستدلال والاستنباط مما كان له عظيم الأثر في المسائل الفقهية.
 - المراد بالفعل عند الأصوليين هو إحداث الشيء من عمل وغيره ولا يشمل كل الأفعال بحسب اصطلاحات الصرفيين مثل مات، وكان، ونحوهما؛ لأن من نسب إليها لم يفعلها.
 - المراد بفعل النبي صلى الله عليه وسلم هو: ما نقل إلينا من أفعال النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يكون فيه أسوة لأئمة ويستدعي الاتباع.
 - الراجح من أقوال علماء الأصول جواز تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.
 - إن نوع الخلاف في مسألة تخصيص العام بفعل النبي صلى الله عليه وسلم - خلاف معنوي - وقد ظهر أثره في المسائل التطبيقية.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- الأمدى، سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ت ٦٣١هـ، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي، دار العصيمي، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وزميله، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٩هـ.
- الأرموي، تاج الدين محمد بن الحسين ت ٦٥٣هـ، الحاصل من المحصول، تحقيق د. عبدالسلام محمد أبو ناجي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، (د. ط)، ١٩٩٤م.
- الإسنوي، عبدالرحيم بن الحسن ت ٧٧٢هـ، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول إلى علم الاصول، تحقيق د/ شعبان اسماعيل، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- الأشقر، محمد بن سليمان، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦، ١٤٢٤هـ.
- الأصفهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن ت ٧٤٩هـ، بيان المختصر شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب في أصول الفقه، تحقيق د. محمد مظهر بقا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د. ط)، (د. ت).

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني ت ١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبدالله عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- أمير باد شاه، محمد أمين الحنفي، تيسير التحرير شرح كتاب التحرير في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- الأنصاري، محمد بن نظام الدين، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، مطبوع بهامش المستصفي للغزالي، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط ١، ١٣٢٢هـ.
- الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد ت ٧٥٦هـ، شرح مختصر المنتهى، المطبعة الاميرية ببولاق، مصر، ط ١، ١٣١٦هـ.
- البخارى، علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد ت ٧٣٠هـ، كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت، (د. ط)، ١٤١٨هـ.
- البزدوي، فخر الإسلام علي بن محمد الحنفي ت ٤٨٢هـ، أصول البزدوي، مطبوع مع شرحه كشف الأسرار، تحقيق عبدالله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط)، ١٤١٨هـ.
- البصري، أبو الحسين محمد بن علي ت ٤٣٦هـ، المعتمد في أصول الفقه، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر، منهاج الوصول إلى علم الأصول، مطبوع مع شرحه نهاية السؤل تحقيق د/ شعبان اسماعيل، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ت ٢٧٩هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وزملاؤه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر ت ٧٩٣هـ، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح، مصر، (د. ط.)، (د. ت).
- الجاربردي، فخر الدين أحمد بن حسن ت ٧٤٦هـ، السراج الوهاج في شرح المنهاج، تحقيق د / أكرم أوزيقان، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر ت ٦٤٦هـ، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، مطبوع مع شرح العضد الإيجي، المطبعة الاميرية بولاق، مصر، ط ١، ١٣١٦هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مطبعة المدني، القاهرة، (د، ط)، ١٣٨٧هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ، فتح البارى شرح صحيح البخارى، المكتبة السلفية ومطبعتها، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- أبو الخطاب بن محفوظ بن أحمد الكلوذاني ت ٥١٠هـ، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق مفيد محمد أبو عمشة وزميله، مؤسسة الريان، لبنان، ط ٢، ١٤٢١هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت ٦٠٦هـ، المحصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد ت ٥٩٥هـ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- الزركشي، بدر الدين محمد بهادر بن عبدالله ت ٧٩٤هـ، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير د / عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة، الغردقة، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله ت ٧٩٤هـ، تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تحقيق د. عبدالله ربيع وزميله، مؤسسة قرطبة، (د. م)، ط ٢، (د. ت).
- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ت ٧٧١هـ، جمع الجوامع في أصول الفقه، مطبوع مع حاشية البناني على شرح جلال الدين المحلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٥٦هـ.
- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ت ٧٧١هـ، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق علي محمد معوض وزميله، عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ.

- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ت ٧٧١هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح الحلو وزميله، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٣هـ.
- السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي ت ١١٨٨هـ، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ.
- السمرقندي، علاء الدين محمد بن أحمد ت ٥٣٩هـ، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق د. عبدالملك السعدي، مطبعة الخلود، (د. م)، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار ت ٤٨٩هـ، قواطع الأدلة في أصول الفقه، تحقيق د / عبدالله الحكمي وزميله، مكتبة التوبة، (د. م)، ط ١، ١٤١٩هـ.
- الشافعي، محمد بن إدريس ت ٢٠٤هـ، الأم، ومعه الرسالة للإمام الشافعي وبهامشه مختصر المزيبي، بيمنى الهند حاملي محله، (د. ط)، (د. ت).
- أبو شامة المقدسي ت ٦٦٥هـ، المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق د. محمود صالح جابر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- الشربيني، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ت ١٣٢٦هـ، تقارير الشربيني على حاشية البناني لجمع الجوامع، مطبعة الحلبي، مصر، (د. ط)، ١٣٥٦هـ.

- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم ت ٤٧٦هـ، شرح اللمع، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ١٤٠٨هـ.
- صفي الدين محمد بن عبدالرحيم الأرموي الهندي ت ٧١٥هـ، نهاية الوصول في دراية الأصول، تحقيق د. صالح بن سليمان اليوسف وزميله، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ.
- العطار، حسن بن محمد بن محمود الشافعي ت ١٢٥٠هـ، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ابن العماد، عبدالحى بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مطبعة القدس، القاهرة، (د. ط)، ١٣٥٠هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت ٥٠٥هـ، المستصفي من علم الأصول، تحقيق د / حمزة بن زهير حافظ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٣٤هـ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر، (د. م)، (د. ط)، ١٤٠٣هـ.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- ابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي ت ٦٢٠هـ، المغني، تحقيق

- د / عبدالله التركي وزميله، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣، ١٤١٧هـ.
- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي ت ٦٨٤هـ، الذخيرة، تحقيق محمد حجي وزملاؤه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
- الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود ت ٥٨٧هـ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط.)، (د. ت).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري ت ٤٥٠هـ، الحاوي في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق علي محمد معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- محمد عبدالحى اللكنوي ت ١٣٠٤هـ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، طبعة نور محمد، كراتشي، (د. ط.)، ١٣٩٣هـ.
- المراغي، عبدالله مصطفى، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، محمد أمين دمج وشركاؤه، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تخريج وتعليق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، (د. ط.)، (د. ت).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ط.)، (د. ت).
- ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحى ت ٩٧٢هـ، شرح الكوكب المنير، مكتبة العبيكان، الرياض، (د. ط.)، ١٤١٨هـ.
- النووي، محي الدين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة

المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

- يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، دلالات الألفاظ في مباحث الأصوليين، دار التدمرية، الرياض، ط ١، ١٤٣٤هـ.
- أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ت ٤٥٨هـ، العدة في أصول الفقه، تحقيق د / أحمد سير المباركي، (د. ن)، (د. م)، ط ٢، ١٤١٠هـ.
- يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

أثر الإعسار بالمهر في التفريق بين الزوجين

أ. د. ماهر ذيب أبو شاويش

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية



ملخص البحث

عقد النكاح من العقود اللازمة، والأصل أن يلتزم طرفاه - وهما الزوجان - بالآثار المترتبة عليه؛ إذ إنَّ ذلك هو السبيل لاستقرار مصالح العباد التي قصد الشارع الحكيم تحقيقها.

وقد يطرأ بعض الأسباب على هذا العقد فيعطى الزوجان أو أحدهما حق فسخ العقد، ومن هذه الأسباب ما هو محل اتفاق عند الفقهاء، ومنها ما هو مختلف فيه، مما يجعل ذلك مجالاً خصباً للاجتهاد والنظر.

ومن جملة أسباب الفسخ المختلف فيها: فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار بمهر الزوجة، فهو محل خلاف عند معظم الفقهاء، لذا يهدف البحث إلى بيان أثر الإعسار بالمهر في فسخ عقد النكاح إذا طلبت الزوجة ذلك، وهل لها ذلك أو لا؟

Abstract

**The Effect of Insolvency by Dowry in
Breaking up the Relation Between the Two Spouses**

Dr. Maher Deeb

Marriage contract is one of the prerequisite contracts that the two spouses must abide by its implications to achieve the aim of stabilizing the interests of people.

But sometimes for some reasons this contract may give the two spouses or one of them the right to revoke the contract. Some of these reasons are agreed upon by the jurists whereas others are not which open the door for diligence and consideration.

Among the reasons of revocation of the marriage contract which are not agreed upon is the one related to insolvency of the wife's dowry. It is a controversial issue among most of jurists (Fuqaha'). Thus, the paper aims at explaining the effect of insolvency by dowry on the revocation of the marriage contract if the wife asks for it, or does she have the right for that or not?

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على أفضل الخلق والرسول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ الأصل في العقود في الشريعة الإسلامية أن تكون ملزمة لعاقديها، ووجوب الالتزام العقديّ بها؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١)، وهذا يتضمن كذلك الالتزام بآثار العقد، والوفاء بالتزاماته بمجرد انعقاده انعقاداً صحيحاً؛ إذ إنَّ ذلك هو السبيل لتحقيق مصالح العباد، واستقرار التعامل فيما بينهم، وإشباع الرغبات الإنسانيّة ضمن الأطر الشرعيّة الصحيحة.

إلا أنَّ العقود قد يطرأ عارض عليها، فلا يتمكن أحد المتعاقدين من الحصول على ما له من حقوق متولدة من الالتزام العقديّ، وعندئذ يملك هذا الطرف فسخ العقد، ويُفقدُ العقد قوة الإلزام التي يتصف بها أصالةً.

وسبب الفسخ قد يرافق العقد منذ إبرامه ونشوئه كالحال «في خيار المجلس في البيع»، أو قد يطرأ سبب الفسخ على العقد بعد إبرامه كما هو الحال في الإقالة والإفلاس.

ومن جملة العقود التي تتصف بصفة الإلزام لعاقديها: عقد النكاح؛ فإنَّ الأصل في هذا العقد أن يكون ملزماً لطرفيه، وهما الزوجان، وملزماً بالآثار المترتبة عليه، والمتولدة منه.

إلا أنَّه في بعض الحالات يطرأ ما يجعل للزوج أو الزوجة حق فسخ العقد لأسباب يقدرها القضاة، وهذه الأسباب منها ما هو محل اتفاق عند الفقهاء،

ومنها ما هو محل خلاف بينهم، مما يجعل ذلك مجالاً خصباً للاجتهاد والنظر.
ومن جملة أسباب الفسخ المختلف فيها: فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار
بمهر الزوجة، فهو سبب مختلف فيه بين الفقهاء:
لذا يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال دراسة
فقهيّة للمسألة في كتب المذاهب الفقهيّة المعتمدة.
مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ١- هل يشرع فسخ عقد النكاح إذا أعسر الزوج بالمهر؟
- ٢- ما الصور التي يُشرع فيها فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار بالمهر عند من يرى مشروعية ذلك؟

الدراسات السابقة:

تناول الفقهاء المتقدمون من أصحاب المذاهب الفقهيّة المعتمدة مسألة الإعسار
بالمهر وأثر ذلك على عقد النكاح، ونصّوا عليها في كتاب النكاح، إلا أنني لم أجد
- بعد البحث - من أفرد هذه المسألة من المعاصرين ببحث مستقل؛ للتأصيل لها
وتحقيقها، وجمع متفرقاتها، إلا أنني وجدت من بحث ذلك ضمن أحكام الإعسار
عموماً، أو أحكام الصداق عموماً، ومما وقفت عليه:

- ١- أحكام الصداق في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبدالكريم بن صنيان
العمري.

وقد تناول الباحث أحكام الصداق في رسالته، ومما أورده مسألة الإعسار
بالمهر، إلا أنه عند إيراد المسألة لم يستوعب الأقوال فيها، ولا أدلة على كل قول،

ولم يورد جميع صور المسألة.

٢- أحكام الإعسار الماليّ في الفقه الإسلاميّ، للدكتور فضل الرحيم بن محمد.

وقد عرض الباحث مسائل عدّة تتعلق بالإعسار، ومنها الإعسار بالمهر، ولم يذكر سوى صورة واحدة للمسألة، وهي الإعسار بالمهر قبل الدخول.

٣- نظرية الفسخ وتطبيقاتها في الفقه الإسلاميّ، للدكتور محمد سليمان.

وقد عرض الباحث مسألة الفسخ لإعسار الزوج بالمهر في الفصل الأخير، الذي عقده لإيراد التطبيقات القضائيّة في المسألة، فكان التركيز على هذا الجانب - أي التطبيقات القضائيّة - دون إيراد صور المسألة، وأقوال الفقهاء، وإبراز الخلاف فيها.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج العلميّ القائم على:

١- المنهج الاستقرائي: وهو المنهج الرئيس في هذا البحث؛ لأنّ استخلاص أثر الإعسار بالمهر على التفريق بين الزوجين يقتضي استقراء ما جاءت به النصوص الشرعيّة، وما أورده الفقهاء في هذا الباب.

٢- المنهج الاستنباطي: وقد اعتمدت عليه في تحليل وتعليل ما تمّ استقراؤه.

٣- الاستنتاج القائم على اختزال معاني النصوص للتوصل لبناء هذه المسألة معنىً وتأصيلاً وأهمية.

خطة البحث:

اقتضى البحث أن يكون في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث وحكم المهر وأدلة مشروعيته:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث:

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى الإعسار

الفرع الثاني: معنى المهر

الفرع الثالث: معنى التفريق بين الزوجين

المطلب الثاني: حكم المهر وأدلة مشروعيته:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: حكم المهر

الفرع الثاني: أدلة مشروعية المهر

المبحث الثاني: أثر الإعسار بمهر الزوجية في عقد النكاح:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إعسار الزوج بمهر زوجته المؤجل

المطلب الثاني: إعسار الزوج بمهر زوجته الحال قبل الدخول

المطلب الثالث: إعسار الزوج بمهر زوجته الحال بعد الدخول

المبحث الثالث: نوع الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالمهر ومدى حاجتها إلى القضاء:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الطلاق والفسخ والفرق بينهما

المطلب الثاني: نوع الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالمهر

الخاتمة: وفيها أهم النتائج

والله من وراء القصد، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع عليم

المطلب الأول

التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث

يتضمن هذا المطلب تعريفاً بأهم المصطلحات الواردة في البحث، وهي: الإعسار، المهر، التفريق بين الزوجين، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول

معنى الإعسار

الإعسار في اللغة:

الإعسار لغة: مصدر لفعل ثلاثي مزيد «أَعَسَرَ»، ومصدر الفعل المجرد منه العسر، وهو ضد اليسر كما في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٣)، والعسر بمعنى الشدة، يقال: عَسِرَ

٢- سورة الطلاق، آية ٧.

٣- سورة الشرح، آية ٥-٦.

الأمر يعسر عسراً، أي اشتد وصعب، وعسرتُ المدين: إذا طلبته بالدين وهو معسر ولم أنظره إلى ميسرته، والعسر: اسم المصدر، ويعني: قلة ذات اليد، يقال: أعسر الرجل: إذا افتقر^(٤).

الإعسار اصطلاحاً:

الإعسار اصطلاحاً: يفهم من استقراء ما ذكره الفقهاء^(٥) أن الإعسار: عدم القدرة على النفقة، أو عدم القدرة على أداء ما عليه من ديون ونحوها، وهو ضد الإيسار، فقالوا: المعسر من كثر خرجه وقل دخله^(٦)، وهو ذات المعنى اللغوي المتقدم.

يقول الشيرازي: «إذا كان الزوج موسراً - وهو الذي يقدر على النفقة بماله وكسبه - لزمه كل يوم مدان، وإن كان معسراً - وهو الذي لا يقدر على النفقة بماله ولا كسبه - لزمه كل يوم مد»^(٧).

وللفقهاء في تحديد الموسر والمعسر ثلاثة أقوال:

القول الأول: يرجع في تحديد الموسر والمعسر والمتوسط في نفقة الزوجة إلى

- ٤- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٧٨م، ج٤، ص١١١، والجوهري، الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»، ج٤، ص١٣٨٥، الزيات، وإبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ط. الثانية، ١٩٩٨م، ج٢، ص٧٧.
- ٥- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة الإمام، القاهرة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ ج٧، ص١٦٩، وابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م ج٤، ص٣٨٩، والمواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، شرح المواق على مختصر خليل (التاج والإكليل)، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩هـ، بهامش مواهب الجليل ج٥، ص٢٦٨، والنووي، محيي الدين بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، دار المكتب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤١٢هـ ج٩، ص٤١، وابن النجار، تقي الدين محمد بن أحمد، منتهى الإرادات، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤١٣هـ ج٢، ص٤١.
- ٦- النووي، روضة الطالبين، ج٩، ص٤١.
- ٧- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، ط. الثالثة، ١٤١٩هـ ج٣، ص١٥٠.

العرف والعادة، وهذا يختلف باختلاف الزمان والمكان، فمن عدّه الناس موسراً فهو موسر، ويكلّف بنفقة الموسرين، ومن عدّه الناس معسراً فهو معسر، ويكلّف بنفقة المعسرين، وبه قال: الحنفية^(٨)، وبعض الشافعية^(٩)، وهو مقتضى مذهب المالكية إذ يقدرها الحاكم باجتهاده عندهم^(١٠).

القول الثاني: المعسر هو الذي لا يملك من المال، ما يكفي لنفقة زوجته كفاية كاملة، بل في أدنى الكفاية، أو يقدر على بعض المال بواسطة الكسب، لكنه لا يكفي لسد العوز عليه وعلى زوجته، والموسر من يملك من المال ما يكفيه ويكفي نفقة زوجته، وبه قال بعض الشافعية^(١١)، وبعض الحنابلة^(١٢).

القول الثالث: المعسر الذي لا يقدر على نفقة زوجته بماله أو كسبه، فلا يملك من المال لنفقة زوجته، وليس له عمل يتكسّب عن طريقه، والموسر الذي يقدر على نفقة زوجته بماله أو كسبه، فيملك من المال ما يكفي لنفقة زوجته، وله عمل يتكسّب منه، وبه قال الشيرازي من الشافعية^(١٣)، وهو قول الحنابلة في المشهور^(١٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أنّ القول الأول أرجح الأقوال؛ لاعتماده على

- ٨- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م ج ٣، ص ٥٧٥.
- ٩- النووي، روضة الطالبين، ج ٦، ص ٤٦٥، والرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن شهاب، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج:، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٧ هـ ج ٧، ص ١٨٧.
- ١٠- الدردير، أحمد بن محمد بن أحمد، الشرح الكبير، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م ج ٣، ص ٢١٣، والخرشي، محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ٢٠١٠ م.
- ١١- النووي، روضة الطالبين، ج ٦، ص ٤٦٥.
- ١٢- ابن مفلح، برهان الدين أبو إسحاق بن محمد بن عبد الله، المبدع شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨ هـ، ج ٨، ص ١٨٩، والمرادوي، علاء الدين أبي الحسن بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: ط. الأولى، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٦ هـ.
- ١٣- الشيرازي، المهذب، ج ٣، ص ١٥٠.
- ١٤- ابن مفلح، المبدع شرح المقنع، ج ٨، ص ١٨٩، والمرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ج ٩، ص ٣٥٥.

العرف في تقدير ذلك، وهذا أوجه، إذ إنَّ ذلك لا يمكن ضبطه بضابط واحد في كل زمان ومكان، وما كان شأنه ذلك فإنَّ مرده إلى العرف.

الفرع الثاني

معنى المهر

المَهْرُ في اللغة:

بفتح الميم وتسكين الهاء، هو الصداق، وهو مصدر مَهَرٍ، والجمع مهور، يقال: مَهَرُ المرأة: أعطاهها مهراً، أي صداقاً، ويقال: مَهَرُ ابنة عمِّه ثم تزوجها^(١٥)، ويقال: مهر المرأة ويمهرها مهراً وأمهرها، ومهرتها، فهي مهور، أعطيتها مهراً، وأمهرتها: زوجتها غيري على مهر، والمهيرة: الغالية المهر، ومهارة الحدق في الشيء، والماهر: الحاذق بكل عمل، وأكثر ما يوصف به السابح المجيد، والجمع مهرة^(١٦).

المَهْرُ في الاصطلاح:

تنوعت عبارات الفقهاء في بيان حقيقة المهر، وبيان ذلك في المذاهب الفقهية المشهور فيما يأتي:

- عرَّف الحنفية المهر بقولهم: «اسم للمال الذي يجب في عقد النكاح على الزوج في مقابلة منافع البضع، إما بالتسمية أو بالعقد»^(١٧).

وقيل: «ما تستحقه المرأة بعقد النكاح أو الوطء»^(١٨).

١٥- ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٥٣، والزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٩٠، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٢٩٤، والزيات، المعجم الوسيط، ج١، ص٣٣٨.

١٦- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٢٩٤، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٨، ص٨٨.

١٧- البلخي، نظام الدين وآخرون، الفتاوى الهندية، دار الفكر، ط. الثانية، ١٣١٠هـ، ج٣، ص٣١٦.

١٨- ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٣، ص١١٠.

- وعند المالكية: «ما يعطى للزوجة في مقابل الاستمتاع بها»^(١٩).
 - وأورد الشافعية مفهومًا للمهر بقولهم: «ما وجب بنكاح أو وطء، أو تفويت بضع قهراً كرضاع، ورجوع شهود»^(٢٠).
 - وعرفه فقهاء الحنابلة بأنه: «العوض المسمى في عقد النكاح، والمسمى بعده لمن لم يُسمَّ لها فيه»^(٢١).
- وبالنظر في هذه التعريفات نجد أنها متقاربة المعنى، وهي تدلُّ في مجموعها على أن المهر عبارة عما تستحقه المرأة على زوجها من مال أو ما يقوم مقامه، وذلك بالعقد عليها، أو الدخول بها.
- والمهر له أسماء كثيرة؛ منها: الصداق، والنحلة، والفريضة، والأجر، والعلائق، والعقر، والطول، والنكاح^(٢٢).

وقد نطق القرآن الكريم بست منها: الصداق، والنحلة، والفريضة، والأجر، والطول، والنكاح، ووردت السنة بالمهر، والعقر، والعليقة، والحباء^(٢٣).

١٩- الدردير، الشرح الكبير، ج ٣، ص ١٣٠، وابن جزري، القوانين الفقهية، مكتبة عباس الباز، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ ج ٢، ص ٤٢٨.

٢٠- الشرييني، محمد بن محمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٢١هـ ج ٣، ص ٢٩١، القليوبي، شهاب الدين أحمد سلامة، وعميرة، شهاب الدين أحمد، حاشيتا القليوبي وعميرة، مكتبة ومطبعة أحمد سعد نيهان، ط. الرابعة، ١٣٩٤هـ ج ٣، ص ٢٦٧.

٢١- البهوتي، شرح منتهى الإرادات، ج ٣، ص ٦٢، وكشاف القناع شرح الإقناع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص ١٤٢، ابن مفلح، المبدع شرح المقنع، ج ٦، ص ١٩٠.

٢٢- ينظر على سبيل المثال في: ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤١٨هـ، ج ٣، ص ٢٤٩، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج ٣، ص ١١٠، الأزهرى، جواهر الإكليل، ج ١، ص ٤٢٩، الشرييني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٣٩١، ابن مفلح، المبدع، ج ٦، ص ١٩٠، البهوتي، كشاف القناع، ج ٥، ص ١٤٢.

٢٣- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الحاوي في فقه مذهب الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط. الأولى، ١٤١٩هـ، ج ٩، ص ٣٩٣، ابن الرفعة، نجم الدين أحمد بن محمد، كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، ج ٩، ص ٣٦٥، ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغني، دار عالم الكتب، ط. الرابعة، ١٤١٩هـ ج ٦، ص ٤٠٨.

الفرع الثالث

المقصود بالتفريق بين الزوجين

التفريق في اللغة:

التفريق مصدر فَرَّقَ يَفَرِّقُ تفريقاً، والفَرَّقُ خلاف الجمع، ومنه التفريق والافتراق وهما سواء، ومن علماء اللغة من جعل التَّفَرُّقَ بالتشديد للأبدان، والافتراق بالتخفيف في الكلام، يقال: فَرَّقْتُ بين الكلامين فافترقا، وفَرَّقْتُ بين الرجلين ففترقا، وتَفَرَّقَ الرجلان: ذهب كل منهما في طريق (٢٤).

وللتفريق عدة معانٍ منها: التجزئة والقسمة، والتمييز، والتبديد، والفصل (٢٥).
ومن خلال ما سبق فإنَّ مفهوم التفريق يدور حول الفصل والإبانة.

التفريق في الاصطلاح:

لم أعره - بعد البحث والتدقيق - على نصٍّ في كتب الفقهاء لتعريف اصطلاحى خاصٍ بالتفريق بين الزوجين، والذي يظهر - والله أعلم - أنَّ ذلك لسببين:

الأول: ظهور معناه ومعرفة المقصود منه عند إطلاق هذا المصطلح، فلا حاجة للنص عليه وبيان مفهومه في كتب الفقهاء.

الثاني: أنَّ التفريق أو الفرقة بين الزوجين لا تخرج عن كونها طلاقاً أو فسخاً، ولذلك استغنى الفقهاء عن ذلك - أعني بيان معنى التفريق أو الفرقة - ببيان حقيقة الطلاق والفسخ والفرق بينهما.

ويمكن تعريف التفريق بين الزوجين بأنَّه: انحلال رابطة الزوجية، وانقطاع ما

٢٤ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٣٤، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٨٣.

٢٥ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٠٩.

بين الزوجين من علاقتٍ بسببٍ من الأسباب .

فالتفريق بين الزوجين أو الفرقة بينهما هي النتيجة العملية التي تتولد عن الطلاق أو الفسخ لعقد النكاح، والفرقة التي ترد على عقد النكاح لا تخرج عن كونها فسخاً أو طلاقاً باتفاق الفقهاء^(٢٦)، إنما الخلاف بينهم فيما يتناوله كل من الفسخ والطلاق من فرق النكاح، فما يعد طلاقاً عند بعضهم، قد يعد فسخاً عند غيرهم، وهذا ينبني على اختلاف في الآثار.

المطلب الثاني

حكم المهر وأدلة مشروعيته

يتضمن هذا المطلب بياناً لحكم المهر، والأدلة الشرعية على ذلك، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول

حكم المهر

المهر يجب للمرأة على الرجل بأحد أمرين^(٢٧):

أولاً: العقد الصحيح، ويتأكد ويستقر بالدخول أو الخلوة أو الموت، سواء أكان هذا المهر هو المسمى، بأن كانت هناك تسمية صحيحة، أو كانت التسمية فاسدة، أو لم توجد تسمية أصلاً، أو كان الزواج قد اشترط فيه عدم الصداق.

ثانياً: الدخول الحقيقي كما في الوطاء بشبهة، والنكاح الفاسد.

٢٦- ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٣، ص٤٤٣، الخطاب، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ج٥، ص٢٦٨، الشرييني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ج٣، ص٤٢٣، ابن قدامة، المغني شرح مختصر الخرقي، ج١٠، ص٣٢، البهوتي، كشف القناع شرح الإقناع، ج٥، ص٤٧٣.

٢٧- ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٣، ص١١٠، الماوردي، الحاوي الكبير، ج٩، ص٣٩٣، الشرييني، مغني المحتاج، ج٣، ص٢٩١، القليوبي وعميرة، حاشيتا القليوبي وعميرة، ج٣، ص٢٧٦.

والمهر الواجب بالعقد الصحيح قد يطرأ عليه ما يسقطه، كارتداد الزوجة، أو ما يسقط نصفه؛ كالطلاق قبل الدخول أو الخلوة، فإذا حصل الدخول بالزوجة، أو الخلوة بها، أو الوفاة عنها، تأكد المهر واستقر، ووجب جميعه على الزوج.

الفرع الثاني

أدلة مشروعية المهر

دلٌّ على مشروعية المهر عدد من أدلة الشرع من القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: أدلة القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾^(٢٨).

قال القرطبي: «هذه الآية دليل على وجوب الصداق للمرأة»^(٢٩)، ومعنى نحلة: أي عطية من الله مبتدأة، وقيل: عن طيب نفس من الأزواج من غير تنازع^(٣٠).

٢ - قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(٣١).

والمقصود بالأجور في الآية الكريمة: المهور كما قال المفسرون^(٣٢)، وإنما عبّر عنه بالأجر؛ لأنه في مقابل منفعة^(٣٣).

٢٨ - سورة النساء، آية ٤.

٢٩ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج ٣، ص ٢٦.

٣٠ - ابن العربي، أحكام القرآن الكريم، ج ١، ص ٤١٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج ٣، ص ٢٦ وينظر: الماوردي، الحاوي الكبير، ج ٩، ص ٣٩٠، ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٤٨٠.

٣١ - سورة النساء، آية ٢٤.

٣٢ - القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ج ٣، ص ٢٦، ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الشعب، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٢١٢.

٣٣ - الماوردي، الحاوي الكبير، ج ٩، ص ٣٩٠.

ثانياً: أدلة السنة النبوية:

١- قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - لمريد النكاح: «التمس ولو خاتماً من حديد»^(٣٤).

٢- ثبت عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه لم يُخلِ زواجاً من مهر^(٣٥).

ثالثاً: الإجماع:

أجمع الفقهاء على مشروعية المهر في عقد النكاح^(٣٦).

المبحث الثاني

أثر إعسار الزوج بمهر الزوجة في عقد النكاح

إذا أردنا أن نبين أثر إعسار الزوج بمهر الزوجة في عقد النكاح فإنَّ المهر له أحوال:

إمَّا أن يكون مؤجلاً وإمَّا أن يكون حالاً، فإن كان حالاً إمَّا أن يكون قبل الدخول أو بعده، وبذلك يتحصّل ثلاثة أحوال لإعسار الزوج بمهر الزوجة إجمالاً، وبيان حكم كل حالة من هذه الأحوال على حدة في ثلاثة مطالب متعاقبة على النحو الآتي:

٣٤- أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب السلطان ولي لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «زوجتكها بما معك من القرآن، ج ٩، ص ٩٧، برقم ١١٣٥، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم من حديد وغير ذلك، ج ٤، ص ٥٧٨، برقم ١٤٢٥.

٣٥- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج ١، ص ١٧٧، برقم ٤٥٦، بإسناد صحيح، رجاله ثقات، قال الإمام السبكي: «رجالهم ثقات مشهورون مصرحون بالتحديث فيه من أولهم إلى آخرهم». ينظر: السبكي، تكملة المجموع شرح المهذب، ج ٦، ص ٣٠.

٣٦- الونشريسي، أحمد بن يحيى بن عبد الواحد بن علي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، طبعة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٦م، ص ٨٤، الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٧٢، الشربيني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٢٩٢، ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٤٨١، البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ١٤٣.

المطلب الأول

إعسار الزوج بمهر زوجته المؤجل

إذا كان المهر مؤجلاً وأعسر الزوج به، وطلبت المرأة الفسخ لأجل ذلك، فإنه لا يجب طلبها، باتفاق أهل المذاهب الأربعة^(٣٧)، وقد نقل ابن تيمية إجماع الفقهاء على ذلك، فقال: «إذا كان معسراً بالصدّاق لم تجز مطالبته بإجماع المسلمين»^(٣٨)، ومراده - رحمه الله - الإعسار بالمهر المؤجل لا المعجل؛ إذ إن في الإعسار بالمهر المعجل خلاف بين الفقهاء كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وهذا الحكم عام للمهر المؤجل سواء أكان الزوج معسراً بالمهر عند العقد، أم طراً للإعسار عليه بعد العقد، وتعليل ذلك:

أن المرأة عند إبرام عقد النكاح رضيت بجعل المهر في ذمة الزوج، وهذا يتضمن رضاها بالتأجيل ابتداءً^(٣٩)، فعليها إنظاره للميسرة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤٠).

٣٧- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٣٥٣، ابن نجيم، البحر الرائق، ج ٤، ص ١٨٤، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ٢، ص ٢٩٩، المواق، التاج والإكليل، ج ٣، ص ٥٠٥، الماوردي، الحاوي الكبير، ج ٩، ص ٤٨٢، الشافعي، الأم، ج ٥، ص ١٥٠، المرداوي، الإنصاف، ج ٨، ص ٣١٣، البهوتي، كشاف القناع، ج ٤، ص ٢١٢، ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٨١.

٣٨- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، مجموع الفتاوى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ، ج ٣٢، ص ٢٨٠.

٣٩- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٥٣، الماوردي، الحاوي الكبير، ج ٩، ص ٤٨٢، ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٨١.

٤٠- سورة البقرة، آية ٢٨٠.

المطلب الثاني

إعسار الزوج بمهر زوجته الحال قبل الدخول

إذا أعسر الزوج بمهر زوجته الحال، وكان ذلك قبل الدخول بها، فلا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يعسر الزوج بمهر الزوجة الحال قبل الدخول بها، مع عدم علم الزوجة بذلك إلا بعد إبرام العقد.

الحالة الثانية: أن يعسر الزوج بمهر الزوجة الحال قبل الدخول بها، مع علم الزوجة بذلك قبل إبرام العقد.
وبيان تفصيل ذلك فيما يلي:

الحالة الأولى: أن يعسر الزوج بمهر الزوجة الحال قبل الدخول بها، مع عدم علم الزوجة بذلك إلا بعد إبرام العقد وقبل الدخول بها، أو طرأ الإعسار بمهرها على الزوج بعد إبرام العقد، فإذا طلبت فسخ عقد النكاح في هذه الصور، فهل تُجاب إلى ذلك؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن المرأة لا يحق لها الفسخ إذا أعسر الزوج بالمهر قبل الدخول، ولا تُجاب إلى هذا الطلب، إلا أنها تعود على زوجها بالمهر كالغريم وتطالبه به، وبه قال الحنفية^(٤١)، وهو رواية عند الحنابلة^(٤٢).

٤١- الزيلعي، عثمان بن علي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الأميرية، بولاق، ط. الأولى، ١٣١٣هـ، ج ٢، ص ١٥٥، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٧١، السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٦م، ج ٥، ص ١٩١.

٤٢- ابن مفلح، برهان الدين أبو إسحاق بن محمد بن عبد الله، المبدع شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ، ج ٥، ص ٢٩١، المرادوي، الإنصاف، ج ٨، ص ٤٨٣.

القول الثاني: أن المرأة يحق لها الفسخ إذا أعسر الزوج بالمهر قبل الدخول،
وتُجاب إلى هذا الطلب، وبه قال: المالكية^(٤٣)، والشافعية^(٤٤)، والحنابلة^(٤٥).

الأدلة:

أدلة القول الأول:

استدلَّ أصحاب القول الأول بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤٦)

وجه الدلالة: أن الله - سبحانه وتعالى - أمر في هذه الآية الكريمة بإنظار المعسر، وعموم الآية الكريمة يدخل فيه وجوب إنظار الزوج المعسر بمهر زوجته قبل الدخول، وطلب المرأة فسخ عقد النكاح لأجل ذلك، وإجابتها لذلك، يتنافى مع موجب الآية الكريمة من وجوب إنظار المعسر، وهذا يدل على عدم جواز طلب الفسخ.

ويُجاب عنه: أن الإنظار المأمور به في الآية الكريمة فيما يثبت في الذمة، وهذا لم يثبت ديناً في الذمة بعد، بل هو حال لم ترض الزوجة بتأخيرها، فيكون لها الخيار في إثباته ديناً، وفي إزالة موجهه - وهو العقد - من أصله، فيكون كما لو

٤٣- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٣، ص ٣٧١، المواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العديري، شرح المواق على مختصر خليل (التاج والإكليل)، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ، ج ٣، ص ٥٠٥، الأصحبي، مالك بن أنس، المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٦ م، ج ٢، ص ٢٥٣، ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، ط. الأولى، ٢٠٠٤ م، ج ٣، ص ٤٦.

٤٤- النووي، روضة الطالبين، ج ٩، ص ٧٥، الشربيني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٦٥، الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٦١.

٤٥- ابن مفلح، الفروع، ج ٥، ص ٢٩٢، المرادوي، الإنصاف، ج ٨، ص ٣١٣، البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ١٦٤.

٤٦- سورة البقرة، آية ٢٨٠.

وجد البائع سلعة بيد المشتري وقد أعسر في أداء ثمنها، فله الحق في إرجاعها^(٤٧).
٢- أن هذه الفرقة لا نصَّ فيها لا من الكتاب ولا من السنة، وإثبات الفرقة يفتقر إلى النص، والأصل في العقود الصحة^(٤٨)، ولا يجوز إبطالها أو فسخها بمجرد احتمال.

ويُجاب عنه: بأنَّ هناك أصولاً عامة تُفهم من الشريعة الإسلامية يمكن الاعتماد عليها لإثبات الفرقة بين الزوجين في كثير من الصور، وعدم اعتبار هذه الأصول قد يُسقط كثيراً من المقاصد والغايات الشرعية للأحكام، ولا يُشترط وجود نص خاص في كل فرقة من الفرق بين الزوجين.

٣- أن المرأة لا يحق لها طلب الفسخ لإعسار الزوج بمهرها قبل الدخول قياساً على الإعسار في المعاوضات المالية بجامع الدين في كلٍ منهما^(٤٩).

ويُجاب عنه: بأنَّ هذا القياس محل نظر؛ إذ إنَّ الرجل إذا أعسر بمهر زوجته قبل الدخول لم تحصل المعاوضة بين الزوجين حتى يُجعل ديناً في ذمته، بخلاف عقود المعاوضات المالية.

٤- أن تأخير المهر ليس فيه ضرر مجحف بل هو بمنزلة النفقات المجتمعة كتأخير نفقة خادم الزوجة، ولأنَّ النفس تقوم بلا مهر^(٥٠)، وإذا كان كذلك فإنه إذا أعسر الزوج بمهرها يبقى ديناً في ذمته ولا تعطى خيار الفسخ.

ويُجاب عنه: أنه ثمة فرق بين المهر وخادم الزوجة، فالأول وقع عليه عقد النكاح، بخلاف الثاني فإنَّ عقد النكاح لم يقع عليه، والقاعدة تقول: «يغتفر في

٤٧- ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ١١٢.

٤٨- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٧١، الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٢، ص ١٥٥.

٤٩- ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج ٣، ص ١٤٣، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٧١.

٥٠- الشريبي، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٨١.

الدوام ما لا يغتفر في الابتداء»^(٥١).

أدلة القول الثاني:

استدلَّ أصحاب هذا القول، القائلون بأنَّ المرأة يحق لها الفسخ إذا أعسر الزوج بمهرها الحال قبل الدخول وبعد العقد، وتُجاب إلى هذا الطلب بما يأتي:

١- أنه إذا تعذر الوصول إلى عوض العقد قبل تسليم المعوض كان لها الفسخ، كما لو أعسر المشتري بثمن المبيع قبل تسليمه، وكما لو حجر على المفلس والمبيع باقٍ بعينه، فيتعلق البائع بالثمن^(٥٢).

ويجاب عنه: بأنَّ قياس الإعسار بالمهر على ثمن المبيع محل نظر؛ لأنَّ الثمن في البيع مقصود البائع، والعادة تعجيله، بخلاف الصداق، فإنه فضلة ونحلة، وليس هو المقصود في النكاح، ولذلك لا يفسد النكاح بفساده ولا بتركه^(٥٣).

ويردُّ على هذا الجواب: بأنه يمكن قياس المهر على ثمن المبيع لعلة أخرى، وهي: أن في إعسار المشتري بثمن المبيع قبل تسليمه ضرراً على البائع، ولأجل هذا الضرر شرع الفسخ، وكذلك إعسار الزوج بمهر زوجته قبل الدخول فيه ضررٌ متحقق وواقع عليها، ويمكن تلافيه بإعطائها حق الفسخ، ولا يؤثر في هذا الضرر كون المهر ليس مقصوداً بخلاف ثمن المبيع.

٢- القياس على الإعسار بالنفقة، فكما يثبت للزوجة الخيار بالإعسار بالنفقة، فإنه يثبت لها الخيار بالإعسار بالمهر، بل خيار الإعسار بالمهر أولى؛ لأنَّ المهر أكثر اختصاصاً بالنكاح من النفقة؛ لكونه عوض البضع^(٥٤).

٥١- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٨م، ص ٩٢.

٥٢- الشربيني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٣٠٤، الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٤٦٥.

٥٣- ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ١١٢.

٥٤- الماوردي، الحاوي الكبير، ج ٩، ص ٤٧١، الفتوحى، معونة أولي النهى شرح منتهى الإرادات، ج ٩، ص ٢٣٥.

ويجب عنه من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا القياس محل نظر؛ لأنه من القياس على المختلف فيه؛ لأن خيار الفرقة بسبب إعسار الزوج بنفقة الزوجة مختلف فيه.

الوجه الثاني: أن الضرورة لا تندفع إلا بالنفقة، ولذلك أعطيت خيار الفسخ، بخلاف المهر^(٥٥).

ويرد على الوجهين: أن الضرورة في النفقة تندفع بأن تنفق من مالها، أو ينفق عليها ذو قرابتها، أو تأكل من غزلها، ومع ذلك أعطيت خيار الفسخ في النفقة، وهذا يدل على أن الخيار أعطي لها لدفع الضرر عنها، وهذا الضرر بعينه متحقق بالإعسار بالمهر^(٥٦).

٣- أن فرض الصداق حقاً للزوجة مقابل التمكين من نفسها، فلما لم تتنازل عن هذا الحق ولم ترض بتأجيله، فلا سلطان للزوج عليها، وبقاؤها معلقة على هذه الحال إضرار بها، فتعطي خيار الفسخ لدفع ذلك الضرر عنها.

الترجيح:

الذي يترجح في نظري - والله أعلم - القول الثاني، الذي يرى بأن المرأة لها حق الفسخ بسبب إعسار الزوج بمهرها إذا علمت بذلك بعد العقد وقبل الدخول، وذلك لما يأتي:

أولاً: أن من قواعد الشريعة الإسلامية: «الضرر يزال»^(٥٧) و «لا ضرر ولا

٥٥- ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ١١٩، الماوردى، الحاوي الكبير، ج ٩، ص ٤٧١.

٥٦- ابن القيم، شمس الدين، إعلام الموقعين عن رب العالمين: دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٥، ص ٥٢٢.

٥٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ط. الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان ١٤٠٣ هـ، ص ٨٣، الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، المنشور في القواعد، طبعة مؤسسة الخليج، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، ص ٨٢.

ضرار»^(٥٨) والزوجة تتضرر بمثل هذه الصورة، وسبيل رفع الضرر عنها إذا لم تصبر على هذا الزوج أن تعطى خيار الفسخ.

ثانياً: أن تأكيد الشارع الحكيم على وجوب المهر ولو كان قليلاً، يدلُّ على أنه حق مؤكد للمرأة، وهذا يدلُّ على أن المرأة قد تتضرر بسقوطه عنها، وكون بعض النساء ترضى بذلك، لا يلزم منه أن يُجعل أصلاً للكل؛ لاختلاف حال إحداهن عن الأخرى، وعليه فلا بدَّ من مراعاة ذلك بإعطائها حق الفسخ إذا أعسر الزوج بمهرها.

الحالة الثانية: أن يعسر الزوج بمهر الزوجة الحال قبل الدخول بها، مع علم الزوجة بذلك قبل إبرام العقد.

في هذه الحالة: المرأة رضيت بالزواج من الزوج وهو معسر بمهرها، وهي راضية وعالمة بذلك، وهذا من حقها، وقد جَوَّز العلماء ذلك إجماعاً^(٥٩)؛ لكون المهر حقاً من حقوقها، فلها أن ترضى بتأجيله، وهي مأجورة على الصبر على زوجها، إن صَلَّحَتْ نيتها، وهو من التعاون على البرِّ والتقوى.

ولكن يرد السؤال على هذا بقولنا: هل لهذه المرأة أن تطالب بالفسخ بعد ذلك؟

اختلف القائلون بجواز فسخ عقد النكاح لأجل الإعسار بمهر الزوجة في هذه المسألة على قولين:

٥٨- السيوطي، الأشباه والنظائر، ص٩٦، الزركشي، المنثور في القواعد، ص١٢٣، ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص٨٧.

٥٩- الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٢١٨، والدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٢، ص٥٠٩، النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ج٦، ص٤٦٥، الرملي، محمد بن أحمد حمزة، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، مطبعة البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٧هـ، ج٧، ص١٨٧، والبهوتي، كشف القناع شرح الإقناع، ج٥، ص٤٩٥، ابن قدامة، المغني، ج١١، ص٣٥٨.

القول الأول: إذا رضيت بعقد النكاح وهي عالمة بأن زوجها معسر بمهرها، ثم عدلت عن ذلك الرضا وطالبت بالفسخ، فإنه لا خيار لها في الفسخ، ولا تُجاب إلى طلبها، وبه قال: المالكية^(٦٠)، الشافعية^(٦١)، والحنابلة^(٦٢).

وعللوا ذلك: بأن المرأة لا يحق لها طلب فسخ عقد النكاح إذا رضيت بإعسار الزوج بمهرها بعد حدوث الإعسار عليه، أو كان معسراً بمهرها ابتداءً وهي عالمة بذلك قبل إبرام العقد، ولا تُجاب لذلك؛ لأنه في كلتا حالتين لم يغرر بها، ولم يخف حاله، وقد رضيت بذلك، ورضاها هذا بمثابة إسقاط حقها في المهر معجلاً، وأنها رضيت بتأجيله، فيسقط خيار الفسخ بسبب الإعسار بمهرها، والساقط لا يعود^(٦٣).

القول الثاني: إذا رضيت بعقد النكاح وهي عالمة بأن زوجها معسر بمهرها، ثم عدلت عن ذلك الرضا وطالبت بالفسخ، فإن لها خيار الفسخ، وتُجاب إلى طلبها، وهو قول عند الشافعية^(٦٤)، وبعض الحنابلة^(٦٥).

وعللوا ذلك: بأن الزوج المعسر بالمهر يمكن أن يصبح قادراً على ذلك، وعندها لا يكون ذلك قبولاً منها بتأجيل المهر، لأنها إنما رضيت حال إعساره لا حال يسره^(٦٦).

٦٠- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٣، ص ٣٧١، المواق، التاج والإكليل، ج ٣، ص ٥٥٥.

٦١- النووي، روضة الطالبين، ج ٩، ص ٧٥، الشرييني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٦٥، الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٦١.

٦٢- ابن مفلح، الفروع، ج ٥، ص ٢٩٢، المرادوي، الإنصاف، ج ٨، ص ٣١٣، البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ١٦٤.

٦٣- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٢، ص ٥١٨، الباجي، المنتقى، ج ٤، ص ١٣٢.

٦٤- النووي، روضة الطالبين، ج ٩، ص ٧٥، الشرييني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٦٥، الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٦١.

٦٥- المرادوي، الإنصاف، ج ٨، ص ٣١٣، البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ١٦٤.

٦٦- المطيعي، تكملة المجموع، ج ١٦، ص ٣٧٩.

ويجاب عنه: أن رضاها ابتداءً يسقط حقها في خيار الفسخ، ويصبح ديناً في ذمته، والساقط لا يعود، فإذا أيسر فإنها لا تعطى خيار الفسخ، وإنما تعطى حقها في طلب المهر وقبضه.

والأرجح القول الأول، الذي يقول بأن المرأة إذا رضيت بعقد النكاح وهي راضية عالمة بأن زوجها معسر بمهرها، ثم عدلت عن ذلك، فإنه لا خيار لها في الفسخ، ولا تُجاب إليه إذا طلبته، وذلك لما يأتي:

أولاً: لصحة ما عللوا به، وهو إمكانية الزوج أن يصبح قادراً.

ثانياً: أن الفقهاء مجمعون على أن المشتري يسقط خياره بالعيب إذا كان على علم وبصيرة به قبل إبرام عقد البيع^(٦٧)، وكذلك الحال هنا، بل العادة أن عقد البيع يقع بغتةً من غير ترو ونظر، بخلاف عقد النكاح فإن التروي والتأني أعظم فيه، فلأن يسقط خيار العيب في البيع والحالة هذه، فسقوط خيار الفسخ بسبب إعسار الزوج بمهر زوجته أولى من البيع.

المطلب الثالث

إعسار الزوج بمهر زوجته الحال بعد الدخول

إذا أعسر الزوج بمهر زوجته الحال وكان ذلك بعد الدخول بها، وطلبت الزوجة فسخ عقد النكاح لأجل ذلك، فهل لها حق في ذلك؟ وهل تُجاب إلى هذا الطلب؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: إن المرأة لا يحق لها الفسخ إذا أعسر الزوج بالمهر بعد الدخول،

٦٧- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٤٢٨، النفرواي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القرواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ١١٢، والأصحح، المدونة الكبرى، ج ٢، ص ١١٢، الشربيني، مغني المحتاج، ج ٥، ص ١٩٨، البهوتي، كشف القناع شرح الإقناع، ج ٥، ص ٢١٠، ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٢٣٦.

ولا تجاب إلى هذا الطلب، وبه قال الحنفية^(٦٨)، والمالكية^(٦٩)، وهو قول مرجوح عند الشافعية^(٧٠).

- وفصل الحنفية القول في ذلك فقالوا^(٧١): إنَّ الزوجة تعود على زوجها بالمهر كالغريم وتطالبه به، ولها أن تمنع نفسها إذا أراد الزوج أن يسافر بها أو أراد أن يطأها حتى تأخذ مهرها، وليس لزوجها أن يمنعها الخروج من المنزل أو السفر؛ لأن حق الحبس لاستيفاء المستحق، وليس له الاستيفاء قبل الإيفاء.
- وبين المالكية في ذلك بقولهم: إذا أعسر الزوج بالمهر بعد الدخول فلا خيار لها في الفسخ، وتكون غرمة للزوج كسائر الغرماء^(٧٢).

وبناءً على ما سبق نخلص إلى ما يأتي:

أولاً: أن فقهاء الحنفية يقولون: إنَّه لا خيار للزوجة في الفسخ إذا أعسر زوجها بالمهر، ولا فرق في ذلك عندهم بين وقوع ذلك قبل الدخول أو بعده.

ثانياً: أن فقهاء المالكية يفرقون بين إعسار الزوج بالمهر قبل الدخول وبعد الدخول، فالمرأة قبل الدخول لها الفسخ إذا أعسر الزوج بمهرها، وأمَّا بعد الدخول فليس لها ذلك.

٦٨- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٢، ص ١٥٥، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٧١، السرخسي، المبسوط، ج ٥، ص ١٩١.

٦٩- ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢، ص ٣٩، الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٣، ص ٣٧١.

٧٠- الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٦١، النووي، روضة الطالبين، ج ٩، ص ٧٥، الشرييني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٦٥-٥٦٦.

يقول الشيرازي: «إذا أعسر الرجل بالمهر ففيه طريقتان: من أصحابنا من قال: إن كان قبل الدخول ثبت الخيار في فسخ النكاح، وإن كان بعد الدخول لم يجز الفسخ، ومن أصحابنا من قال: إن كان قبل الدخول ثبت الفسخ وإن كان بعد الدخول ففيه قولان: أحدهما: لا يثبت لها الفسخ لما ذكرناه، والثاني لها الفسخ وهو الصحيح».

٧١- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٢، ص ١٥٥، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٣٧١.

٧٢- ابن جزوي، القوانين الفقهية، ص ١٧٦.

فالمالكية يوافقون الحنفية فيما إذا أعسر الزوج بالمهر بعد الدخول في عدم جواز الفسخ ويخالفونهم إذا حصل الإعسار قبل الدخول.

القول الثاني: إنَّ المرأة يحق لها الفسخ إذا أعسر الزوج بالمهر بعد الدخول، وتُجاب إلى هذا الطلب، وبه قال: الشافعية^(٧٣)، والحنابلة^(٧٤).

فالراجح عند الشافعية والحنابلة جواز فسخ عقد النكاح لأجل الإعسار بمهر الزوجة، وأن المرأة لها طلب ذلك، وتُجاب إليه، ولا فرق عندهم - على الصحيح - بين وقوع ذلك قبل الدخول أو بعده.

الأدلة:

أدلة القول الأول:

استدلَّ أصحاب القول الأول - وهم الحنفية - بالأدلة ذاتها التي استدلوها بها في الصورة السابقة، وهي عدم جواز الفسخ إذا أعسر الزوج بالمهر بعد العقد وقبل الدخول، وقد سبق ذكرها ومناقشتها.

ولكن هنا لا بد من إيراد أدلة المالكية الذين قالوا بعدم جواز الفسخ إذا حصل الإعسار بعد الدخول، وما السبب الذي جعلهم يفرقون بين حصول الإعسار قبل الدخول وجواز الفسخ في هذه الصورة، وعدم جواز الفسخ بعد الدخول، وبيان ذلك فيما يأتي:

١- أنه إذا تعذر الوصول إلى عوض العقد قبل تسليم المعوض كان لها حقُّ الفسخ، كما لو أعسر المشتري بثمن المبيع قبل تسليمه، وكما لو حجر على

٧٣- الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٦١، النووي، روضة الطالبين، ج ٩، ص ٧٥، الشريبي، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٦٥-٥٦٦.

٧٤- المرادوي، الإنصاف، ج ٨، ص ٣١٢، ابن مفلح، المبدع، ج ٧، ص ١٧٧، البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ١٦٤.

المفلس والمبيع باق بعينه، فيتعلق البائع بالثمن، أما بعد الدخول فلا تفريق إذ الوطاء كتلف المبيع^(٧٥).

ويجاب عنه: بأنَّ هناك فرقاً بين المهر و ثمن المبيع ؛ إذ إنَّ الثمن مقصود في المبيع ، وغير مقصود في النكاح ، فكان في العادة تعجيله في المبيع ، أما النكاح فلا يفسد بتركه اتفاقاً^(٧٦).

٢- إنَّ المعقود عليه بعد الدخول قد استوفي ، وبذلك يكون قد تلف المعوض ، وصار العوض - وهو المهر - ديناً في الذمة ، ويسقط خيار الزوجة في الفسخ ، كما لو يسقط خيار البائع بتلف المبيع في يد المفلس ، وأما قبل الدخول فهو غير مستهلك ، فثبت لها الخيار كما يثبت للبائع مع بقاء المبيع ، فثمة فرق بين الصورتين^(٧٧).

ويجاب عنه: بأنَّ المعقود عليه بعد الدخول لا يتلف حقيقة باستيفائه ، وإمّا هو استعمال ووطاء شرعي ، وعليه فثمة فرق بين إتلاف المبيع ووطاء الزوجة .

٣- أنَّ المرأة لما كان لها حق الامتناع من تسليم نفسها قبل الدخول حتى تقبض مهرها ، ولم يكن لها حق الامتناع بعد الدخول ، فكانت يدها قبل الدخول أقوى ، فثبت لها الخيار بالإعسار ، وبعد الدخول أضعف ، فسقط خيارها بالإعسار^(٧٨).

ويجاب عنه: بأنَّ العلة في إعطاء المرأة حق الفسخ قبل الدخول متحققة فيما بعد الدخول ، وهي الإضرار بها ، فالمناط واحد قبل الدخول وبعده ، إضافةً إلى أنه حق مفروض من الله تعالى للمرأة ، وهي لم تتنازل عنه ، ولم ترض بتأجيله ، فإمّا

٧٥- الشربيني ، مغني المحتاج ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ، الشيرازي ، المهذب ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ .

٧٦- ابن قدامة ، المغني ، ج ٨ ، ص ٨٢ .

٧٧- ابن جزي ، القوانين الفقهية ، ص ١٧٦ .

٧٨- الماوردي ، الحاوي الكبير ، ج ٩ ، ص ٤٧١ .

أن تُعطى ذلك الحق، وإمّا أن تُجاب لطلب الفسخ.

٤- أن المهر يستقر بوطنها مرة واحدة، وليس لها بعد الوطء حبس نفسها لأجل الصداق؛ إذ إنها أبطلت حقها بالتمكين من الوطء ولو مرة واحدة^(٧٩).

ويجاب عنه: بأن إبطال حقها بالتمكين من الوطء محل نظر؛ إذ إن هذا الحق ثابت لها قبل الدخول بها، وإنما استقرَّ بالدخول، وليس ذلك بإبطال لحقها.

بخلاف حصول ذلك قبل الوطء، فهي لم يستقر مهرها لأنها لم توطء، فثمة فرق بين الصورتين، فتعطى حق الفسخ قبل الدخول، وأمّا بعد الدخول فلا فسخ لها لأنها أبطلت حقها بالفسخ بالتمكين، ويبقى ديناً في ذمة الزوج.

أدلة القول الثاني:

استدلَّ أصحاب القول الثاني القائلون بأن المرأة يحق لها الفسخ إذا أعسر الزوج بالمهر بعد الدخول، وتُجاب إلى هذا الطلب بما يأتي:

١- أن النكاح عقد معاوضة، فإذا أعسر الزوج بالمهر كان للزوجة الفسخ كما لو أعسر المشتري أو المستأجر بالثمن أو الأجرة فإنَّ للبائع أو المؤجر فسخ العقد^(٨٠).

٢- أن الزوجة لها أن تمنع نفسها حتى تقبض المهر، كما أن للبائع أن يمنع إقباض السلعة حتى يقبض الثمن، وفي منع إعطائها حق الفسخ إضرار بها؛ لأنها إما أن تلزم إضراره، أو تسلم البضع إليه والرضا بدمته، وكلاهما غير واجب^(٨١).

٧٩- ابن جزي، القوانين الفقهية، ص ١٧٦.

٨٠- ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٨٢، البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ١٦٤، ابن القيم، زاد المعاد، ج ٥، ص ٥٢١.

٨١- البهوتي، معونة أولي النهى، ج ٩، ص ٢٣٥.

الترجيح:

الذي يترجح في نظري - والله أعلم - القول الثاني، الذي يرى بأن المرأة لها حق الفسخ بسبب إعسار الزوج بمهرها بعد الدخول، وذلك لما يأتي:

أولاً: أن ما ذكره الحنفية من لزوم عدم جواز إعطاء المرأة حق الفسخ، وهو جواز أن تمنع المرأة نفسها إذا أراد الزوج أن يسافر بها، أو أراد أن يطأها حتى تأخذ مهرها، وليس لزوجها أن يمنعها الخروج من المنزل أو السفر؛ لأن حق الحبس لاستيفاء المستحق، وليس له الاستيفاء قبل الإيفاء، هو بحد ذاته ضرر على الزوجة، وعلى الزوج كذلك، والضرر لا يرفع بمثله، أو بما هو أكثر منه ضرراً، مما يدل على ضعف ما ذهبوا إليه.

ثانياً: أن مناط إعطاء الزوجة حق الفسخ إذا أعسر الزوج هو الضرر الواقع عليها، وهذا لا يختلف الحال به سواء أكان قبل الدخول أم بعده.

المبحث الثالث

نوع الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالنفقة ومدى حاجتها إلى القضاء يتضمن هذا المبحث بياناً لنوع الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالنفقة، وقد دار خلاف الفقهاء على نوع هذه الفرقة: هل هي فسخ أو طلاق؟ وهل يفتقر إيقاعها إلى قضاء القاضي أو لا؟

وهذا يستلزم أولاً بيان معنى الفسخ والطلاق، والفرق بينهما، وبيان ذلك في مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول

معنى الطلاق والفسخ والفرق بينهما

يتضمن هذا المطلب تعريفاً بالطلاق والفسخ، والفرق بينهما، وبيان ذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: الطلاق في اللغة:

الطلاق في اللغة: لفظ يدلُّ على التخليّة والإرسال، ويُقال للإنسان إذا عتقَ: طَلِقْتُ، أي: صار حراً، ويقال: طَلَّقت الناقَةَ، إذا سَرَّحت حيث شاءت، والطلاق من الإبل: هي التي طَلقت في الرعي، وامرأة طالق: أي طلقها زوجها^(٨٢)، ويقال: طَلَّق الرجل، يطلق طلاقاً، بمعنى التخليّة^(٨٣).

الفرع الثاني: الطلاق في الاصطلاح:

تنوعت تعبيرات الفقهاء في المذاهب الفقهيّة المشهورة في بيان حقيقة الطلاق، ويمكن إجمال ذلك على النحو الآتي:

تعريف الحنفية:

عرّف الحنفية الطلاق بقولهم: «رفع قيد النكاح بلفظ مخصوص»^(٨٤).

والمراد بالقيّد هنا العقد؛ لأنَّ العقد تقييد للرابطة العقدية، وقولهم: بلفظ مخصوص: فيه إشارة إلى أنَّ الطلاق يفتقر إلى اللفظ الذي يدلُّ عليه صراحةً أو كنايةً، ولإخراج الفسوخ بأنواعها، كخيار البلوغ، وعدم الكفاءة، وردة أحد الزوجين، من حد الطلاق^(٨٥).

تعريف المالكية:

أورد المالكية تعريف الطلاق بقولهم: «صفة حكمية ترفع حلية متعة الزوج بزوجه»^(٨٦).

٨٢- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٩٤، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٨، ص ٨٨.

٨٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ١٨٧.

٨٤- ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج ٣، ص ٤٤٣.

٨٥- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٢، ص ١٥٥.

٨٦- الخطاب، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ج ٥، ص ٢٦٨.

وتعريف المالكية يوضح أنّ الطلاق استعمال معنويّ ينهي الرابطة الزوجية، فهو صفة حكمية: أي صفة اعتبارية غير وجودية.

تعريف الشافعية:

عرّف الشافعية الطلاق بأنه: «حل عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه»^(٨٧)

تعريف الحنابلة:

أورد الحنابلة تعريفاً للطلاق، مطابقاً لتعريف الشافعية من حيث اللفظ والدلالة، فقالوا فيه: هو «حل قيد النكاح»^(٨٨)، وقالوا: «حل قيد النكاح أو بعضه»^(٨٩).

وجميع التعريفات السابقة صحيحة متقاربة المعنى والضابط، وإن تنوعت الألفاظ والعبارات، ولذلك يمكن أن يقال: بأن الطلاق إنهاء للرابطة العقدية بين الزوجين، وإيقاف لامتداد آثار العقد.

الفرع الثالث: الفسخ لغة:

الفسخ لغة: الفاء والسين والحاء أصل واحد يدل على نقض الشيء ورفع^(٩٠)، وهو مصدر فسخ الشيء يفسخه فسخاً فانفسخ؛ أي نقضه فانتقض^(٩١)، ويُقال: فسخ البيع والنكاح، أي نقضه فانتقض، وتفاسخت الأقاويل: أي تناقضت، وفسخت المفصل عن موضعه: أي أزلته من غير كسر، وتفسخ الشعر عن الجلد: أي زال وتطاير، وفسخت الثوب: أي طرحته وألقيته، وفسخ عقله وبدنه: إذا أصابهما الضعف، وتفسخت الفأرة في الماء: أي تقطعت، وفسخت العقد فسخاً:

٨٧- الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ج ٣، ص ٤٢٣.

٨٨- ابن قدامة، المغني شرح مختصر الخرقي، ج ١٠، ص ٣٢٣.

٨٩- البهوتي، كشف القناع شرح الإقناع، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص ٤٧٣.

٩٠- ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الجليل، ج ٢، ص ٢٣١.

٩١- ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٤٥.

رفعته، وفسخ الرأي: فسد^(٩٢).

الفرع الرابع: الفسخ اصطلاحاً:

لا يخرج الفسخ في معناه الشرعي عن معناه اللغوي، وذلك أن حقيقة الفسخ عند الفقهاء تتضمن نقضاً للعقد المبرم، وهدماً للآثار التي كانت قد ترتبت عليه، وقد تنوعت عبارات الفقهاء في بيان معنى الفسخ، إلا أنها لا تخرج عن المعنى الذي قدمناه، ومنها على سبيل المثال: ما أورده الزيلعي من بيان لمعنى الفسخ بقوله: «رفع العقد من الأصل»^(٩٣)، وذهب القرافي إلى أنه: «قلب كل واحد من العوضين لصاحبه»^(٩٤)، ومنه ما ذكره النووي بأنه: «رفع العقد من حينه»^(٩٥).

وجميع التعريفات الآتية الذكر متقاربة المعنى والدلالة، فالفسخ انحلال العقد، يُقصدُ به حل الرابطة العقدية، التي تجمع المتعاقدين، وإزالة كل آثارها، بحيث يصبح العقد منعدماً كأنه لم يكن، والعودة إلى الأصل قبل إبرام العقد.

الفرع الخامس: الفرق بين الطلاق والفسخ

يكمن الفرق بين الطلاق والفسخ في عدة نقاط، يمكن بيانها على النحو الآتي:

أولاً: من حيث الحقيقة والمعنى:

إنَّ الطلاق حلٌّ وإنهاءٌ للعقد، وهذا لا يقتضي إعدامه بالكلية إلا إذا كان بائناً بينونة كبرى، وأمّا الفسخ فهو ينقضُّ العقد من أصله، ويزيله ويُعدمه بالكلية،

٩٢- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٢٥، والزيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٣،

ص ٢٣٦، ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٤٥.

٩٣- الزيلعي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ج ٤، ص ١٩٧.

٩٤- القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، ج ٣، ص ١٠٨٥.

٩٥- النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ٩، ص ٤٦-٤٧.

ويَجْعَلُهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ^(٩٦).

ثانياً: من حيث عدد الطلقات:

عدد الطلقات التي يملكها الزوج ثلاثاً كما هو مقرر إجماعاً^(٩٧)، والطلاق يُنْقَصُ من عدد الطلقات التي يملكها الزوج، ما بين طلاق رجعي، أو بائن بينونة صغرى، أو كبرى. في حين أن الفسخ لا يُنْقَصُ عدد الطلقات التي يملكها الزوج على زوجته^(٩٨).

ثالثاً: من حيث وقوع الطلاق أثناء عدة الزوجة:

إنَّ الطلاق يقع على المعتدة من طلاق رجعي، أو طلاق بائن بينونة صغرى؛ لأنَّ آثار الزوجية ما زالت باقية بين الزوجين. وأمَّا المعتدة من الفسخ فلا يقع الطلاق عليها؛ لأنَّ آثار الزوجية زالت بالفسخ، فلا يقع طلاق عليها أثناء العدة^(٩٩).

رابعاً: من حيث الأثر في المهر:

يمكن إجمال الفرق بين الفسخ والطلاق من حيث أثره في المهر:

إنَّ الفسخ يُسْقِطُ المهر كاملاً قبل الدخول، والطلاق ينصفه عند الحنفية والمالكية.

وأمَّا الشافعية والحنابلة فيجعلون سقوط المهر وتنصيبه عائداً إلى سبب

٩٦- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٥، ص ٢٨٣، الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٤، ص ١٩٧، القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحيم، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ١٠٨٥.

٩٧- السرخسي، المبسوط، ج ٧، ص ٢١٣، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط. الأولى، ١٣٨٧هـ، ج ٤، ص ٢١٥، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ٦، ص ١٢٣، ابن قدامة، المغني، ج ٧، ص ١٧٤.

٩٨- السرخسي، المبسوط، ج ٦، ص ١٧٦، ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج ٣، ص ٧٠، ابن قدامة، المغني، ج ٧، ص ٢٥٠.

الفرقة، هل هو من الزوج أو من الزوجة؟ ولا أثر للفسخ والطلاق في ثبوت المهر بعد الدخول عند الجميع .

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

– مذهب الحنفية والمالكية:

ذهب الحنفية إلى أن فرقة الفسخ بين الزوجين قبل الدخول تسقط جميع المهر^(١٠٠)؛ لأن حقيقة الفسخ ما هي إلا رفع للعقد من أصله وجعله كأن لم يكن، وارتفاعه بالفسخ يرفع المهر؛ لأنه حكم من أحكام العقد الصحيح سواء أتمت من قبل الزوجة كردتها عن الإسلام، أم من قبل الزوج، فحالات الفسخ تسقط المهر كاملاً.

وأما فرقة الطلاق قبل الدخول فإنها توجب نصف المهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١٠١).

– مذهب الشافعية والحنابلة:

ميّز الشافعية والحنابلة بين أثر الفرقة في المهر في حالتين: بين ما إذا كانت بسبب من الزوج، أو بسبب من الزوجة على النحو الآتي:

الحالة الأولى: إذا كانت الفرقة بسبب من الزوجة قبل الدخول، كردتها، أو إسلامها، فإن هذا يسقط حقها في المهر؛ لأن الفرقة كانت بسببها، والفرقة إذا

١٠٠- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣، ص ٤٢٩، والكاساني، بدائع الصنائع، ج ٢، ص ٣٣٧، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج ٢، ص ٣٠٩، والمواق، شرح المواق على مختصر خليل (التاج والإكليل)، ج ٤، ص ٣١٥، الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، ص ٩٨.
١٠١- سورة البقرة، آية ٢٣٧.

كانت من قبل الزوجة قَبْلَ الدخول كانت سبباً لإسقاط حقها في المهر، وتعليل ذلك: أن المرأة قد اختارت الفرقة بنفسها، فكانها أتلقت المعوض قبل التسليم فسقط البدل، كالبائع إذا أتل المبيع قبل التسليم^(١٠٢).

الحالة الثانية: إذا كانت الفرقة بسبب من الزوج قبل الدخول، كردته، أو إسلامه، فلها نصف المهر المسمى، أو المتعة إن لم يكن مهراً مسمى^(١٠٣)، كما لو طلقها قبل الدخول ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١٠٤).

خامساً: من حيث وروده على العقد الفاسد:

الطلاق لا ينجم إلا عن عقد صحيح، فهو لا ينجم ولا يرد على عقد فاسد، وهذا بخلاف الفسخ فإنه يلحق ويرد على العقد الصحيح والفاسد^(١٠٥).

سادساً: من حيث كيفية وقوعه:

الطلاق لا يقع إلا بالتلفظ به، ويكون اللفظ إما صريحاً أو كناية على تفصيل في ذلك عند الفقهاء.

وأما الفسخ فإنه قد يقع دون التلفظ به، كما في حالة قيام سببه كالردة مثلاً، وقد يقع بقضاء القاضي^(١٠٦).

١٠٢- النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ٩، ص ٤٦-٤٧، الشريبي، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٢٣٤، الحجاوي، الإقناع لطالب الانتفاع، ج ٣، ص ٤٢٦ ابن قدامة، المغني، ج ٧، ص ١٧٤.

١٠٣- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٢، ص ٣٣٧، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ٩، ص ٤٦-٤٧، البهوتي، كشاف القناع شرح الإقناع، ج ٥، ص ٤٠، الخرخشي، شرح مختصر خليل، ج ٤، ص ١٩٤.

١٠٤- سورة البقرة، آية ٢٣٧.

١٠٥- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ٢، ص ٥٣، الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٢، ص ٢٧٤.

١٠٦- بدائع الصنائع، ج ٢، ص ٣٣٧، المواق، شرح المواق على مختصر خليل (التاج والإكليل)، ج ٤، ص ٣١٥، الشريبي، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٢٣٤.

المطلب الثاني

نوع الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالمهر

اختلف الفقهاء القائلون بجواز فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار بمهر الزوجة في نوع هذه الفرقة على قولين:

القول الأول: إنَّ الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالمهر طلاق، و به قال: المالكية^(١٠٧).

القول الثاني: إنَّ الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالمهر فسخ، و به قال: الشافعية^(١٠٨)، والحنابلة^(١٠٩).

وقد علل أصحاب القول الأول مذهبهم بما يأتي:

١- إنَّ الفرقة بسبب الإعسار بالمهر وقعت في عقد صحيح، وكل فرقة وقعت في نكاح صحيح فهي طلاق^(١١٠)، وهو طلاق رجعي؛ لأنَّ العسر قد يزول بمرور الوقت، وبوقوعه رجعيًا يتسنى للزوج إعادة الزوجة لعصمته ما دامت في عدتها إذا وجد يسارًا.

٢- إنَّ كلَّ نكاح اختلف الفقهاء فيه كانت الفرقة الواقعة به طلاقًا لا فسخًا، وكلَّ نكاح اتفق الفقهاء على فساده يكون فسخًا لا طلاقًا، والتفريق بالإعسار مختلف فيه فيكون طلاقًا لا فسخًا^(١١١).

١٠٧-المواق، التاج والإكليل، ج ٥، ص ٥٦٥، الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٢، ص ٥١٨، الخرشي، شرح الخرشي على مختصر خليل، ج ٢، ص ١٩٨، ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢، ص ٧٠.

١٠٨- الشربيني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٥٦٣، الرملي، نهاية المحتاج، ص ٧، ص ٢١٥.

١٠٩- البهوتي، كشف القناع، ج ٥، ص ٤٧٤، ابن مفلح، الفروع، ج ٥، ص ٥٧٨، ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ١٦٣.

١١٠- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٢، ص ٥١٨، ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢، ص ٧٠.

١١١- ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢، ص ٧٠.

ويجاب عن التعليلين السابقين: بأن كليهما ضوابط للتفريق بين الفسخ والطلاق، وكليهما مختلف فيهما، وليس محل اتفاق بين الفقهاء، وإذا كان كذلك لا يلزم المخالف.

وقد علل أصحاب القول الثاني مذهبهم بما يأتي:

١- إن التفريق بين الزوجين بسبب الإعسار بالمهر وقعت من جهة المرأة، وكلُّ فرقة من جهة المرأة فسخ لا طلاق^(١١٢).

٢- القياس على التفريق بين الزوجين بسبب عيب العنة^(١١٣):

قالوا: الفرقة الواقعة بسبب الإعسار بالمهر فسخ لا طلاق، قياساً على التفريق بين الزوجين بسبب عيب العنة، بجامع الضرر في كل منهما، وتعدّر استمرار الحياة الزوجية في كلا الصورتين^(١١٤).

الترجيح:

الذي يترجح في نظري - والله أعلم - القول الثاني، القائل بأن الفرقة الواقعة بسبب الإعسار بالمهر فسخ لا طلاق وذلك لما يأتي:

أولاً: إن الزوج لم يوقع شيئاً، ولا جعل إلى أحد إيقاعه، والطلاق لا يقع إلا إذا أوقعه الزوج، أو جعل لأحد إيقاعه، وإذا كان الأمر كذلك في الفرقة بسبب الإعسار كانت فسخاً لا طلاقاً.

١١٢- الشربيني، مغني المحتاج، ج٣، ص٥٦٣، البهوتي، كشف القناع، ج٥، ص٤٧٤.

١١٣- العنة: مرض يختص بالرجل، وهو العاجز عن إيلاج ذكره، مأخوذ من: عن يعن إذا اعترض، لأن ذكره يعن، أي يعترض إذا أراد أن يولجه، فيعجز، عن الوطاء، وربما اشتهاه ولا يمكنه. ينظر: ابن القاسم، حاشية الروض المربع، ج٦، ص٣٣٤.

١١٤- ابن قدامة، المغني، ج٨، ص١٦٣.

ثانياً: إنَّ الفرقة هنا تقع بغير لفظ من الزوج، والطلاق لا يقع إلاَّ بلفظ من الزوج.

وبناء على ما تقدم يرد السؤال: هل الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بالمهر تحتاج إلى قضاء القاضي؟

اتفق فقهاء المالكية^(١١٥) والشافعية^(١١٦) والحنابلة^(١١٧) - وهم القائلون بجواز فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار بمهر الزوجة - على أنَّ الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بمهر الزوجة تفتقر إلى قضاء القاضي؛ لأنها من الأمور المختلف فيها، التي تختلف باختلاف الأنظار؛ إذ إنها محل اجتهاد ونظر، وما كان شأنه هذا لا بد فيه من تدخل القاضي للنظر فيه^(١١٨)، والاجتهاد في تقديره؛ لقطع النزاع ورفع الخلاف فيه.

١١٥- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٢، ص٥١٨، الخرشي، شرح الخرشي على مختصر خليل، ج٢، ١٩٨.

١١٦- الماوردي، الحاوي الكبير، ج١٥، ص٤٩، الشريبي، مغني المحتاج، ج٣، ص٤٤٤، الشيرازي، المهذب، ج٣، ص٢٥٦.

١١٧- البهوتي، كشف القناع، ج٥، ص٤٨٠، شرح منتهى الإرادات، ج٥، ص٦٧١، المرادوي، الإنصاف، ج٢٤، ص٣٦٥، ابن قدامة، المغني، ج١١، ص٣٦٥.

١١٨- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٢، ص٥١٨، الماوردي، الحاوي الكبير، ج١٥، ص٤٩.

الخاتمة

توصّل البحث إلى أهم النتائج الآتية:

أولاً: إذا كان المهر مؤجلاً وأعسر الزوج به، وطلبت المرأة الفسخ لأجل ذلك، فإنّها لا تُجاب إلى ذلك باتفاق المذاهب الأربعة، ونقل ابن تيمية إجماع الفقهاء على ذلك.

ثانياً: إذا أعسر الزوج بمهر المرأة قبل الدخول بها وكانت عاتمة بذلك قبل العقد عليها، ثم طلبت الفسخ، فللعلماء في هذه المسألة قولان: الأول لا يحق لها طلب الفسخ ولا تجاب إلى هذا الطلب، وبه قال: الحنفية وقول عند الشافعية، والثاني يحق لها ذلك وتجاب إلى هذا الطلب، وبه قال: المالكية و الشافعية والحنابلة، والأرجح الثاني؛ لأنّ من قواعد الشريعة الإسلامية: «الضرر يزال» و«لا ضرر ولا ضرار» والزوجة تتضرر بمثل هذه الصورة، وسبيل رفع الضرر عنها إذا لم تصبر على هذا الزوج أن تعطى خيار الفسخ.

ثالثاً: إذا أعسر الزوج بمهر الزوجة الحال قبل الدخول بها، وكانت الزوجة تعلم بذلك قبل إبرام العقد، فيجوز لها الفسخ إجماعاً؛ لأن المهر حق من حقوقها، ولها أن ترضى بتأجيله، فإذا عدلت بعد ذلك عن هذا الرضا وطالبت بالفسخ، فللعلماء في المسألة قولان: قول يحق لها طلب الفسخ وتجاب إليه، وهو قول عند الشافعية ورواية عند الحنابلة، وقول آخر: لا يحق لها طلب الفسخ ولا تجاب إليه، وبه قال المالكية والشافعية والحنابلة، والأرجح الثاني؛ لأنّ رضاها بمثابة إسقاط حقها في المهر معجلاً، وقبولها بتأجيله، فيسقط خيار الفسخ بسبب الإعسار بمهرها، والساقط لا يعود..

رابعاً: إذا أعسر الزوج بالمهر بعد الدخول بالزوجة، فللعلماء في جواز فسخ

عقد النكاح إذا طلبت الزوجة ذلك قولان: الأول: يجوز ذلك، وتجاب الزوجة إلى هذا الطلب إن طلبته، وبه قال: الشافعية والحنابلة، والثاني: لا يجوز ذلك، ولا تجاب الزوجة إلى هذا الطلب إن طلبته، وبه قال الحنفية والمالكية، والأرجح الأول؛ لأن النكاح عقد معاوضة، فإذا أعسر الزوج بالمهر كان للزوجة الفسخ كما لو أعسر المشتري أو المستأجر بالثمن أو الأجرة فإنَّ للبائع أو المؤجر فسخ العقد.

خامساً: يرى فقهاء الحنفية بأنَّ الزوج إذا أعسر بمهر الزوجة بعد الدخول بها، فإنه لا يجوز فسخ عقد النكاح لأجل ذلك، ولكنها - أي الزوجة - تعود على زوجها بالمهر كالغريم وتطالبه به، ولها أن تمنع نفسها إذا أراد الزوج أن يسافر بها أو أراد أن يطأها حتى تأخذ مهرها، وليس لزوجها أن يمنعها الخروج من المنزل أو السفر؛ لأنَّ حق الحبس لاستيفاء المستحق، وليس له الاستيفاء قبل الإيفاء، ووافق المالكية فقهاء الحنفية في عدم جواز الفسخ، وتكون غرمة للزوج كسائر الغرماء.

سادساً: اختلف الفقهاء القائلون بجواز فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار بمهر الزوجة في نوع هذه الفرقة على قولين: فمنهم من يرى أنها طلاق، وبه قال: المالكية، ومنهم من يرى أنها فسخ، وبه قال: الشافعية، والحنابلة، والأرجح القول الأول؛ لأنَّ الفرقة هنا تقع بغير لفظ من الزوج، والطلاق لا يقع إلا بلفظ من الزوج.

سابعاً: اتفق القائلون بجواز فسخ عقد النكاح بسبب الإعسار بمهر الزوجة على أنَّ الفرقة الحاصلة بسبب الإعسار بمهر الزوجة أنه يفتقر إلى قضاء القاضي؛ لأنها من الأمور المختلف فيها.

المصادر والمراجع

- الأصبحي، مالك بن أنس، المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٦ م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ط. الأولى ٢٠١٠ م.
- البغدادي، عبد الوهاب بن علي، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، دار ابن القيم، ط. الأولى، ٢٠٠٨ م.
- البلخي، نظام الدين وآخرون، الفتاوى الهندية، دار الفكر، ط. الثانية، ١٣١٠ هـ.
- البهوتي، منصور بن يوسف بن إدريس، كشف القناع شرح الإقناع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦ هـ.
- ابن جزى، القوانين الفقهية، مكتبة عباس الباز، ط. الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- الحجاوي، شرف الدين موسى بن أحمد أبو النجا، الإقناع لطالب الانتفاع، طبعة هجر، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ابن حزم،، علي بن أحمد بن سعيد، المحلى، دار الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية ١٩٩٤ م.

- الخرشي، محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ٢٠١٠م.
- الخفيف، علي، الحق والذمة وتأثير الموت فيهما، دار الفكر العربي، ط. الأولى، ١٩٩٦م.
- الدردير، أحمد بن محمد بن أحمد، الشرح الكبير، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد ونهاية المفتصد، دار الحديث، القاهرة، ط. الأولى، ٢٠٠٤م.
- ابن الرفعة، نجم الدين أحمد بن محمد، كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.
- الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن شهاب، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج:، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٧هـ.
- الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية بمصر، ط. الأولى ١٣٠٦هـ.
- الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط. الثانية، ١٤١٨هـ.
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على الموطأ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الزيات، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، دت.

- الزيلعي، عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الأميرية، بولاق، ط. الأولى، ١٣١٣هـ.
- الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٩م.
- السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٦م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، ط. الأولى، ٢٠٠٣م.
- السمرقندي، علاء الدين، تحفة الفقهاء، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ١٩٨٤م.
- السيد الشريف علي بن محمد، شرح السراجية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط. الأولى، ٢٠٠٥م.
- الشربيني، محمد بن محمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٢١هـ.
- الشنقيطي، محمد الشيباني بن محمد بن أحمد، تبيين المسالك شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك، دار الكتب العلمية، لبنان، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، ط. الثالثة، ١٤١٩هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤١٧هـ.

- العبادي، عبد السلام، الملكية في الشريعة الإسلامية، دار الفرقان، عمان، ط. الرابعة، ١٤٢٧هـ.
- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد:
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط. الأولى، ١٣٨٧هـ.
- الكافي في فقه أهل المدينة، مكتبة الرياض الحديثة، ط. الثانية ١٤٠٠هـ.
- عlish، محمد، شرح منح الجليل على مختصر خليل، مكتبة النجاح، طرابلس، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.
- العيني، محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٠م.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السادسة، ١٤١٩هـ.
- الفيومي، أحمد بن محمد علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، ط. الثانية، ١٤١٦هـ.

- القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحيم:
- أنوار البروق في أنواء الفروق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٩٩٤ م.
- الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الثانية، ١٩٩٧ م.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.
- ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغني، دار عالم الكتب، ط. الرابعة، ١٤١٩ هـ.
- القليوبي، شهاب الدين أحمد سلامة، وعميرة، شهاب الدين أحمد، حاشيتا القليوبي وعميرة، مكتبة ومطبعة أحمد سعد نبهان، ط. الرابعة، ١٣٩٤ هـ.
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة الإمام، القاهرة، ط. الثانية، ١٤١٣ هـ.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الشعب، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٢ م.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الحاوي في فقه مذهب الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط. الأولى، ١٤١٩ هـ.
- المرداوي، علاء الدين أبي الحسن بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: ط. الأولى، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٦ هـ.
- ابن مفلح، برهان الدين أبو إسحاق بن محمد بن عبد الله، المبدع شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨ هـ.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط. الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، شرح المواق على مختصر خليل (التاج والإكليل)، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩هـ.
- موسى، محمد يوسف، الفقه الإسلامي، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤٣٦هـ.
- الموصلي، عبد الله بن محمد بن مودود، الاختيار لتعليل المختار، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ابن النجار، تقي الدين محمد بن أحمد، منتهى الإيرادات، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤١٣هـ.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤١٨هـ.
- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٨م.
- النفرواي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القرواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٧م.
- النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- المجموع شرح المهذب، دار الكتب العلميّة، لبنان، ١٤٠٦هـ.

- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.
- الونشريسي، أحمد بن يحيى بن عبد الواحد بن علي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، طبعة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٦ م.

التكوين السريع للموارد البشرية
وفعاليتها المعرفية والعملية

– دراسة ميدانية على برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بدبي –

د. محمد أحمد عبد الرحمن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي

دولة الإمارات العربية المتحدة



ملخص البحث

يسعى البحث إلى إبراز مفهوم التكوين السريع ، وفعالته المعرفية والعملية، ويركز في الجانب التطبيقي على عينة هي (برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بدبي)، وقد عرض البحث في الفصل الأول لمفهوم التكوين وأنواعه وأنماطه، وآثاره، وأهدافه، وخصص الفصل الثاني لدراسة نتائج الامتحانات على مستوى الفصول الدراسية الأربعة مركزا على المتغير في التقديرات من فصل إلى فصل عبر المساقات الدراسية الخمسة وهي الرياضيات واللغة العربية والإنجليزية، ومهارات الحاسوب، ومهارات العمل، وقد توصل البحث بعد تتبع إحصائي لسؤال جوهرى حول أسباب الفروق القائمة بين (التقديرات) على مختلف الفصول، وحاول أن يفسر تلك الفروق بناء على أسئلة موجهة للمشرفين على (برنامج إنجاز) ثم مقابلة ذلك بمفردات المقررات بوصفها دالة علمية لإدراك أسباب الاختلافات الواردة ضمن نتائج التقديرات.

Abstract

**“The Rapid Training for the Human Resources and
its Practical and Cognitive Effectiveness.”
Case Study on the Emirati Experiment “Injaz”
Work Readiness Programme (WRP) at
College of Islamic and Arabic Studies- Dubai**

Dr. Mohammed Ahmed Abdel Rehman

The research aims to investigate the concept of “The Rapid Training for the Human Resources and its Practical and Cognitive Effectiveness.” Case Study on the Emirati Experiment “Injaz” Work Readiness Programme (WRP) at College of Islamic and Arabic Studies- Dubai. In the first chapter, the research gave an account to the concept of rapid training, its types, patterns, effects and objectives. The second chapter is dedicated to study the students’ assessment across the program four semesters focusing on the variable in the evaluations grades from one semester to another across the five courses i.e., Mathematics, Arabic Skills, English Skills, Computer Skills, and Work Skills. Based on the statistical investigation, the research has reached to essential question about the causes of the differences found in the grades’ assessment of the various semesters. The paper tried to explain such differences by means of developing questions addressed to the supervisors of Injaz program and comparing that with the courses units as a scientific formula to understand the reasons behind the differences among the grades.

١- المدخل:

تعتمد المؤسسات في كل دول العالم كثيرا إلى أسلوب (التكوين السريع) طلبا لحل مشكلات عملية واقعية، قد تتعلق بالمهارات، أو المعارف، أو اللغات، أو الوسائط المعلوماتية، أو الوسائل التقنية، ومن ثم تعددت المجالات التي تستوجب الاهتمام بترقية مستوى أداء مكوني الموارد البشرية، ومراجعة أساليب التكوين لتستجيب بصورة جديدة وعاجلة ومناسبة لحل المشكلات المطروحة، في كل مجال على حدة، لاسيما وقد أدركت النظريات المعنية بالنمو أن القوة المحركة للتقدم بالدرجة الأولى هو (الإنسان)^(١)، وأن العامل الفاعل في النمو الشامل في الدول الصناعية مرجعه الأساسي تحسين قدرات الأفراد ومهاراتهم ومعارفهم، ولم يكن رأس المال هو العامل الأكثر فعالية^(٢).

لذلك اتجهت جهود مؤسسات التعليم في العصر الحديث إلى توسيع دائرة التعلم والتكوين، فتعددت أساليب توصيل المعارف لترقية أداء الإنسان أينما وجد وحيثما كان، فظهر مصطلح «التعلم عن بعد لوصف كافة الوسائل التي تعنى بتوصيل التعلم بصورة تعتمد على وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات»^(٣)، والتعلم مدى الحياة، الذي عرف بأنه «التقدم المتواصل، المقصود في عملية التعلم عبر حياة المرء، بحيث يتم تجديد المعارف والمهارات المكتسبة في السابق وتحديثها بصورة متواصلة، وذلك بغرض مواجهة التحديات التي يفرضها المجتمع دائم التغيير»^(٤)، والتعلم الموصوف بمحو الأمية المعلوماتية، حيث ينبغي «للمعرفة أن

١- دور التكوين في تنمية الموارد البشرية، مديرية الشباب والرياضة لولاية ورقلة، نويات قدور، شعبة علم النفس، كلية العلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢م، ص ٦.

٢- المرجع نفسه، ص ٦.

٣- المكتبة في القرن الحادي والعشرين، بيتر بروفي، ترجمة محمد فتحي علي: مجموعة النيل العربية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٣.

٤- المرجع نفسه، ص ٢٣٧.

تتجاوز مجرد معرفة القراءة والكتابة، والمهارات العددية، لتصل إلى أنواع من المعرفة منها:

أ- المعرفة النصية التي تعنى بالمعارف والمهارات المطلوبة من أجل فهم المعلومات الموجودة في النصوص واستخدامها؛ بما فيها المقالات الافتتاحية والإخبارية وغير ذلك.

ب- المعرفة الوثائقية التي تتضمن المهارات المطلوبة من أجل تحديد موقع المعلومات المحفوظة بأشكال متعددة وطرق استخدامها، بما في ذلك طلبات التقدم للوظيفة، واستثمارات الرواتب والجداول الزمنية لوسائل النقل، والخرائط والجداول.

ج- المعرفة الكمية التي تشمل المعارف والمهارات التي تسهم في تطبيق العمليات الحسابية، سواء بمفردها أو في سياق، على الأرقام الموجودة ضمن مواد مطبوعة، مثل عملية موازنة دفتر شيكات أو حساب تكاليف رحلة أو استكمال استمارة طلب أو تحديد مقدار الفائدة على القروض^(٥).

من خلال كل ذلك تتعين تماما أهمية التكوين بكل أنواعه، لاستمرار التطور الذهني والمهارات لتواكب تطور المجتمع البشري، الذي لم يعد يعرف الحدود في ظل العولمة الزاحفة بقوة، بسبب تطور وسائل التعلم.

ومن هنا أيضا تبين سبب الاهتمام بهذا الموضوع، لاسيما إذا ربط ببرنامج تكويني معين، لمعرفة فعالية برنامج التكوين السريع بواسطته ومدى فعاليته.

من هنا نتساءل: ما هي حدود حركة التكوين السريع؟ وماذا يعني مفهوم (التكوين السريع) وما فعاليته العملية والمعرفية؟ وهل حقق أهدافه؟ وما المجالات

التي يصلح لها؟ وما نوع البرامج التي تتناسب مع أهدافه؟ وكيف يمكن الاستفادة من تطور طالب مرحلة تكوين ما قبل البكالوريوس لمعالجة الأساليب من أجل تطويرها؟

٢- الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي عالجت مجال الدراسة بصفة عامة نذكر بعض البحوث والرسائل الجامعية التي لها صلة قوية بموضوع (التكوين) ومنها:

أ- علاقة الممارسات الإستراتيجية لإدارة الموارد البشرية، وأداء العاملين وأثرهما على أداء المنظمات، دراسة تطبيقية على الجامعات الخاصة الأردنية / زياد مفيد القاضي / رسالة ماجستير بجامعة الشرق الأوسط / الأردن / ٢٠١٢م.

ومن النتائج المسجلة في البحث: أن أداء العاملين بالجامعات الخاصة غير مرتبط بنظم التعويضات وحدها ولا بالمشاركين العاملين فيها وحدهم، وإنما هناك علاقة بين الاستقطاب والتعيين والتعويضات والتدريب والتطوير كممارسات استراتيجية لإدارة الموارد البشرية، كما دلت الدراسة على أن أداء الجامعات الخاصة يتحسن تبعاً لتحسن أداء العاملين.

ب- دور التكوين المهني في تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من وجهة نظر الإداريين والأساتذة / رسالة دكتوراه إعداد نجاة ساسي هادف، بإشراف عمار رواب / جامعة محمد خيضر بسكرة ٢٠١٣-٢٠١٤م / الجزائر.

ومما يسجل بخصوصه أن الفصل الرابع منها يعالج مبادئ التكوين المهني وتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، ومشاكل ذوي الاحتياجات الخاصة والبرامج المساعدة على ذلك، ولاحظت أن من أهم المبادئ المحققة للنجاح ضرورة خلق الدافع لدى المتدرب، ومتابعة تقدمه.

ج- (دور برامج التكوين في تأهيل الكوادر البشرية لاستخدام التكنولوجيا الحديثة: دراسة ميدانية بمكتبات جامعة قسنطينة) ورقة علمية قدمت من: بودويرة الطاهر، وحموي نور الهدى / ضمن ملتقى دولي بجامعة محمد خيضر بسكرة / ٢٠٠٥ م.

ومن أهم نتائجها: ضرورة اعتماد مناهج علمية في وضع برامج علمية للتكوين المحقق للأهداف المقصودة، وضرورة تعديل برامج التكوين من أجل مواكبة التطورات الحاصلة في الميدان العملي، والرقمي بالمهن والمهارات.

د- دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية، دراسة حالة دورة الإمارات، إعداد الدكتورة نيفين حسين محمد خبير اقتصادي، إشراف السيدة ندى الهاشمي إدارة التخطيط ودعم القرار أغسطس ٢٠١٦ م.

ومن توصياته، توحيد جهود السياسة العليا للعلوم والتكنولوجيا والابتكار في العمل على إنشاء صناديق تمويل للعلوم والأبحاث للابتكار في الدولة، وإنشاء شركات تعاقدية تصنيعية عالمية، وإعادة النظر في كل التشريعات الاستثمارية، للتشجيع على نقل التكنولوجيا ودعم الابتكار، ومضاعفة الإنفاق على البحث والتطوير كنسبة من الناتج القومي لثلاثة أضعاف بحلول ٢٠٢١ م وإحداث تحول حقيقي في الاقتصاد الوطني^(٦).

ولا شك أن الدراسة التي نقوم بها هنا تُدرج في سياق التكوين وبرامجه الميدانية التي تهدف إلى تحقيق مستوى الأداء بحسب الأهداف التي يحددها مشرعو البرنامج. لكن الفروق بين تلك الدراسات وتكمن في نوع العينة من جهة، والتركيز على تقديرات المدرسين كمعيار لتحديد التطور من جهة أخرى.

٦- دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية، دراسة حالة دولة الإمارات، نيفين حسين محمد، إدارة التخطيط ودعم القرار، أغسطس ٢٠١٦ م، ص ٢٩.

٣- أهمية دراسة التكوين السريع وأهدافها:

تأتي أهمية دراسة التكوين السريع من حيث طبيعة الأهداف التي يرمي إليها، ومنها تلبية حاجات المجتمع للطاقات البشرية المكونة في تخصصات معينة، وترقية مستوى الموارد البشرية في المجتمع، وإيجاد بيئة سليمة لتربية الشباب وفق أسس منسجمة مع توجه المجتمع. وتنمية المهارات التي يتطلبها سوق العمل لزيادة أسباب السعادة في المجتمع. وتقديم اقتراحات لخدمة الموارد البشرية بتحسين الأداء حسب التخصصات.

٤- فرضيات الدراسة: يمكن وضع فرضيات متعددة منها:

أ- قد يتحقق من التكوين السريع مردود سريع يحقق أثرا معرفيًا عميقا في الطلبة.

ب- قد يتحقق من التكوين السريع أثر عملي حسن في الطلبة.

ج- قد يتميز بعض الطلبة عن بعض بصورة واضحة لأسباب كالكفاءة والاهتمام.

د- قد يكتشف البحث تفاوت مستويات الطلبة بين مرحلة وأخرى، تبعاً لعوامل مختلفة كاختلاف طبيعة مقررات مرحلة عن أخرى، أو تعقدها. مما يتطلب إعادة النظر في توزيع المقررات.

ولذلك سنقسم البحث إلى فصلين؛ فصل نظري، يعالج المفاهيم الأساسية للبحث، وفصل تطبيقي ميداني يركز على قراءة تحليلية لنتائج الامتحانات من حيث هي مؤشر عميق في الدلالة على مدى نجاح التكوين وقياس الأثر الذي حدث في الطالب أثناء مراحل التكوين السريع لرصد فاعلية التكوين في تطور مهاراته العملية ومعارفه النظرية.

الفصل الأول: التكوين السريع

(مفهومه وأهدافه، ومهامه ونظرياته، وإستراتيجيته وأنواعه).

١- مفهوم التكوين السريع: التكوين العلمي والتربوي بصفة عامة عملية تثقيفية تهدف إلى ترقية مستوى طالب العلم والتربية في أي مرحلة من مراحل التعليم، وفي أي تخصص كان، ولكن عندما يكون المستهدف بالعملية التعليمية هو طالب من نوع خاص؛ إما بسبب الرغبة في التكوين السريع، لغرض استراتيجي خاص، كما الحال في تعلم مهارات الرقن، أو استخدام الحاسوب، أو أي مهارة من المهارات العملية، أو صناعة من الصنائع اليدوية، أو حتى الممارسات الرياضية، وإما بسبب طبيعة المهنة في حد ذاتها حيث تتطلب وقتاً طويلاً، وإما بسبب أزمة تستعجل التكوين للقيام بملء الفراغ في لحظة من لحظات تطوير مؤسسة من المؤسسات أو نظام من الأنظمة، ففي كل هذه الأحوال يستوجب الحال التخطيط النظري والإعداد العملي لخلق دورات سريعة تقوم بتقديم ساعات مكثفة في التكوين المتخصص مع ساعات عملية ميدانية من شأنها تزويد مهارات الطالب بما يعزز المعارف النظرية التي تلقاها في مجال تخصصه الدقيق.

ولذا «يعرف التدريب على أنه العملية المنظمة والمستمرة التي تهدف إلى تزويد الفرد وإكسابه معارف وقدرات ومهارات جديدة، أو تغيير وجهات النظر والأفكار، والأسس السابقة لدى الأفراد لما ينسجم مع التغيرات التي تحدث في بيئة العمل، وخاصة في الجوانب التكنولوجية والتنظيمية، وبذلك فإن التدريب يهدف إلى تعميق المعرفة المتخصصة لدى الفرد لإنجاز عمل أو عدة أعمال معينة أو أداء وظيفة ما»^(٧).

٧- علاقة الممارسات الاستراتيجية لإدارة الموارد البشرية وأداء العاملين، وأثرهما على أداء المنظمات، دراسة تطبيقية على الجامعات الخاصة الأردنية، زياد مفيد القاضي رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ٢٠١٢م، ص ٣٦.

٢- علاقة مسمى المفهوم بالأهداف:

ولأهمية هذا النوع من التعليم واقتترانه بالعمل المهني أطلق عليه (التكوين المهني) ولأنه يتم في وقت قياسي وصف ب (السرّيع)، وقد يتبادر إلى لأذهان أن يكون المسمى (التكوين السّريع) مما يوحي بالاستعجال الذي لا يسمح بنضح المعرفة لدى الطالب، وهذا تصور غير صحيح، لذلك نريد أن نقدم في هذا البحث البرهان على أهمية التكوين السّريع، وفعاليته العملية والمعرفية في تكوين الإمكانيات البشرية وتطويرها وتنظيمها وتحسين قدرات الأداء لدى أفراد المجتمع من جهة، ودوره في تحسين الخدمات في المجتمع أو المجتمعات التي تستخدم اليد العاملة الخريجة عن طريق التكوين السّريع في أي تخصص من جهة أخرى.

والسبب في كون هذا النوع من التعليم ذا فعالية قوية هو الطموح والرغبة وحب المهنة، وسرعة تحقيق الهدف، واقتتران النظري بالعملية واستخدام الميدان القريب من غايات الطالب. والإسهام في إعادة التكوين، والعمل على التكوين الموازي للعمل.

٣- مهام التكوين^(٨):

يعد التكوين المهني أحد أهم ركائز التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الناشئة والمتطورة على حد سواء، ويسعى في الأصل بحسب نظام (كايزن) إلى تحقيق أهداف معتبرة منها^(٩):

أ- ضمان طاقات بشرية تتميز بتكوين مهني يؤهلها للاستجابة لمتطلبات سوق العمل سواء عن طريق التكوين في الإقامة الجامعية، أو التكوين في مواطن العمل.

٨- التكوين والتعليم المهنيين، مهام وهياكل: www.vitamedz.org

٩- وسيلة التغيير كايزن (kaisen)، نزارحسن الدين فلمبان، منتديات البرمجة اللغوية العصبية، مرجع إلكتروني: <http://www.nlpnote.com/forum/t33221.html>

ب- زيادة في الكفاءة

ج- توفير في الكلفة

د- تقليل الأخطاء

هـ- تحسين معنويات العاملين

و. اكتشاف قدرات جديدة

ز. التغيير في ثقافة المهنيين ومهاراتهم

ح. التركيز على مواطن العمل العملي ذات القيمة المضافة للإفادة.

ولذلك كانت بعض الدراسات تشير إلى «أنه قد ثبت أن وضع خطة سياسة الابتكار منسقة تنسيقاً جيداً، وبأهداف محددة بوضوح، مع وجود مؤسسات بذات المستوى وسيلة للنجاح، ويظهر تحليل المؤشر أن التطور المتزايد للأعمال أي ارتباطات الأعمال بالعلوم ومؤسساتها، والمنح الأجنبية وتوظيف العلماء هو غالباً التحدي الوحيد والأكبر أمام الاقتصاديات النامية، وعلى الرغم من تخصيص موارد هامة لجلب الشركات الأجنبية المتعددة الجنسيات والاستثمارات الأجنبية إلا أنه ينبغي على صناعات السياسات في البلدان النامية أن ينظروا في كيفية التقاط النتائج الإيجابية غير المباشرة وتعظيم فوائدها في الاقتصاد المحلي»^(١٠).

٤- الموارد البشرية: تأثرت الدراسات المعاصرة بالمفاهيم الاقتصادية حتى نظرت إلى الإنسان من هذه الزاوية على أنه مورد من الموارد، فأطلقت عليه (الموارد البشرية)، ولذلك يستخدم في مجال التكوين مرتباً بمهارات الأداء، لوصف قدرات الفرد على الإنتاج بصورة جيدة، واستعداده لاكتساب مهارات

١٠- دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية، ص ٢٦.

جديدة تضيف إلى أدائه تنمية مستمرة^(١١)، وقد اكتست أهمية حتى قيل: «المصادر التقليدية للنجاح مثل التكنولوجيا وحماية الأسواق ووفورات الحجم قد لاتزال توفر قوة تنافسية، ولكن الموارد البشرية المنظمة هي الأكثر حيوية لاستدامتها»^(١٢).

على أن هذه الموارد البشرية تتطلب التنمية المستمرة مما طرح جانب التكوين كعامل أساسي في المتغيرات الفاعلة في تطوير المجتمعات عن طريق تعزيز القدرات الكامنة في العنصر البشري ومساهمته من خلال توفير فرص التعلم المستديم والتدريب المستمر، وهذا ما يفسر إدراك المؤسسات لأهمية نجاح سياسة الموارد البشرية والممارسات في تنمية الأداء في مختلف المجالات مثل الجودة والإنتاجية والأداء المالي^(١٣).

٥- دور برامج التكوين في تأهيل الموارد البشرية لاستخدام التكنولوجيا الحديثة: مما تتفق عليه الدراسات المهمة بالتكوين أن لبرامج التكوين دورا فعالا في تأهيل الطاقات البشرية للقيام بالعمل على أسس سليمة من حيث الجودة والسرعة في الإنجاز، وهذا عام في برامج التكوين من حيث هو هدف عام، ولكن العصر الحديث طرح تقنية جديدة تستثمر في العمل بصفة عامة هي (استخدام التكنولوجيا المعاصرة) في الإنجاز لتحقيق الهدفين الأساسيين (جودة الإتقان وسرعة الإنجاز) وعلى هذا الأساس طرحت مسألة أهمية إعادة النظر في برامج التكوين التي تستهدف تأهيل التنمية البشرية للتسير مع متطلبات العصر التكنولوجي، والإلكتروني.

١١- أثر التكوين في تحسين أداء الموارد البشرية في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة دراسة حالة، زكلال مينة، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ١٩.

١٢- علاقة الممارسات الاستراتيجية لإدارة الموارد البشرية، ص ٣١.

١٣- المرجع نفسه، ص ٢٢.

٦- شروط نجاح دور التكوين في برامج التكنولوجيا: إن التكوين السريع لن يؤدي دوره بصورة صحيحة إلا وفق شروط، يأتي على رأسها:

أ- حسن اختيار الطلاب المناسبين للبرامج المتعلقة بالتكنولوجيا، لأن بعض الإجراءات التي تتطلبها العمليات في ميدان العمل تستوجب مستوى معيناً من المعرفة بأكثر من لغة من جهة والتحكم في عدد من المهارات كمهارة الرياضيات، واستخدام الحاسوب، من جهة أخرى.

ب- التركيز على المعرفة بالوسائل المناسبة للتكنولوجيا المراد التحكم فيها؛ لذلك كانت نتائج أحد الباحثين تشير إلى أن عينة من المكونين أجابت بنسبة ٦٠٪ بعدم الرضى عن التكوين بسبب تناولها مواضيع غير تكنولوجية^(١٤)، ويبدو من خلال الاستقراء الذي قامت به بعض الدراسات أن ٥٠٪ من العينة التي أجريت عليها الدراسة تفضل (البرامج التي تتناول المواضيع التكنولوجية) مفضلة إياها حتى على التكوين في الخارج، والاحتكاك بالجامعات^(١٥).

ج- تركيز التكوين على التطبيقات؛ إذ انتهت نتائج الاستبيان في العينة المشار إليها سابقاً إلى أن نسبة كبيرة ترى أن التطبيقات هي العامل الفعال في ترقية المهارات^(١٦).

٧- نظريات التكوين: نظريات التكوين كثيرة، ولكن سنكتفي هنا بعرض أهمها:
أ- نظرية التكامل ومكوناتها:

يرى بعض الدارسين أن التكوين ينجح أكثر كلما كانت برامجه معتمدة على فكرة التكامل، ويعني ذلك التكامل بين مجموع مكوناته ومنها^(١٧):

١٤- دور برامج التكوين في تأهيل الكوادر البشرية لاستخدام التكنولوجيا الحديثة (دراسة ميدانية بمكتبات جامعة قسنطينة)، أعمال الملتقى الدولي «المكتبات ومؤسسات المعلومات في ظل التكنولوجيا الحديثة : الأدوار، التحديات والرهانات»، بودوية الطاهر وحموي نور الهدى، مرجع إلكتروني، ص ١٤.

١٥- المرجع نفسه ص ١٥.

١٦- المرجع نفسه ص ١٧.

١٧- أثر التكوين في تحسين أداء الموارد البشرية في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ص ٦٨.

- ١- الأفراد المحددون للتكوين .
 - ٢- الخبرات والمعارف المحققة للتكوين .
 - ٣- المكونون والخبراء الذين يسهرون على عملية التكوين وإدارتها.
 - ٤- الفهم الصحيح للمشكلات التي تعاني منها المؤسسات المقصودة بنوع التكوين .
 - ٥- مراعاة الأنشطة المفيدة في العملية التكوينية ومنها: (تحليل وتوصيف الأنماط التنظيمية والإجراءات العملية، وسلوك الأفراد المكونين، والاحتياجات، وتصميم البرامج التكوينية ومتابعة أساليب تنفيذها)^(١٨).
- ب- نظرية كاي زن في التكوين ومرتكزاتها:

نظرا لأهمية الدور الذي ينهض به التكوين بأنماطه المتعددة، ابتُكرت نظريات منها: مفهوم (kaizen) ويعني التحسين المستمر أي: (Continual Improvement)، وقد ظهر للوجود سنة ١٩٨٤م على يد الخبير الياباني ماساكياما، ويستعمل المصطلح مرتبطا بكلمة أخرى هي (gemba) وتعني موقع العمل الفعلي^(١٩)، مما يبين أن التغيير لما هو أفضل هو المقصد الأساسي من البرنامج الذي وضع له مفهوم (كاي زن)؛ فهي عملية تحسين مستمر، تقوم على مرتكزات منها:

١- التأثير الواضح

٢- الأماكن الأهم استراتيجيا

٣- تحقيق النتائج السريعة

١٨- المرجع السابق، ص ٦٨.

١٩- وسيلة التغيير، حسن الدين فلمبان.

٤- المحافظة على الاستمرارية

٥- الاقتصاد في الجهد باستبعاد أي نشاط غير مفيد أولاً يعطي قيمة مضافة^(٢٠).

٨- استراتيجية التكوين: إن كان «سر تطور المجتمع هو تطوير الفرد، والمهم أن نبدأ من نقطة ما بطريقة مدروسة صحيحة»^(٢١)، فقد أضحي أن من أهداف استراتيجية تكوين الموارد البشرية تنفيذ التخطيط الذي ترسمه الجهات المعنية بالتكوين من أجل الحصول على قوة العمل الفاعلة، لما تزود به من تنمية معرفية حسب المعايير الصحيحة، في مقومات الشخصية والمهارات العملية وامتلاك القدرات المساعدة على التطور المتخصص^(٢٢) ذلك لأن «التنمية عملية إنتاج تراكمي وتكاملي مثل وصفة الطعام إذا كانت مكوناتها جيدة والمقادير صحيحة والإعداد جيد فإن المنتج النهائي سيكون جيداً»^(٢٣).

وتشمل استراتيجية التكوين السريع عناصر منها: تخطيط الموارد البشرية ذاتها، وتخطيط البحث لاستقطابها، والعمل على تطوير الآلات اللازمة لتنفيذها^(٢٤) وبحث الآثار الإيجابية المتوقع إسهامها في تحقيق الأهداف المرسومة في الخطة الاستراتيجية، من قبل الإدارة المسيرة والمخططة للتكوين، وقد تتعدى المؤسسة إلى تحقيق فائدة في المجتمع كله، حين ترفع مؤشرات التطوير لقدرات الموارد البشرية^(٢٥).

لذلك يتعين بحسب كتاب (رؤيتي): أن يكون «من واجب القائد سواء كان مديراً في شركة خاصة أو مؤسسة عامة أو مشروع، أن ينمي القدرات

٢٠- المرجع السابق.

٢١- رؤيتي، التحديات في سباق التميز، محمد بن راشد آل مكتوم، ص ٥٣، النسخة الإلكترونية.

٢٢- استراتيجية تكوين الموارد البشرية كمدخل فعال في زيادة القدرة التنافسية، للمنظمات الاقتصادية هادف حيزية، جامعة يحيى فارس، المدينة، (د. ت)، ص ٧.

٢٣- رؤيتي، التحديات في سباق التميز، محمد بن راشد آل مكتوم، ص ٤٧.

٢٤- استراتيجية تكوين الموارد البشرية ص ٧.

٢٥- دور التكوين في تنمية الموارد البشرية، ص ٣.

القيادية لدى من يعرف فيهم الكفاءة والإبداع والاستعداد ليتمكن هؤلاء في الوقت المناسب من تنمية القدرات القيادية لدى العاملين معهم»^(٢٦).

ومما يعزز استراتيجية التكوين التطور الذي حدث في مجالات التعليم بصفة عامة؛ إذ تجاوزت المؤسسات السؤال عن: لماذا نكون؟ إلى السؤال (كيف نكون)؟، وهذا لن يتحقق إلا بالاعتماد على التكوين القائم على الأساليب العلمية معرفياً ومنهجياً وهدفياً^(٢٧)، وذلك من أجل التحكم السليم في أساليب إدارة المؤسسات وتنفيذ الأعمال والمشاريع حتى تتكيف مع تحولات المجتمع لتواكب تحولات العصر التكنولوجي السريع، مما يستوجب الاعتماد على (التكوين السريع) وعلى حد تعبير الشيخ محمد بن راشد إذا كانت المؤسسة تفكر في ما توصل إليه غيرها فهي متأخرة، لأنه «مع إطلالة كل صباح في إفريقيا يستيقظ الغزال مدركاً أن عليه أن يسابق أسرع الأسود عدواً وإلا كان مصيره الهلاك، ويستيقظ الأسد مدركاً أن عليه أن يعدو أسرع من أبطأ غزال وإلا هلك من الجوع... سواء كنت أسداً أم غزالاً فمع إشرافة كل صباح يتعين عليك أن تعدو أسرع من غيرك حتى تحقق النجاح بإذن الله، لسنا في السباق لكي نعدو فقط، بل نريد الفوز»^(٢٨).

ولاشك أن هذا الفوز يتحقق وفق استراتيجية التكوين السريع للموارد البشرية بالتركيز على الممارسات المديرة للموارد البشرية والأهداف، والتكامل وإشراك الموارد في إدارة المسائل ذات الأهمية وتطوير الممارسات باستمرار واختيار مناهج موفقة^(٢٩).

٩- الحالات المناسبة للتكوين السريع: من هنا كان التكوين السريع يتطلب مراعاة الحالات أو المستويات المتعددة، التي تتوفر بعض مؤسسات التكوين

٢٦- رؤيتي، محمد بن راشد آل مكتوم، ص ٨٠.

٢٧- دور التكوين في تنمية الموارد البشرية ص ١.

٢٨- رؤيتي، التحديات في سباق التميز، محمد بن راشد آل مكتوم، موفيت للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ٣، مطبعة الإمارات، (د.ت)، ص ١٣.

٢٩- علاقة الممارسات الاستراتيجية، ص ١٩.

على مستويات قد تصل إلى المستوى الخامس، أي من رتبة عامل مهني متخصص إلى رتبة تقني سامي، ويكون التكوين بصفتين إما أن يكون تكويناً أولياً سريعاً جداً أو يكون تكويناً مستمراً، مما يشير إلى أنماط مختلفة من أساليب التكوين، ومن حالات التكوين المهني وأنماطه، ما يأتي^(٣٠):

أ- التكوين الموازي للعمل زمنياً: ويسمى أحياناً (التكوين المؤسسي) وهذا النوع من التكوين يخلق أحياناً عند الضعفاء مشكل الحسد الذي يؤدي إلى العرقلة مما يؤثر على التكوين السريع، وهذا ما أدركه أحد المساهمين في بناء دبي العصرية بقوله: «بعض القياديين والمدراء لا يريد ولا يحبذ وجود شخص ثان كفاء ومؤهل في دائرته، لأنه يخشى أن ينافس ويأخذ مكانه! نحن نخالف ذلك تماماً، عليه أن يفوض وإلا سينهمك في الجزئيات ولا يجد الوقت الكافي للقيام بالعمل الأساس وهو تطوير العمل والعاملين وابتكار الحلول». ^(٣١)، وقد أثبتت الدراسات القائمة على الاستبيانات أن ٧٠٪ من العينة تؤكد أهمية تلبية برامج التكوين لاحتياجات الموظفين لتحسين الأداء رغم قصر مدة التكوين^(٣٢).

ب- التكوين المستمر: ويقوم على دورات تهدف إلى التكوين السريع مثل دورات في الإعلام، دورات في الإشهار، أو في الجباية المالية، وتنظيم ندوات ودورات داخل المؤسسات حسب الحاجيات الأساسية للمؤسسة، وقد أشرنا سابقاً إلى مركز التكوين بجامعة الشارقة^(٣٣).

٣٠- التكوين والتعليم المهنيين، مهام وهياكل، مرجع إلكتروني.

٣١- رؤيتي، محمد بن راشد آل مكتوم، ص ٧٨.

٣٢- دور التكوين، ص ١٨.

٣٣- أعني مركز التعليم المستمر والتطوير المهني / جامعة الشارقة، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

وتشير بعض الدراسات المتعلقة بالتكوين المهني إلى أنواع من الأساليب منها (التربص المدمج في جميع أنماط التكوين والتربص المستمر في جميع أنماط التكوين، التربص للتكوين خلال ستة أشهر، والتكوين عن طريق التمهين ومستويات التأهيل، والتكوين عن طريق التمهين في المؤسسات العمومية والخاصة^(٣٤)).

ج- تكوين أصحاب الهمم: ولعل أطروحة الدكتوراه التي نوقشت بجامعة محمد خيضر ببسكرة، بعنوان (دور التكوين المهني في تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من وجهة نظر الإداريين والأساتذة) من الدراسات التي أولت الاهتمام لهذا المجال؛ حيث انتهت إلى نتائج جيدة، حيث يعالج الفصل الرابع منها مبادئ التكوين المهني وتأهيل أصحاب الهمم ودراسة مشاكلهم والبرامج المساعدة على ذلك، ولاحظت أن من أهم المبادئ المحققة للنجاح ضرورة خلق الدافع لدى المتدرب، ومتابعة تقدمه، وتدريبه على برنامج التدعيم وأهمية الممارسة العملية أثناء التكوين، والانتقال من الكليات إلى الجزئيات ومراعاة التفاوت بين الأفراد^(٣٥)، إضافة إلى البرامج العلاجية كالعلاج بالعمل، والأجهزة المساعدة والأجهزة التعويضية والعلاج النفسي، والبرامج الإنمائية، حيث أثبتت الدراسات أن فقدان الفرد لعضو يدفعه إلى القيام بتمارين لتنمية قدراته وتطويرها قصد تعويضه لتلك القدرات المفقودة^(٣٦).

د- تكوين الأشخاص الموجودين في حالة خطر معنوي: ويشمل العناية بتكوين المساجين.

٣٤- ينظر: www.wilaya-algr.

٣٥- دور التكوين المهني في تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من وجهة نظر الإداريين والأساتذة، نجا ساسي هادف، جامعة محمد خيضر، بسكرة ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ٢٣٩.

٣٦- المرجع نفسه، ص ٢٤١-٢٤٢.

هـ- تكوين النساء الماكثات في البيت «ربات البيوت»^(٣٧)، ويمكن الإشارة هنا إلى كلية الأم والعلوم الأسرية بعجمان التي تكثف برامجها في المجال الاجتماعي الخاص بأنشطة المرأة وتعنى بتطوير المختبرات العملية التي تساعد على تطوير المهارات ومنها مختبر التجميل، وتعمل على تأهيل الطالبات للعمل في مجالات عديدة كباحثات اجتماعيات أو مستشارات في مؤسسات الرعاية الاجتماعية كمؤسسات الأسرة والطفولة، ورعاية الأحداث وذوي الإعاقات المختلفة والمسنين^(٣٨).

ومن أبرز المؤسسات في دولة الإمارات التي أعدت لهدف التكوين السريع (مركز التعليم المستمر والتطوير المهني) بجامعة الشارقة؛ إذ يشير مدير المركز إلى أن هدف المركز هو تيسير التفاعل في كلا الاتجاهين بين أعضاء المجتمع العام، بتوفر الإمكانيات الضخمة عالية الجودة الموجودة في جامعة الشارقة، ونهدف من التكوين إلى توفير السبل إلى التطوير الوظيفي وفرص تحقيق الطموحات والآمال.^(٣٩)، وتتسع الخدمات التي يقدمها المركز إلى ما لانهاية لتشمل: (دبلومات مهنية متخصصة، وبرامج تأهيلية، وبرامج تدريبية عامة، وبرامج خاصة للحصول على شهادات متخصصة وأخرى تدريبية مصممة حسب الطلب وتمنح دبلومات مهنية متعددة في المحاسبة والمالية والموارد البشرية، ونظم المعلومات وإدارة المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ودبلومات مهنية في المصارف الإسلامية وإدارة الترويج السياحي وإدارة الوعظ والإرشاد الديني والترجمة والسلامة والصحة^(٤٠)).

٣٧- ينظر: www.wilaya-algr.

٣٨- صحيفة البيان ٢٦ ديسمبر ٢٠١٥م تصريح للدكتور خليفة راشد الشعالي مدير الكلية الجامعية للأمم والعلوم الأسرية في عجمان، مرجع إلكتروني.

٣٩- كلمة راضي محسن الزبيدي مدير مركز التعليم المستمر والتطوير المهني، جامعة الشارقة، مرجع إلكتروني.

٤٠- المرجع نفسه.

وتحتضن بدبي كلية الدراسات الإسلامية والعربية، برنامج إنجاز الذي يهدف إلى تطوير وتأهيل الطلبة للعمل بالدولة، مركزا على برنامج إنجاز المتضمن للمقررات التالية (اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والحاسوب، والرياضيات ومهارات العمل) وهو الذي سيكون موضع الدراسة من خلال تحليل نتائج الامتحانات متخذًا من حالات تقديرات الأساتذة والنتائج التي حصل عليها الطلاب عبر سنتين مؤشرا لبيان فاعلية التكوين المعرفية والعملية.

الفصل الثاني: فاعلية المعارف النظرية والعملية في تكوين طلبة برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل

إن من أهداف التكوين إنشاء فاعلية مزدوجة؛ معرفية من جهة، لتعمل على تطوير الفكر وتنمي روح الإبداع، وعملية تطبيقية من جهة ثانية لتنمية المهارات العملية؛ لأن الهدف من التكوين دائما هو تطوير أساليب العمل كنتيجة لتطوير أساليب التفكير.

المنهج والإجراء: لم يعتمد المنهج على الاستبيانات وإنما اعتمد على تصنيف المقررات الدراسية وتتبع نتائج الامتحانات لرصد المتغيرات المعرفية تبعا لعدد ساعات الدراسة وطبيعة المقررات، وأهدافها، ولذلك ستظل درجات التحصيل هي المؤشر الرئيسي للبرهنة على نسبة نجاح التكوين السريع، حسب تدرج الطلبة عبر مراحل التكوين التي تشكل متطلبات البرنامج.

العينة وحدود الدراسة: لقد انصبت الدراسة ميدانيا على برنامج التكوين للعينة، متمثلة في «برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بدبي»، خلال أربعة فصول دراسية. وتجري الدراسة على مجموع ٦٠ طالبة، من مستوى ما قبل التحصيل الثانوي. وقد اتخذت العلامات التي يحصل عليها الطلبة مؤشرا أساسيا لبحث مدى نجاح برنامج التكوين السريع

في المؤسسة، وقد حددت الدراسة تتبع دفعة واحدة على مدى نتائج الدراسة في أربعة مراحل، تغطيها مقررات بعضها نظري كاللغة العربية واللغة الإنجليزية، والرياضيات وبعضها عملي تخصصي بالحاسوب، ومهارات العمل.

وقد كان من الممكن أن تتوسع الدراسة لتشمل تقييم أداء المتخرجين في المرافق العملية، حتى تظهر الفعالية الحقيقية للتكوين في صورة أقوى، لكن ذلك يتطلب توسيعا في مجال الدراسة لا تتقبله البحوث العلمية المزمع نشرها في المجالات المحكمة. لذلك يتعين أن يُكتفى بتتبع تطور تقديرات الأساتذة بحسب تطور فصول الدراسة، لا سيما إذا كان الهدف هو العمل على تطوير برنامج الدراسة نفسه.

وقد كان من الممكن اعتماد عينة في الشارقة ممثلة في (مركز التعليم المستمر والتطوير المهني) بجامعة الشارقة^(٤١).

المعارف المعتمدة في تطوير التكوين في برنامج إنجاز في التأهيل لسوق العمل بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بدبي:

تتوزع المعارف المعتمدة في تكوين طلبة مشروع إنجاز على أربعة فصول دراسية، بتمامها وكمالها، تعد بمثابة مقررات علمية ثابتة تختلف في عدد الساعات وتكرر على مدار الفصول الأربعة وهي (اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والحاسوب، ومهارات العمل). وستركز الدراسة على نتائج الامتحانات وتقديراتها ودرجة تطورها.

يمكن إيضاحها وفق تقديرات نتائج الامتحانات في المقررات العلمية المعتمدة في طبيعة التكوين، وسيتركز التحليل على عدد التقديرات ونسبة تفاوتها وتشمل: (الامتياز / جيد جدا / جيد / مقبول / راسب) ابتداء من نتائج الفصل الدراسي

٤١ - سيأتي بيانه لاحقا.

الأول، وانتهاء بتقديرات نتائج الفصل الرابع والأخير، ولاشك أن الفرضيات الأساسية التي وضعت لذلك تشمل:

١- تدرج نسبة التقديرات في نتائج الامتحانات تصاعديا من الفصل الأول إلى الفصل الثاني إلى الثالث ثم الرابع .

٢- تدرج نسبة التقديرات في نتائج الامتحانات تنازليا من الفصل الأول إلى الفصل الرابع .

٣- تذبذب نسبة التقديرات في نتائج الامتحانات من فصل إلى آخر.

٤- تراجع نسبة التقديرات في نتائج الامتحانات في فصل محدد.

٥- تذبذب نسبة التقديرات في نتائج الامتحانات من مقرر إلى آخر.

وستكون نتائج التحليلات هي المؤشر الحقيقي لمدى تحقق التطور المعرفي والعملية في التكوين السريع ، ومدى تحقق فاعلية ذلك في حياة المؤهلين لسوق العمل، وسنرتب المعارف الخمسة المكررة حسب ترتيبها في نظام الدراسة، منتقلين من فاعلية المعارف النظرية كاللغات والرياضيات، إلى فاعلية المعارف العملية كالحاسوب ومهارات العمل.

أولاً: فاعلية تكوين المعارف النظرية: طالما أن المؤسسات المعاصرة تعيش بالضرورة في ظل الاقتصاد المعاصر بملامح جديدة، وأساليب تفكير جديدة وآليات جديدة، واقتصاد مبادرات، ومعارف، تعيش في ظل مناخ مفتوح، بحكم العولمة المختلفة، المتعددة الأبعاد، فإن الابتكار والإبداع يعدان عاملين أساسيين في تحديد ليس فقط موقع المؤسسة^(٤٢) بل ودورها أيضا في المسيرة الحضارية؛ فقد أضحى دور التكوين المعرفي السريع من خصائص العصر، بل

٤٢- دور التكوين في تامين وتنمية الموارد البشرية، (بحث)، إبراهيم عبد الله وحميذة المختار، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد السابع، فبراير، ٢٠٠٥، ص ٢.

ومن أهم أدواته الفاعلة في تنشيط الطاقة البشرية وتوجيهها، لكي يتحرك الإنسان في مجالات الحياة المختلفة بوعي كامل بما يصنعه؛ إذ معرفة الشيء هي الطريق الصحيح للتطبيق السليم.

ولاشك أن هذا التطوير المعرفي ينبغي أن يشمل المعارف المتعلقة بطبيعة التكوين، قبل وبعد كل شيء؛ ذلك لأن المؤسسة عليها أن تكون مختصة بما فيه الكفاية مع المهارات المطلوبة والمعرفة والقدرات المفترضة، ولاشك أن اختصاص الفرد يعد عاملاً من العوامل المهمة التي تقرر فعالية العمليات في توفير منتجات كافية وخدمات عالية الجودة في غضون فترة قصيرة^(٤٣).

وقد درجت برامج التكوين على أن تأخذ ببعض المعارف كمسلمات، منها قواعد اللغة الأساسية للتعامل كاللغة العربية بالنسبة للمجتمعات العربية؛ بحيث يمتلك الطالب الذي يتقدم إلى مؤسسات التكوين أساسيات اللغة لدرجة تمكنه من أداء مهامه في المجال الذي اختار التكوين فيه، فيصبح قادراً على إنجاز تقارير علمية أو وصف أنشطة عملية بصورة سليمة من الأخطاء اللغوية، حتى يتمكن القارئ من فهم التقرير فهماً واضحاً لا لبس فيه. بل إن ذلك لا يكفي؛ إذ لا بد من معرفة كافية باللغة الأجنبية المستخدمة في ذلك البلد، ويكاد تعلم أساسيات اللغة الإنجليزية يرقى إلى مستوى اللغة العربية نفسها، لأن الأدوات التكنولوجية المستخدمة حديثاً مسيرة باللغة الإنجليزية، مما يجعل إتقانها طريقاً لتيسير الفاعلية العملية كما سنرى من بعد.

وقد يأتي في الدرجة الموازية للغة علم الرياضيات، والمعارف الكافية لأنظمة الحاسوب، حيث يرى بعض الدارسين أن من أنسب المؤشرات على نجاح برنامج معين «أن يقاس معدل استخدام الخدمات الإلكترونية عن طريق حساب مدة

٤٣ - علاقة الممارسات الاستراتيجية، ص ٢٤.

الاتصال بالانترنت أو عدد مرات الاتصال أو الاتصال المتزامن بالإنترنت أو عدد مرات العثور على النتائج المرجوة»^(٤٤) وعلى سبيل المثال حين يعد الطالب لخدمة المكتبة يجد نفسه وجها لوجه أمام تحديات المكتبة الرقمية «إذ صار لمفهوم المكتبة الرقمية تأثير بالغ على تطور خدمات المكتبة على أرض الواقع عبر العقد الماضي،.. كما أن بنى هذا المفهوم الأساسية صارت هي الركيزة التي تعتمد عليها كل المكتبات في النظم التي تطبقها وهي ذات أهمية بالغة لأي تطورات مستقبلية»^(٤٥).

وسنحلل هنا المعارف المعتمدة في العينة التي اخترناها للدراسة لكي نقف على نوعها ومدى ملاءمتها للأهداف المرسومة؛ إذ لم يعد التساؤل عن مدى جودة المنتجات التي تحسب على الخريجين في مؤسسة ما متعلقا بمدى الكفاءة وفعالية الأعمال، ولا بالمرجات ونتائج عملها بل صار متعلقا بمدى استجابة طبيعة التكوين للبيئة التي أنجز من أجلها ذلك التكوين. ولذلك يعد التعرف على البيئة التي يوجه إليها المكونون من أهم الشروط التي تسهم في تصميم خطة التكوين ورسم أهدافها وضممان نجاحها.

وسنتناول المساقات، في جداول تبين نسبة الرضا عن المعارف النظرية والعملية المكتسبة من التكوين حسب التقديرات عددا ونسبة خلال تطورها مع الفصول الدراسية الأربعة مقترنة بعدد الساعات الأسبوعية لكل مقرر، معتبرين (التميز وجيد جدا) تقديرا مرتفعا، و(جيد ومقبول) تقديرا متوسطا مرتبة كما يلي:

٤٤ - المكتبة في القرن الحادي والعشرين، ص ١٤٨.

٤٥ - المرجع نفسه، ص ١٤٢.

أولاً: جدول يبين تقديرات في تحصيل اللغة العربية عبر أربعة فصول دراسية:

| ملاحظات حسب الفصول | منخفض راسب | المجموع | متوسط | | مرتفع | | الساعات المحددة | المقرر: اللغة العربية |
|--------------------|------------|---------|-------|-------|---------|--------|-----------------|-----------------------|
| | | | مقبول | جيد | جيد جدا | التميز | | |
| مرتفع | ٠٠ | ٦٠ | ٠٠ | ٨ | ٣٨ | ١٤ | ٣ | الفصل الأول |
| مرتفع | ٣ | ٥٧ | ٢ | ١١ | ١٨ | ٢٦ | ٣ | الفصل الثاني |
| متوسط | ٢ | ٥٨ | ١٧ | ٤١ | ٠٠ | ٠٠ | ٢ | الفصل الثالث |
| مرتفع | ٢ | ٥٨ | ١٤ | ١٢ | ٢١ | ١١ | ٢ | الفصل الرابع |
| | | ٢٣٣ | ٣٣ | ١٠٣ | ٧٧ | ٥١ | ١٠ | المجموع |
| | | | ١٦,١٤ | ٪٤٤,٢ | ٪٣٣,٠٤ | ٪٢١,٨ | | نسبة الرضى |

باعتبار الفرضيات التي وضعت آنفاً، يتبين أن الفرضية رقم (٤) التي تنص على أن تراجع نسبة التعديلات في نتائج امتحانات فصل محدد بصورة واضحة في مقرر اللغة العربية، وهو ما يُكتشف من خلال قراءة الجدول: عدد ساعات الدراسة في مساق اللغة العربية (١٠سا) يعد قليلاً بالنظر إلى عدد ساعات اللغة الإنجليزية (٣٠سا) والمساقات العملية (٣٠سا) فهو لم يحظ إلا بثلاث ساعات (٣سا) أسبوعياً، بينما تتجاوز في المقررات العملية واللغة الإنجليزية (٧سا) أسبوعياً، ومع ذلك تعد نتائج التقديرات في المساقات كلها متقاربة جداً؛ فقد كانت تقديرات اللغة العربية مرتفعة تماماً كما في المقررات التي تحظى بثماني ساعات أسبوعياً، إذ بين الجدول الخاص بتقديرات الفصول الأربعة لمساق اللغة العربية أن تقدير ممتاز بلغ (٨.٢١٪) وجيد جداً بلغ (٣٣.٠٤٪)، على أن المتسبب في الارتفاع هو الفصول الأول والثاني والرابع، أما الفصل الثالث فقد سجل نتيجة متوسطة بغياب (تقدير ممتاز، وجيد جداً) تماماً.

لذا اقتضى التحليل المنهجي طرح السؤال حول سبب نزول مستوى

التقديرات في الفصل الثالث حيث حقق (٠٠) في كل من تقديري التميز وجيد جدا. ويعلل المشرفون ذلك بكون برنامج الفصل الثالث قويا في مساق اللغة العربية، وحسب تفسيرهم: (مقرر مهارات اللغة العربية تتحول الطالبات فيه من مهارة الاستماع واكتشاف الأخطاء اللغوية إلى مهارة كتابة الرسائل الرسمية ومحاضر الاجتماعات إضافة إلى السيرة الذاتية باللغة العربية)^(٤٦). وسنلاحظ أن هذا التعليل سيأتي ما يشبهه في بقية المقررات؛ لأنها جميعا تخضع في الفصل الثالث للنتيجة نفسها (٠٠) في (التميز وجيد جدا).

وعند العودة إلى مفردات المساق تبين أن الفصل الثالث يحتوي على بعض ما ذكر من أعمال إنشائية تتطلب مهارات قوية في الأداء، كالتدريب على كتابة الرسائل أو السيرة الذاتية، أو المذكرة، ولكن بقية المفردات تتعلق بالإملاء، ككتابة الهمزة، وعلامات الترقيم. وهي أمور تشبه ما درس في الفصول الأخرى، بل بعضها مكرر كتكرار كتابة الهمزة في الفصل الثاني، وكتابة الفقرات المتناسكة، والأخطاء الشائعة. وعلامات الترقيم.

لذلك يرجح البحث أن تكون أسباب تراجع التقديرات في الفصل الثالث، إلى:

- ١- الملل الناجم عن عدم وجود الجديد في المساقات، بسبب تكرار مفرداتها.
- ٢- تهاون الطالب في العمل بسبب حصوله على تقديرات مرتفعة في الفصل الأول والثاني.

ولعل التعليل الصحيح هو ما نجده عند ابن خلدون حيث يقول: «وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط. ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل

٤٦- إجابة المشرفين المباشرين على مشروع إنجاز عن السؤال.

لأنّ ذلك مخرج لها عن المقصود إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير. فكلمًا خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها. وربما يكون ذلك عائقًا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أنّ شأنها أهمّ والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصّورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعًا للعمر وشغلا بما لا يغني»^(٤٧).

ومع كل ذلك فإنّ البحث يسجل هنا محمداً للأساتذة في موضوعية التقديرات، وأحسب أن مراجعة سلم التقديرات وطرق منحها ضروري في الفصول الأولى لتفادي مثل هذه التناقضات التي يرفضها البحث العلمي والمنهج الأكاديمي.

نعم التشجيع شيء جيد، ولكن ليس لدرجة بعث الطالب على الاستهانة بالمعرفة حتى يصل لدرجة تناقض تماما ما كان يتصوره.

ثانيا: تقديرات في تحصيل اللغة الإنجليزية:

| المقررات: اللغة الإنجليزية | الساعات المحددة | مرتفع | | متوسط | | منخفض راسب | نسبة الرضى الفصلي |
|-------------------------------|--------------------|--------|---------|-------|-------|---------------|----------------------|
| | | التميز | جيد جدا | جيد | مقبول | | |
| الفصل الأول | ٨ | ٢٣ | ٢٧ | ٧ | ٣ | ٠ | مرتفع |
| الفصل الثاني | ٨ | ١٤ | ١٩ | ١٣ | ٩ | ٥ | مرتفع |
| الفصل الثالث | ٧ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٩ | ١٧ | ٤ | متوسط |
| الفصل الرابع | ٧ | ٢٠ | ١٦ | ١٥ | ٣ | ٥ | مرتفع |
| المجموع | ٣٠ | ٥٧ | ٦٢ | ٧٤ | ٣٢ | ١٤ | |
| نسبة الرضى العام | | %٢٥ | ٥٥.٢٧ | ٨.٣٢ | ٢٢.١٤ | | مرتفع |

٤٧- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق خليل شحاده وسهيل زكار، دار الفكر، ١٤٢١-٢٠٠١، ١/ ٧٣٩.

بالعودة إلى الفرضيات المذكورة سابقا، يتعين أن الفرضية المحققة هي الفرضية نفسها في المقرر السابق؛ إذ أنه في اللغة الإنجليزية نجد نتائج الفصول الأربعة كما يلي (٢٥٪ امتياز) و(٢٧.٥٥ جيد جدا) على أن ذلك بفضل الفصول الأول والثاني والرابع أما الثالث فتتعدم فيه تقديرات (التميز وجيد جدا).

ولعل الأمر يزداد إشكالا حين تكون عدد الساعات الأسبوعية هي (٧) ساعات أسبوعيا، مما يبين أن الحجم الساعي لم يغير المسار، وقد يعلل المشرفون ذلك بقولهم: (في الفصل الثالث بالنسبة للغة الإنجليزية: يزيد الاعتماد على مهارة التحدث من أجل تدريب الطالبات على مقابلات العمل، كما يتم تدريبهن على مصطلحات أكثر تخصصية مرتبطة بالعمل إضافة إلى مشروع الفصل العملي)^(٤٨).

والحق أن مساق الإنجليزية في الفصل الثالث يبدو أقوى من مفردات الفصل الثاني؛ إذ يعرض مثل (الأزمة، ومهارة التواصل، والمقارنة والتفاضل والتعبير عن الرأي، وتحضير مشروع الثقافات المتعددة، وكتاب محضر الجلسات.)، بينما يركز الفصل الثاني على (الوصف فيما يتعلق بالطبيعة والعلاقات الاجتماعية، وأدوات التعريف والتنكير وأسماء الموصولة).

ولذلك يظل السؤال مطروحا لأن عدد ساعات المساق مرتعة، تتناقض مع تراجع التقديرات المرتفعة لدرجة (٠٠) في التميز وجيد جدا.

ومن هنا تكون تفسيرات المشرفين غير مقنعة، ولعل السبب الصحيح هو ما ذكر من تعليل في مساق اللغة العربية، أعني (التهاون بسبب الغرور) الناجم عن منح تقديرات مرتفعة بسخاء في الفصل الأول والثاني.

ثالثا: تقديرات في تحصيل (الرياضيات):

| المقررات: الرياضيات | الساعات المحددة | مرتفع | | متوسط | | المجموع | منخفض راسب | نسبة الرضى الفصلي |
|------------------------|--------------------|--------|---------|-------|--------|---------|---------------|----------------------|
| | | التميز | جيد جدا | جيد | مقبول | | | |
| الفصل الأول | ٢ | ٣٢ | ١٦ | ٤ | ٢ | ٥٤ | ٠ | مرتفع |
| الفصل الثاني | ٢ | ١٦ | ١٧ | ١١ | ٩ | ٥٣ | ٧ | مرتفع |
| الفصل الثالث | ٢ | ٠٠ | ٠٠ | ٢٠ | ٢٠ | ٤٠ | ١٨ | متوسط |
| الفصل الرابع | ٢ | ٣١ | ١٤ | ٧ | ٦ | ٥٨ | ٢ | مرتفع |
| حاصل الفصول الأربعة | ٨ | ٧٩ | ٤٧ | ٤٢ | ٣٧ | ٢٠٥ | ٢٧ | |
| نسبة الرضى العام | | ٪٣٨,٥ | ٪٢٢,٩ | ٪٢٠,٤ | ٪١٨,٠٤ | | | مرتفع |

وسنلاحظ من جديد ان النتائج تنطبق على الفرضية رقم (٤) السابقة.

يتضح من خلال الجدول المعبر عن الأهداف المعرفية لمساق الرياضيات، التي رسمها البرنامج التكويني لطلاب (مشروع إنجاز) أن التقدير الفصلي يعبر بملاحظة (مرتفع) في الفصول الأول والثاني والرابع، امتياز: (٣٨.٥ ٪)، وجيد جدا (٩.٢٢).

أما الفصل الثالث فقد عبر عنه بملاحظة (متوسط) في جميع الفصول، وغياب تقدير (ممتاز، وجيد جدا) نهائيا (٠٠) وهذا يسترعي الانتباه بشدة، لنسجل ما يلي:

١- إن الأساتذة عبروا من خلال العلامات المحصلة لدى الطلاب عن رضاهم في اكتساب طلابهم المقررات النظرية المتصلة بالرياضيات بنسب مضطربة حيث ارتفعت في الفصل الأول بينما انخفضت في الفصلين الثاني والثالث وهذا يعني وجود ظاهرة تتطلب التفسير، لذا طرح السؤال على المشرفين على تنفيذ البرنامج: فكانت التفسيرات الآتية بالنسبة للرياضيات:

٢- تنخفض درجات طالبات برنامج الإنجاز في الفصل الثالث؛ إذ أن (في) مهارات الرياضيات: يبدأ في الفصل الثالث استخدام المعادلات المتعلقة بالعمل التجاري والمصرفي كطريقة احتساب الفوائد إضافة إلى احتساب ساعات العمل الإضافي يدويا وغيره).

ثانيا: فاعلية تكوين المعارف العملية: وتشمل هنا (الحاسوب، ومهارات العمل) إذ يتطلب العصر الحديث ليس مجرد المعارف النظرية في الحاسوب والعمل، وإنما لابد من إتقان مهارات الأداء؛ ذلك لأن المؤسسات المعاصرة تعيش بالضرورة في ظل التكنولوجيا المعاصرة وما تستتبعه من ضرورات يقوم عليها الاقتصاد المعاصر بملامح جديدة، تحكمها العولمة بصورها المتعددة الأبعاد بما في ذلك القدرة على الابتكار والإبداع بوصفهما عاملين من عوامل تطوير المجتمع ليأخذ موقعه في الطور الحضاري.

وسنركز هنا على نتائج مقرري الحاسوب ومهارة العمل، لنتبع التقديرات وتطورها عبر الفصول الأربعة، ولاشك أن المعطيات هنا ستكون مختلفة عن المقررات النظرية السابقة، أعني اللغات والرياضيات، إذ يدخل الطالب مؤسسة التكوين، وهو مزود بمعارف منها كافية، قد تلقاها في المراحل الدراسية السابقة، بخلاف مقرري الحاسوب ومهارات العمل اللذين يعدان جديدين على الطالب مما يدفع على توقعات متعددة منها:

١- يمكن أن يكون إقبال الطالب عليها شديدا بحكم الرغبة في الاطلاع على الجديد.

٢- يمكن أن يكون عدد الساعات المقررة في كل منهما كبيرا بالنسبة إلى المقررات النظرية عاملا مساعدا على التحكم فيهما بسرعة؛ إذ يدرس الطالب مجموع (٨سا) أسبوعيا في كل مقرر منهما على مدى الفصول الدراسية.

٣- يمكن أن يكون لطبيعة المقررات لاسيما (برامج الحاسوب) ما يعزز الرغبة فيهما.

وبناء على دراسة نتائج الامتحانات في المقررين سنشرع في تحليل التقديرات معتمدين على شيء بسيط من الإحصاء، لمعرفة نسبة تطور مجموع الطلبة من خلال التقديرات التي تتدرج تنازليا من (ممتاز / جيد جدا / جيد / مقبول / راسب). جدول يبين نسبة الرضا عن المعارف العملية (الحاسوب) المكتسبة من التكوين خلال الفصول الأربعة:

رابعا: مقرر الحاسوب:

| المقررات: الحاسوب | الساعات المحددة | مرتفع | | متوسط | | المجموع | منخفض راسب | نسبة الرضى الفصلي |
|----------------------|--------------------|--------|---------|-------|-------|---------|---------------|----------------------|
| | | التميز | جيد جدا | جيد | مقبول | | | |
| الفصل الأول | ٦ | ٢٢ | ٢٢ | ١٠ | ٥ | ٥٩ | ٣ | مرتفع |
| الفصل الثاني | ٦ | ٣٠ | ٢١ | ٦ | ١ | ٥٨ | ٣ | مرتفع |
| الفصل الثالث | ٧ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٧ | ١٩ | ٥٦ | ٤ | متوسط |
| الفصل الرابع | ٧ | ٢٥ | ١١ | ٨ | ٩ | ٥٣ | ٧ | مرتفع |
| المجموع | ٢٦ | ٧٧ | ٥٤ | ٦١ | ٣٤ | ٢٢٦ | | |
| نسبة الرضى العام | | %٣٤ | %٢٣,٨ | %٩,٢٦ | %١٥ | | | مرتفع |

ولا شك أن مقرر الحاسوب يؤكد الفرضية الرابعة؛ إذ لاشك أن ما يلفت الانتباه هنا بصورة واضحة يتشابه مع ما يلفت الانتباه في المقررات النظرية، وهو ارتفاع تقديرات النجاح في الفصلين ليرتفع ليمتاز وجيد جدا في الصدارة، الأول (٢٢، ٢٢) والثاني (٣٠، ٢١) وتراجعهما في الفصل الثالث بنسبة كبيرة جدا بحيث يختفي تقديرا (ممتاز (٠٠) وجيد جدا (٠٠) نهائيا ليرتفع تقدير جيد ومقبول (٣٧، ١٩).، ولكن يلاحظ أن الارتفاع سيعود إلى الامتياز في الفصل

الرابع (٢٥) وجيد جدا (١١) وهذا كله يطرح تساؤلات كما طرحت هناك في النظري.

وقد قدم المشرفون على البرنامج التفسيرات التالية:

(مهارات الحاسوب: يتم تدريب الطالبات فيه على مايكروسوفت إكسل، خاصة ما يتعلق منه بإعداد جداول الرواتب واحتساب ساعات العمل الإضافي.... إضافة الى التسويق الإلكتروني على مواقع التواصل الاجتماعي).

ولاشك أن مفردات مساق الحاسوب في الفصل الثالث قوية كما يبين دليل المشروع، ومنها (مواضيع متقدمة في برمجة إكسل، وتحليل الأنظمة وأنواع العلاقات بين الجداول، وتصميم النماذج، وبناء المنظومة، ولكن بالمقارنة مع يدرس في الفصل الثاني؛ إذ تشمل الرسوم البيانية والمعادلات والدالات وتطبيقاتها وبعض المهارات كتنسيق الفقرات والخطوط وإدماج الرسائل، وهي كلها مهمة، يتبين أن التفسير الذي تقدمه الجهات المعنية بتنفيذ البرامج غير مقنع، وسيبقى السؤال مطروحا، مع المقرر التالي.

رابعا (مهارات العمل):

| المقررات: مهارات العمل | الساعات المحددة | مرتفع | | متوسط | | المجموع | منخفض راسب | نسبة الرضى الفصلي |
|---------------------------|--------------------|--------|---------|-------|-------|---------|---------------|----------------------|
| | | التميز | جيد جدا | جيد | مقبول | | | |
| الفصل الأول | ٦ | ٢٦ | ٢٣ | ٨ | ٢ | ٥٩ | ٠ | مرتفع |
| الفصل الثاني | ٦ | ١١ | ٢٤ | ١٩ | ٥ | ٥٩ | ٠ | مرتفع |
| الفصل الثالث | ٧ | ٠٠ | ٠٠ | ١٩ | ٣١ | ٥٠ | ١٠ | متوسط |
| الفصل الرابع | ٧ | ٢٥ | ١١ | ٨ | ٩ | ٥٣ | ٧ | مرتفع |
| المجموع | ٢٦ | ٦٢ | ٥٨ | ٥٤ | ٤٧ | ٢٢١ | | |
| نسبة الرضا العام | | ٢٨,٥% | ٢٦,٢% | ٢٤,٣% | ٢١,٢% | | | مرتفع |

ويبقى الأمر نفسه في مقرر مهارات العمل؛ إذ تتأكد الفرضية نفسها. ولا شك أن ما يلفت الانتباه هنا بصورة واضحة يتشابه مع ما يلفت الانتباه في المقررات النظرية، ومقرر الحاسوب، وهو ارتفاع تقديرات النجاح في الفصلين ليرز ممتاز وجيد جدا في الصدارة، الأول (٢٦، ٢٣) والثاني (١١، ٢٤) وتراجعهما في الفصل الثالث بنسبة كبيرة جدا بحيث يختفي تقديرا (امتياز) (٠٠) وجيد جدا (٠٠) نهائيا ليرتفع تقدير جيد ومقبول (١٩، ٣١).، ولكن يلاحظ أن الارتفاع سيعود إلى الامتياز (٢٥) وجيد جدا (١١) وهذا كله يطرح تساؤلات كما طرحت هناك في النظري.

وفي الإجابة عن التساؤل يفسر المشرفون البرنامج بكون درجات طلبة برنامج الإنجاز تنخفض في الفصل الثالث بالنسبة لمقرر مهارات العمل رغم أن ساعات العمل (٨) كما هي في الفصلين الأول والثاني، وذلك لأن (مساق مهارات العمل يتحول إلى مساق المهارات التخصصية الذي يتضمن مباحث أكثر صعوبة كأساسيات العمل المصرفي، الإدارة المالية الشخصية، عقود العمل حسب قانون العمل والعمال الإماراتي).

التفسير الشامل بالمقارنة بين التقديرات المرتفعة والمتوسطة حسب المقررات:

إذا عرضنا التقديرات مجتمعة باعتبار المساقات عبر الفصول نحصل على نتائج يبينها الجدول التالي:

تقدير حاصل جمع الفصول الأربعة باعتبار كل مساق.

| المقررات | الساعات المحددة | مرتفع | | متوسط | | المجموع | منخفض راسب | نسبة الرضى في كل مساق المساق |
|------------------|-----------------|-----------|-----------|-----------|-----------|---------|------------|------------------------------|
| | | التميز | جيد جدا | جيد | مقبول | | | |
| اللغة العربية | ١٠ | ٨.٢١٪ | ٠.٣٣٪ | ٩.٣٠٪ | ١٦.١٤ | | | مرتفع |
| اللغة الإنجليزية | ٣٠ | ٢٥٪ | ٥٥.٢٧ | ٨.٣٢ | ٢٢.١٤ | | | مرتفع |
| الرياضيات | ١٠ | ٥.٣٨٪ | ٩.٢٢٪ | ٤.٢٠٪ | ٠.٤١٨ | | | متوسط |
| الحاسوب | ٣٠ | ٣٤٪ | ٨.٢٣٪ | ٩.٢٦٪ | ١٥٪ | | | مرتفع |
| مهارات العمل | ٣٠ | ٢٨,٥٪ | ٢٦,٢٪ | ٢٤,٣٤٪ | ٢١,٢٪ | | | مرتفع |
| نسبة الرضى العام | | بين ٣٨.٢١ | بين ٣٣-٢٢ | بين ٣٢-٢٠ | بين ٢١-١٤ | | | مرتفع |

قراءة الجدول: إن كانت نتائج المقررات مجموعة عبر الفصول تعطي تقديرات مرتفعة (ممتاز تتراوح بين (٢١٪ إلى ٣٨٪) و (جيد جدا تتراوح بين ٢٢ إلى ٣٣٪) بينما يتراوح تقدير جيد بين (٢٠ إلى ٣٠٪) ومقبول يتراوح بين (١٤ إلى ٢١٪)، فإن ذلك يعد دليلا على نجاح برنامج إنجاز بدون شك، كما بينت الإحصائيات المثبتة أعلاه، بل إن نسبة التقدير المرتفع يفوق التقدير المتوسط.

لكن إذا قمنا بعزل نتائج الفصل الثالث في المساقات كلها وهي مساقات مكررة عبر الفصول الثلاثة تتبين لنا التقديرات التالية:

تقدير حاصل جمع الفصل الثالث باعتبار كل مساق:

| المقررات الحاسوب | الساعات المحددة | مرتفع | | متوسط | | المجموع | منخفض راسب | نسبة الرضى في كل مساق |
|---------------------|--------------------|--------|---------|-------|-------|---------|---------------|--------------------------|
| | | التميز | جيد جدا | جيد | مقبول | | | |
| اللغة العربية | ١٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٤١ | ١٧ | | | متوسط |
| اللغة الإنجليزية | ٣٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٩ | ١٧ | | | متوسط |
| الرياضيات | ١٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٢٠ | ٢٠ | | | متوسط |
| الحاسوب | ٣٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٧ | ١٩ | | | متوسط |
| مهارات العمل | ٣٠ | ٠٠ | ٠٠ | ١٩ | ٣١ | | | |
| المجموع | | ٠٠ | ٠٠ | ١٥٦ | ١٠٤ | ٢٦٠ | | |
| نسبة الرضى العام | | %٠ | %٠ | %٦٠ | %٤٠ | | | متوسط |

قراءة الجدول: من الواضح أن ظاهرة اختفاء (الدرجة المرتفعة) في الفصل الثالث تمس جميع المقررات إذ تحقق صفر (٠٠) على مستوى تقديري ممتاز وجيد جدا، وتحققت نسبة ٦٠٪ بتقدير (جيد)، و ٤٠٪ بتقدير (مقبول). على الرغم من أن عدد الساعات في بعض المساقات ارتفع بساعة في كل من مقرري الحاسوب ومهارات العمل، فصار (٧سا أسبوعيا) بعد أن كان (٦سا)، وهذا يعني أن نتائج الفصل الثالث لايفسرها إلا عامل مشترك بين جميع المقررات وهو (المبالغة في التشجيع) في السنة الأولى بفصلها (الأول والثاني) مما دفع الطالب إلى الملل والتكاسل، ويؤكد ذلك أن الطلبة عادوا إلى نتائج مرتفعة ومرضية في الفصل الرابع عندما أحسوا بخطر الرسوب كما بينا سابقا.

إن المشرفين على البرنامج يرون (بصفة عامة أن الفصل الثالث هو نتاج للدراسة التمهيدية للسنة السابقة، ومطلوب من الطلبة عمل وإنجاز وليس كما كان في السابق استماع وفهم، فهو بالتقريب أصعب فصل.

ويعلل المشرفون كذلك عودة التميز إلى الفصل الرابع بكون الدراسة فيه تتركز في منتصفه ويحتفظ بالنصف للتدريب الميداني، مما يجعل المادة العلمية أقل كثافة وحجماً، وأيسر بسبب التدريبات^(٤٩).

وتعد المعارف المكتسبة من مخرجات برامج التكوين والمعبرة عن التحصيل وترقية الكفاءة ناجحة؛ إذ تجاوزت في الحاليين ٦٠٪، سواء تعلقت بترقية الجانب النظري للتخصص - المعارف النظرية المتعلقة بالقدرات العلمية العامة - أو تعديل الجانب السلوكي، أو البحث العلمي على أن الجانب السلوكي يبدو أكثر تغيراً مقارنة بالجانب النظري الذي بلغ ٨٨٪.

لكن ينبغي ألا تغر الدارس الباحث هذه النتائج؛ إذ أننا حين نصنف النتائج باعتبار الرضى القوي اعتماداً على (الامتياز وجيد جداً) والرضى المتوسط القائم على (درجة جيد) وخيبة الأمل القائم على مؤشر (درجة الرسوب)، سنحصل على النتائج التالية بصفة المؤشر في المتوسط العام بنسبة (٧٥.٨٨) موزعة كما يلي:

الرضى القوي والمتوسط:

| مستوى الرضى | ممتاز | جيد جداً | درجة المؤشر |
|--------------------------|-----------------------|-----------------------|-------------|
| القوي: (ممتاز+ جيد جداً) | تتراوح بين ٢١ - ٣٨,٥٪ | تتراوح بين ٢٢,٩ - ٣٣٪ | مرتفع |
| المتوسط (جيد أو مقبول) | جيد | مقبول | متوسط |
| المتوسط (درجة جيد) | ٢٠.٤ - ٣٢٪ | ١٤ - ٢١٪ | متوسط |

نستنتج من ذلك أن نسبة الرضى القوي التي هي حاصل جمع نتائج الممتازين مع نتائج الحاصلين على جيد جداً تتجاوز (٦٥٪) بينما يقع في خانة الرضى المتوسط الذي هو حاصل نتيجة (جيد ومقبول) نسبة (٣٠٪)، ويحسب

٤٩ - من إجابة المشرفين عن السؤال حول تفاوت التقديرات وتراجعها في الفصل الثالث.

الراسبون في مستوى الضعيف الذي يمكن أن يستدرك عن طريق دورات الإعادة أو إعادة التكوين بنسبة تقرب من (٥٠٪).

تفسير النتائج:

عند النظر في الفروق القائمة بين نسبة (الرضى المرتفع) ونسبة (الرضى المتوسط) نجد أن انخفاض الرضى المتوسط كبير في الفصل الثالث حيث بلغ (٥٠)، وارتفاع الرضى المرتفع في بقية الفصول، وهنا نتساءل ما الأسباب التي أدت إلى ذلك؟

ولعلنا يمكن أن نرجعها إلى:

- ١- كون معظم الطلبة كانوا منقطعين عن الدراسة بعد الحصول على الثانوية العامة لمدة تصل إلى أكثر من خمس سنوات.
- ٢- المستوى الأساسي الذي تم تحصيله قبل الشروع في البرنامج من الطلبة، إذ يعد كثير منهم ممن لم يكن قد حصل على تعليم جيد في الثانوية بسبب اجتماعي، أو توجيحي، إذ أن المعرفة الأكاديمية ضرورية لتحقيق الكفاءة^(٥٠).
- ٣- كما إن التكوين السريع ينبغي أن يضع بعين الاعتبار أهمية الخطوات العملية لاستقطاب ذوي الكفاءات وذلك بمراجعة صياغة الخطة الاستراتيجية التي توضح العدد المطلوب والنوعية المطلوبة ومراجعة تحليل نتائج المخرجات وأثرها في ميدان العمل، وينبغي عدم الاكتفاء بمصادر الاستقطاب الداخلية كالترقية، والإعلان الداخلي، ومصادر الاستقطاب الخارجي كالصحف والمجلات والانترنت^(٥١)، وإنما يعتمد إلى جانب ذلك على المقابلات الاختبارية التي تهدف إلى التوجيه الصحيح قياساً على القدرات، للتأكد

٥٠- المرجع السابق.

٥١- علاقة الممارسات الاستراتيجية، ص ٣٠.

من نقاط القوة والضعف، لا على التهميش الذي تجاوزه الدهر لافتقاره إلى خصوصيات الإنسانية وحقوق الوطنية.

- ٤- قلة الاحتكاك بزملائهم الذين يحضون بإمكانات علمية أعلى.
- ٥- كثرة الغيابات عند بعضهم لقلة إدراكهم لعلاقة التكوين بمستقبلهم؛ مما يعني أهمية التوجيه والتحفيز والتوعية المستمرة، بعيدا عن الإقصاء والطرده.
- ٦- قلة الاهتمام بالدروس وسوء التحكم في وسائل البحث عن المعلومة وتقنياتها.
- ٧- احتمال وجود الطالب في ظروف معيشة غير جيدة مما قلل من تحقيق الجهد المساعد على الكفاءة العالية وتحسين الأداء مما يستوجب تجديد ربط العلاقات بين الطلبة والموجهين التربويين.
- ٨- عدم استعمال المكتبة والمكتبة الإلكترونية.

لكن هذه النسب المتعلقة بالمتوسط والضعيف يمكن أن تؤدي دورها من بعد بنسبة أكثر تطورا عن طريق الممارسة والدورات المستمرة للتكوين أثناء الممارسة العملية التي أشرنا إليها في فقرتي (التكوين المستمر والتكوين الموازي للعمل)، ويمكن أن يعطي التكوين المستمر نتائجه حين يؤكد بالمعززات، كالتشجيعات المادية، وربطه بالترقيات، وما إلى ذلك؛ إذ أن العجز في التكوين الأكاديمي يمكن تعويضه بدورات التكوين السريع^(٥٢).

٥٢- دور التكوين في تنمية الموارد البشرية، ص ٨٥.

خاتمة البحث:

لعل أهم النتائج التي توصل إليها البحث على المستوى النظري يشمل:

- ١- أثر التكوين المعرفي في المتكولين على مستوى التخصص يتزايد نسبيا تبعا لعدة متغيرات كالمستوى المعرفي الذي قبل به الطالب، ومدى جديته، وسلاسة العمل في علاقاته، وقدراته في استخدام المكتبة الإلكترونية.
- ٢- ترتفع نسبة الحاصلين على (درجة جيد) مقارنة بالحاصلين على (درجة ممتاز أو جيد جدا) معا، والسبب هو ارتفاع نسبة الطلبة الذين لم يكن مستواهم المعرفي كافيا عند القبول، مما يؤكد أهمية اختيار الطلبة منذ البداية.
- ٣- لوحظ على المستوى التطبيقي في الفصل الدراسي الأخير، الأثر الواضح في العلاقة بين المعرفة والأداء العملي، لاسيما في سرعة الإنجاز وسلامته. كما سُجل تراجع تقديرات (ممتاز، وجيد جدا) في الفصل الثالث مما يتطلب تفسيراً علمياً.
- ٤- لذلك يرجح البحث أن تعود أسباب تراجع التقديرات في الفصل الثالث إلى:
 - أ- الملل الناجم عن عدم وجود الجديد في المساقات، بسبب تكرار مفرداتها.
 - ب- تهاون الطالب في العمل بسبب حصوله على تقديرات مرتفعة في الفصل الأول والثاني.

ومع كل ذلك فإن البحث يسجل هنا محمداً للأساتذة في موضوعية التقديرات؛ إذ لم يجاملوا الطلبة في الفصل الثالث حين تراجع همهم وتنكست أعلامها عندهم فأعطوهم الدرجات المستحقة، التي أيقظتهم من جديد ليحصلوا

على نتائج معتبرة في الفصل الرابع . وأحسب أن مراجعة سلم التقديرات وطرق منحها ضروري في الفصول الأولى لتفادي مثل هذه التناقضات التي يرفضها البحث العلمي والمنهج الأكاديمي .

نعم التشجيع شيء جيد، ولكن ليس لدرجة بعث الطالب على الاستهانة بالمعرفة حتى يصل إلى درجة التناقض تماما مع ما كان يتصوره .

٥- يوصي البحث كذلك بعدم تهميش الحاصلين على درجات ضعيفة (جيد ومقبول) بل بضرورة تكثيف الدورات العملية أثناء توظيفهم مع تعزيز ذلك بوسائل التشجيع بوصفهم عناصر فاعلة في المجتمع ، كما يوصي بأهمية إعادة توجيه (الراسبين) لتكوين آخر يتناسب مع ميولهم وقدراتهم، كما يوصي باعتماد التحفيز؛ إذ لا يقتصر على النواحي المادية فقط بل يتجاوزها إلى الجوانب المعنوية، وهنا ننبه إلى أن التحفيز الناجح ينبغي أن يتجاوز الفرد إلى المجموعات ليحسب العامل بالطمأنينة ويبادر إلى الالتزام ويعمق الشعور بالانتماء . ويعمل على تحسين العلاقات في بيئة العمل لأثرها العميق في الأداء العملي .

قائمة المصادر والمراجع

- أثر التكوين في تحسين أداء الموارد البشرية في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة دراسة حالة، زكلال يمينة، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٣-٢٠١٤م.
- استراتيجية تكوين الموارد البشرية كمدخل فعال في زيادة القدرة التنافسية، للمنظمات الاقتصادية هادف حيزية، جامعة يحيى فارس، المدية، (د.ت).
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق خليل شحاده وسهيل زكار، دار الفكر، ١٤٢١ - ٢٠٠١.
- دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية، دراسة حالة دولة الإمارات، نيفين حسين محمد، إدارة التخطيط ودعم القرار، أغسطس ٢٠١٦م.
- دور التكوين المهني في تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من وجهة نظر الإداريين والأساتذة، نجة ساسي هادف، جامعة محمد خيضر، بسكرة ٢٠١٣ - ٢٠١٤م.
- دور برامج تدريب الموارد البشرية في تحسين نوعية الخدمة بالمؤسسة، نابتي سامي، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م.
- دور التكوين في تنمية الموارد البشرية، مديرية الشباب والرياضة لولاية ورقلة، نويبات قدور، شعبة علم النفس، كلية العلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١١ - ٢٠١٢م.
- دور التكوين في تثمين وتنمية الموارد البشرية، (بحث)، إبراهيم عبد الله وحميدة المختار، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد السابع، فبراير، ٢٠٠٥.
- رؤيتي، التحديات في سباق التميز، محمد بن راشد آل مكتوم، موتيفيت للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٣، مطبعة الإمارات، (د.ت).

- علاقة الممارسات الاستراتيجية لإدارة الموارد البشرية وأداء العاملين، وأثرهما على أداء المنظمات، دراسة تطبيقية على الجامعات الخاصة الأردنية، زياد مفيد القاضي رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ٢٠١٢م.
- المكتبة في القرن الحادي والعشرين، بيتر بروفي، ترجمة محمد فتحي علي: مجموعة النيل العربية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط ١، ٢٠٠٩م.

المراجع الإلكترونية:

- دور برامج التكوين في تأهيل الكوادر البشرية لاستخدام التكنولوجيا الحديثة: (دراسة ميدانية بمكتبات جامعة قسنطينة)، ضمن أعمال الملتقى الدولي «المكتبات ومؤسسات المعلومات في ظل التكنولوجيات الحديثة: الأدوار، التحديات والرهانات»، بودويرة الطاهر وحموي نور الهدى:

<http://www.univ-constantine2.dz/instbiblio/wp-content/uploads/sites/7/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84-%D8%A8%D9%88%D8%AF%D9%88%D9%8A%D8%B1%D8%A9.pdf>

- التكوين والتعليم المهنيين بالجزائر- مهام وهياكل: www.vitaminedz.org
- صحيفة البيان ٢٦ ديسمبر ٢٠١٥م تصريح للدكتور خليفة راشد الشعالي مدير الكلية الجامعية للأمم والعلوم الأسرية في عجمان:

[/https://www.albayan.ae](https://www.albayan.ae)

- رؤيتي، التحديات في سباق التميز، محمد بن راشد آل مكتوم:
<http://education.iugaza.edu.ps/Portals/18/albums/pdf/%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%AA%D9%8A-%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA%20%D9%81%D9%8A%20%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D9%82%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%8A%D8%B2.pdf>

- مركز التعليم المستمر والتطوير، جامعة الشارقة:
<http://www.sharjah.ac.ae/ar/Pages/default.aspx>
- وسيلة التغيير كايزن (kaisen)، نزار حسن الدين فلمبان، منتديات البرمجة اللغوية العصبية، مرجع إلكتروني:
<http://www.nlpnote.com/forum/t33221.html>
- موقع : www.wilaya-alger

الوثائقية التاريخية في مسرح
سلطان بن محمد القاسمي

د. يحيى سليم سليمان عيسى
كلية الفنون والتصميم، الجامعة الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية



ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى رصد الوثائق التاريخية في مسرح سلطان بن محمد القاسمي، وأوجه التشابه بين مسرحياته وبين تجارب المسرح الوثائقي العالمي، وذلك من خلال الوقوف على آلية توظيفه للوثيقة التاريخية ضمن مسرحياته، لاسيما وأن التاريخ قد شكل بالنسبة للقاسمي مخزونا من الوثائق التي تعد مرتكزا معرفيا أسس من خلاله رؤيته الفنية، فكانت مسرحياته في سياقها التاريخي الوثائقي صورة معبرة عن الواقع العربي، حيث نجح في اقتناص اللحظة التاريخية في التجربة الفنية، لتفكيكها وإعادة بنائها، للإسقاط على الحاضر وعلى المستقبل أيضا، فالمسرح الوثائقي يضع المتلقي أمام الحقائق التاريخية كي يتعلم من خلالها، ويمكن لهذا البحث أن يفيد المشتغلين في الفن المسرحي من مؤلفين ومخرجين وممثلين ونقاد، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالمسرح.

الكلمات الدالة: الوثائقية، المسرح الوثائقي، الوثيقة التاريخية، بيتر فايس، سلطان القاسمي.

Abstract

**Historical Documentary in
Sultan bin Mohammed Al Qasimi Theatre**

Dr. Yahya Saleem .S.Issa

This research aims to look closely at the historical documentary in Sultan bin Mohammed Al Qasimi theatre and sheds light on the similarities between his plays and the auditions of the Universal documentary theatre, by focusing on his mechanism to engage the historical document in his plays. History has constituted a repertoire of documents, Which are considered as a cognitive abutment for his artistic vision. Thus, his plays in their historical-documentary context, are considered an expressive image of the Arab reality, as he succeeded in investing the historical moment in the artistic experience, to loose and refine it in order to satirize the present and the future too. Hence by documentary theatre put the audience before the historical realities to learn from them. Moreover, this research would benefit those who work in the theatrical art like (authors, directors, actors and critics) as well as the academic institutions that focused on theatre.

Keywords: documentary, documentary theatre, historical document, Peter Weiss, Sultan Al Qasimi.

المقدمة

كان لطروحات المسرح السياسي لاسيما آراء (ارفين بيسكاتور) و (برتولد بريخت) أثرها في بلورة المسرح الوثائقي (التسجيلي) في ألمانيا، والذي يعتمد الوثيقة التاريخية ومحاضر الجلسات والتقارير والبيانات والرسائل في صياغة البناء العام للشخصيات والأحداث المسرحية، وكان للمسرحيين الألمان أمثال (هوخوت، كيبارد، فالزر، ويتر فايس) دورهم في بلورة هذا الفن المسرحي، حيث كتب الأخير مسرحيات تركت صداها في العالم كمسرحية (مارا / صاد) عام ١٩٦٤م، والتحقيق عام ١٩٦٥م، وأنشودة أنجولا عام ١٩٦٧م، ولكن لا نغفل دور غيرهم من الكتّاب كالفرنسي (ارمان جاتي) الذي قدم مجموعة من المسرحيات الوثائقية كمسرحية (تقارير من كوكب سيّار).

وقد وجه كتّاب المسرح الوثائقي اهتمامهم نحو القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهم الإنسان في محاولة لإيجاد حل يحقق استقلالية الشعوب وحريتها، فطرحوا بذلك قضايا الثورة الفرنسية واستعمار أنغولا وفيتنام وفترة الحكم الشيوعي في روسيا بشكل أقرب إلى روح العصر، «فمن الناحية الفلسفية أصر كتّاب المسرح التسجيلي على الجمع في وقت واحد بين قضية الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً يحمله ويحدد مصيره تيار التاريخ ومتطلبات النظام وعلاقات القوى في واقع معين، وبين قضية الإنسان كفرد محاولين الغوص في أعماق وجوده الفردي والتوسيع من نطاق حرته الفردية، وبتعبير آخر فإن كتّاب المسرح التسجيلي حاولوا الجمع بين العنصر الدرامي والملحمي في وقت واحد لخلق رؤية أكثر شمولاً للإنسان، ووقفوا في ذلك إلى حد بعيد»^(١)، وبذلك فإنهم يصورون معاناة أبناء الجنس البشري والعلاقة بين الطبقات الاجتماعية

١ - خميس، يسري، حول المسرح التسجيلي - مقدمة مسرحية اضهاد واغتتيال جان بول مارا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٢.

محاولين الكشف عن الجوانب السلبية ومكامن الاستغلال والقهر التي تقيّد بعض الشعوب .

إن المسرح الوثائقي وضمن هذا السياق يتأسس من خلال الفهم الموضوعي لطبيعة ظروف المهمشين وأحوالهم، وذلك كي يؤسس لوعي قومي وإنساني عام لمشكلاتهم، وبالتالي فهو يوجه أبناء المجتمع نحو المضي قدما للبحث عن حياة أفضل، ومستقبل تسوده الحرية والأمل؛ ونظرا لما تعرض له الإنسان العربي المعاصر من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاهرة تمثلت بوقوع أقطار الوطن العربي تحت الاستعمار، ومن ثم احتلال فلسطين من قبل العدو الصهيوني وما تبعها من أحداث متتابة مازالت تلقي بظلالها على الواقع العربي، فقد اتجه المسرحيون العرب إلى اعتماد منهجية المسرح الوثائقي للتعبير عن واقعهم، فظهر تأثير ذلك في مسرحيات كل من: الطيب الصديقي، وقاسم محمد، والفريد فرج، وعلي سالم، وسعد الله ونوس وغيرهم...، وتشكل تجربة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي المسرحية إحدى التجارب الهامة في المسرح العربي، حيث قدم من خلال مسرحه عددا من المسرحيات التي استندت الوثيقة التاريخية، وفي ضوء ذلك جاء هذا البحث إلى رصد الوثائقية في مسرح سلطان القاسمي وأوجه التشابه بين مسرحياته وبين تجارب المسرح الوثائقي العالمي، وذلك من خلال الوقوف على آلية توظيفه للتاريخ ومعطاته ضمن مسرحه، وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في بحثه.

تحديد المصطلحات:

الوثيقة Document: لغة: جاءت كلمة (الوثائقية) من صيغة المفرد المؤنث (وثيقة) وجمعها (وثائق)، والوثيقة هي: «ما يحكم به الأمر (...) أو المستند، وما

جرى هذا المجرى»^(٢).

كما جاءت في معجم (لسان العرب) بمعنى الثقة، وذهب (ابن منظور) إلى أن «الوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثائق، (...) ويقال: أخذ بالوثيقة في أمره أي بالثقة، وتوثق في أمره: ومثله. ووثقت الشيء توثيقاً، فهو موثق. والوثيقة: الإحكام في الأمر...»^(٣).

أما قاموس أكسفورد فقد عرف كلمة «Document» بأنها: «الوثيقة المكتوبة أو المستند الكتابي أو الدليل الكتابي، والدوكيومينتاري هو العرض المدعم بالوثائق، أي الأدلة والبراهين»^(٤).

المسرح الوثائقي:

ترتبط الوثائقية في المسرح بمفهوم المسرح الوثائقي، وقد ذهب (شيحة) إلى أن المسرح الوثائقي هو اتجاه «يهدف إلى إحداث أثر سياسي اجتماعي نقدي، وهو لهذا يختار المادة التاريخية والسياسية الموثوق بصحتها والتي غالباً ما تتخذ شكل القضايا أو الأبحاث أو التحقيقات. ويعتمد في مادته على الملفات والتحقيقات والتقارير الصحفية للأحداث الجارية وبعض المواد الفيلمية والصور والتسجيلات الصوتية (...)، وذلك من أجل تحقيق أعلى درجة من المصدقية والموثوقية»^(٥).

وذهب آخر إلى أنه: «ريبورتاج فني مسرحي، يعنى باللغة وبيتعد عن

٢- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، د ط، ١٩٩٤م، ص ٦٦٠، مادة (وثق).

٣- ابن منظور، أبو الفضل الأنصاري الخزرجي، لسان العرب، المجلد السادس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤٧٦٤، مادة (وثق).

4- S.DONIACH, The Oxford English - Arabic Dictionary of current usage, Oxford University Press, London, First Published, 1972. P345.

٥- شيحة، محمد، التوثيق والمسرح - دراسة أولية لملامح الدراما الوثائقية الألمانية في الستينات، مجلة المسرح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ١٢١، ديسمبر ١٩٩٨م، ص ١٥١.

الابتكارات في الحدث قدر الامكان، كما أنه يحاول الارتباط بالحقيقة والواقع قدر استطاعته»^(٦).

وهو أيضا: «شكل من أشكال المسرح يقوم على حدث تاريخي أو سياسي أو اجتماعي أو واقعة ما في إطار درامي، ولذلك يطلق عليه أحيانا مسرح الوقائع. ويستند هذا الشكل المسرحي إلى الوثيقة الحقيقية كمادة أولية، ويكون العرض في هذه الحالة إعادة تمثيل لمراحل الحدث أو الواقعة على شكل إعادة ترتيب لعدد من اللوحات أو الاسكتشات يشكل كل منها مشهدا مستقلا، ويتركب المعنى في الحصيصة النهائية»^(٧).

وتماشيا مع أهداف هذا البحث فقد صاغ الباحث التعريف الإجرائي التالي:

المسرح الوثائقي: هو شكل من أشكال المسرح السياسي، يقوم على حدث تاريخي أو سياسي أو اجتماعي أو واقعة ما في إطار درامي، ويستمد موضوعه من الوثائق الحقيقية كمادة أولية، حيث يختار المادة الموثوق بصحتها التي غالبا ماتخذ شكل القضايا أو الأبحاث أو التحقيقات، ويهدف هذا النوع من المسرح إلى إحداث أثر سياسي اجتماعي نقدي من خلال تقديم وجهة نظر هدفها التأثير في المتلقي، وتوجيهه لإتخاذ الموقف الايجابي من القضية التي تعرض أمامه من أجل التغيير في الواقع.

الوثائقية التاريخية والمسرح:

تشكل مسرحية النائب ل (هوخوت) التي عرضت لأول مرة في ٢٠ فبراير سنة ١٩٦٣ م في المسرح الشعبي ببرلين، أول عرض لموجة جديدة من المسرحيات التي أطلق عليها (بيتر فايس) مصطلح (المسرح الوثائقي)، وقد ظهر في ألمانيا

٦- عبده، عبد الرحمن، نحو تعريف للمسرح التسجيلي، مجلة المسرح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٢٠، نوفمبر ١٩٩٣ م، ص ١٣.

٧- الياس، ماري، وحسن، حنان قصاب، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ٥٢٠.

متأثراً بمسرح الثورة الروسية في أواخر العشرينات وبلغ أوجه في أعمال (اورفين بيسكاتور) المسرحية، وكان للوثائق التاريخية ولمحاضر الجلسات التي يستند إليها الكاتب في المسرح الوثائقي أثرها في بناء الشخصية والأحداث المسرحية، إضافة إلى دور الكاتب في إعادة تفسير التاريخ وعكسه لوجهة نظره الخاصة، ويرى (فايس) أن «المسرح التسجيلي مسرح تقريبي، فالسجلات والمحاضر والرسائل والبيانات الإحصائية ونشرات البورصات والتقارير السنوية للبنوك والشركات الصناعية والبيانات الحكومية الرسمية والخطب والمقابلات والتصريحات التي تدلي بها الشخصيات المعروفة، والريبورتاجات الصحفية والإذاعية والصور والأفلام والشواهد الأخرى للعصر الحاضر، هي التي تكون أساس العرض»^(٨)، فالمؤلف في المسرح الوثائقي يعتمد معطيات التاريخ ووثائقه في تشكيل البناء العام للمضامين الفكرية والجمالية في مسرحه.

في مسرحية (محاكمة ابونهايمر) لمؤلفها (هانيار كيبارد)، يستعين المؤلف بملفات جلسات لجنة الأمن القومي التي شكلتها لجنة الطاقة الذرية للتحقيق مع عالم الذرة الدكتور (جوليوس روبرت ابونهايمر) عام ١٩٥٤م، حيث قدم المؤلف صورة مصغرة لواقع التحقيق، والحرية التي يتمتع بها الكاتب بهذا الصدد تتمثل في اختيار المادة وإعادة ترتيبها وتشكيلها، وقد أجرى المؤلف بعض التغييرات بين الوثيقة والنص المسرحي محاولاً خلق نوع من التوتر الدرامي بتركيزه على الصراع بين سلطة الدولة وحرية الفرد الشخصية^(٩)، حيث أظهر المؤلف لنا موقف الشخصية ودوافع صراعتها في سبيل تغيير الواقع السيئ والدفاع عن أفكارها، مؤكداً على عمق التاريخ والزمن في خلق الوعي الخاص بالشخصية.

٨- فايس، بيتر، دراسة عن المسرح التسجيلي مقدمة مسرحية أنشودة أنجولا، ترجمة. يسري خميس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٧٠م، ص ١٩.

٩- أنظر. شيحة، محمد، التوثيق والمسرح، ص ١٦٠.

ونتيجة للأحداث التي طرأت منذ بداية القرن العشرين كالحروب والأزمات السياسية والاقتصادية حدث ضمور في شخصية البطل الفرد وتحولت البطولة منه - بوصفه صاحب الزعامة الأول - إلى التكتلات الاجتماعية، حيث ظهر موقف السلطة الطاغية بوسائلها القمعية في مواجهة كفاح الجماعة الإنسانية التي تعيش بؤس المعاناة.

ويبرز بيتر فايس من بين كتّاب الدراما الوثائقية بوعيه الفكري والفني، وقدرته على صياغة الأحداث درامياً، ففي عام ١٩٦٤م قدم مسرحية (مارا- صاد) حيث عبّر فيها عن أهمية الثورة وضرورتها بالنسبة للفرد والمجتمع في إطار سياسي أخذ أحداثه العامة من الثورة الفرنسية، ويؤكد فايس في مسرحيته على أهمية تحقيق الذات المتحررة بالنسبة للكائن البشري حتى يتمكن من تحقيق التطور الاجتماعي، «ويعيد بيتر فايس تفسير أحد شخصيات الثورة الهامة (مارا) بحيث تبدو دوافعه ممكنة التصور بدلاً من تلك الصورة الدموية التي وصفه بها المؤرخون»^(١٠)، حيث يعرض فايس قيم الشخصية وأفكارها ودورها في محاولة تحقيق التغيير الاجتماعي، مؤكداً العقبات التي تقف في وجه تحقيق تلك الأفكار، على اعتبار أن مارا يمثل وجه الثورة ضد الفساد الاجتماعي.

وحول الخلفية التاريخية لشخصية مارا يقول فايس: «إن موقف مارا الذي صورناه في المسرحية يشابه الواقع تماماً، فقد اضطر مارا لأن يرقد ساعات طويلة في الحمام من أجل أن يخفف آلام المرض الجلدي النفسي الذي أصيب به أثناء انزاله بالغرفة المظلمة، حيث كان يعيش سنواته الأخيرة حتى يوم السبت ١٣ يوليو ١٧٩٣م يوم زارته شارلوت كوردي ثلاث مرات وطعته»^(١١).

١٠- خميس، يسري، حول المسرح التسجيلي، مقدمة مسرحية اضطهاد واغتيال جان بول مارا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢.

١١- فايس، بيتر، ملاحظات عن الخلفية التاريخية للمسرحية - مقدمة مسرحية مارا / صاد، ترجمة. يسري خميس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٨.

ويؤكد فايس أن شخصية مارا التي قدمها في مسرحيته تتطابق في بنائها مع الواقع الذي عاشه مارا لاسيما في ما يتعلق بمواقفه التي حفظت في الكتابات التي تركها، «فقد ترك مارا منزل العائلة وهو في السادسة عشر من عمره، درس الطب وعاش عدة سنوات في إنجلترا، وكان طبيباً مشهوراً، اعترف به كعالم، قدره المجتمع ثم انحاز أخيراً إلى جانب الثورة بعد فترة طويلة، كان يوجه فيها النقد إلى ذلك المجتمع. ولكنه كان كبش الفداء في حالات كثيرة، نتيجة لحدته وثورته ومزاجه الانفعالي»^(١٢).

إن نظرة فايس لمارا جاءت من إيمانه أنه من مفكري ودعاة الاشتراكية، وما الحالة المرضية التي رسمها له إلا للتعبير عن موقفه من الثورة التي تحول مسارها؛ وهكذا فإن إيمان فايس بحرية الإنسان يجعله مهتماً ببناء شخصية مارا، من أجل أن يوجه النقد من خلالها إلى الثورات الاشتراكية التي تقوم على القتل والتدمير، ونتيجة لهذه المنطلقات الواقعية والنقدية التي ينطلق منها فايس، فقد صور شخصية مارا بأنها تسير «أمام خلفية اجتماعية من السوق والغوغاء الذين يجدون لذة بالغة في منظر الإعدام والدماء والرؤوس التي تهوي تحت المقصلة، ثم هم إلى ذلك يمثلون صورة للعجز الإنساني عن فهم ما يريدون والسبيل إلى تحقيق إرادتهم الدموية، والعجز والغباء هما كل سماتهم، إنهم يتطلعون إلى مارا كمنقذ ينير لهم السبيل ويهديهم إلى أسلوب العمل الثوري الذي يكفل لهم حقهم في حياة كريمة (...)، ومارا في حمام دمه عاجز عن مساعدتهم وقيادتهم، يكتفي بإصدار بيانات تصدر عن رأس محموم ولا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة»^(١٣)، وتبقى أسئلتهم عن الثورة وعمّا حققته لهم متواصلة، ولا يتوانوا عن المطالبة بإنهاء الفقر وإحداث التغييرات التي وعدهم بها قادة الثورة.

١٢- المصدر السابق، ص ٢٩.

١٣- العيوطي، أمين، مارا - صاد نظرة غربية إلى الثورة الاشتراكية، مجلة فنون، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مسرح الحكيم، القاهرة، العدد ٤٣، يوليو ١٩٦٧م، ص ٨٠.

وإزاء ذلك تظهر شخصية القس الاشتراكي المتطرف (جاك رو) الذي يمثل الوجه العاطفي للثورة في سبيل إنهاء البؤس والفقر الذي يعاني منه المجتمع، حيث يحرّض الفقراء على حمل السلاح من أجل الحصول على حقوقهم المشروعة والوقوف بوجه المستغلين والمتاجرين بهم، أما مارا فيبقى ممثلاً للموقف الاجتماعي بكل صعوبته ومشاكله، في ظل ثورة تكاثر فيها الانتهازيون والدمويون، ولكي يتسنى له طرح قضيته التي تبناها يلجأ فايس إلى ترسيخ الجدل والتناقض فيما بين الشخصيات التي تدافع كل منها عن وجهة نظر معينة؛ فبينما جاء مارا ليمثل وجهة الثورة ضد الفساد الاجتماعي، جاء الماركيز دي صاد ليمثل وجهة الثورة ضد ضعف الطبيعة البشرية، بينما نرى عند كولميه صورة الانتهازي الذي يلبس قناع الثورة، وإزاء تعدد وجوه الثورة تتعمق التناقضات بين الشخصيات، وهكذا فإن فايس لا يتوقف في تصويره لشخصية مارا عند هذا الحد، بل يواجهها بشخصية أخرى مضادة يدخلها على الموقف التاريخي ليرز من خلال تناقضها بعداً جديداً وهاماً في مفهومه عن الثورة والحرية، تلخصه كلمات دي صاد وهو يدلي برأيه الذاتي في الثورة:

«دي صاد: إن السجون الذاتية، أبشع من أكثر الزنانات صلابة، وطالما لم تفتح بعد هذه السجون، فإن كل ثوراتكم مجرد سجن للثورة.. إنها الحرية الفردية تطالب بتوسيع حدودها في مواجهة الثورة الاجتماعية»^(١٤).

إن شخصية الماركيز دي صاد لا تقل أهمية عن شخصية مارا، فهو يتقاسم معه الصراع في عدد من الجوانب ويبرز دوره في تنظيم الأحداث وتحريكها، «ولكن الذي يهمنا من مواجهة دي صاد بما را هو ذلك الصراع بين الفردية المتطرفة وبين الدعوة إلى التغيير السياسي والاجتماعي. لقد كان دي صاد مقتنعاً أيضاً

١٤- فايس، بيتر، مسرحية اضطهاد واغتيال جان بول مارا، ترجمة. يسري خميس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١١٤.

بضرورة الثورة، وكانت أعماله تتحدث وتفضح الطبقة الحاكمة المتعفنة، رغم أنه كان يخشى العنف الذي تمارسه هذه الطبقة»^(١٥)، ثم نجده لاحقاً يسخر من الثورة التي ألغت كيان الفرد وأذابته في كيان الجماعة التي اتجهت إلى العنف والدموية في سبيل تحقيق أهدافها، لذلك لا عجب أن نرى أتباعه يؤيدون موقفه وآراءه ويقفون من مارا موقفاً عدائياً لكثرة الضحايا التي خلفتها الثورة، ولأن الثورة لم تتوصل إلى تحقيق صورة المجتمع الإنساني الحقيقية.

وبما أن المسرح الوثائقي يعرض الحقائق التاريخية من خلال الجدل بين الشخصيات، الذي يحل محل الحدث والذي يعمل على مخاطبة العقل لا العاطفة في سبيل إقناع كل طرف للآخر بحجته وبوجهة نظره، فإننا نرى مدى احتواء شخصيتي مارا وصاد على التناقض في البناء الفكري والنفسي العام، حيث إن «أحدهما يؤمن بالفرد ولا يرى من الثورة الفرنسية إلا وجه العنف الذي ساد فرنسا بعد عام ١٧٨٩ م، ويشير إلى الثورة في أنانية فردية متعالية، والآخر لا يرى إلا أن الثورة قد تحولت عن طريقها وداست كل قيم الحرية والإخاء والمساواة التي بدأت بها في سبيل حفنة من البرجوازيين الذين دفعوا الشعب إلى الثورة ثم استداروا عليه وامتصوا مكاسبه وحرموه من حقه في الحياة»^(١٦).

إن المتتبع لشخصيتي مارا وصاد يرى أنهما تحتويان على عناصر الشخصية الدرامية، حيث يبرز من خلال بنائهما البطولي والتراجيدي دورهما في نقل الأحداث من خلال الشكل التسجيلي الذي استند فيه الكاتب إلى الملفات والوثائق التاريخية، فالمسرح الوثائقي يعرض وجهات النظر المختلفة مولياً الاهتمام للجماعة، وإذا كانت المسرحية التاريخية تتخذ مادتها من التاريخ، فإن المسرحية الوثائقية تقوم على «عرض التاريخ على المسرح باعتباره جزءاً من

١٥ - فايس، بيتر، ملاحظات عن الخلفية التاريخية للمسرحية...، ص ٢٦.
١٦ - العيوطي، أمين، مارا / صاد نظرة غربية إلى الثورات الاشتراكية، ص ٧٨.

الحاضر بعد القاء الضوء عليه خلال رؤيتنا العصرية له»^(١٧).

وقد تضاربت الآراء النقدية في آلية التعامل مع التاريخ، حيث أكد بعض النقاد على ضرورة استحضار الأحداث التاريخية بأزمنتها المشرقة، وشخصياتها الخالدة دون أي تدخل من الكاتب، معتمدا على عنصر السرد أكثر من الاعتماد على عنصر الصراع الذي تقوم عليه المسرحية، وهدفه من ذلك هو تحقيق الموعظة والعبرة، وهناك من الكتاب من استلهم التاريخ وأعاد قراءته قراءة جديدة في ضوء معطيات العصر وظروفه، إلا أننا هنا لا ننكر أن التاريخ قد شكل مادة خصبة للمسرح منذ العصر الإغريقي؛ لكن الاختلاف بين المؤرخ والمسرحي يبقى قائما، فالكاتب «إذ يتناول موضوعات تاريخيا، لا تكون مهمته تسجيل ما حدث في التاريخ، كما حدث، فتلك مهمة المؤرخ، وأما مهمته، فهي أن يخلق في إطار تلك القطعة من التاريخ عالما جديدا، تقع فيه الأحداث، وتتصرف فيه الأشخاص وتتعد في المشكلات، وتصدر عنه النتائج، لا كما أثبتت سجلات التاريخ، بل بمقتضى الصورة العامة، التي تخيلها على ضوء معرفته بحياة ذلك العصر، على وجه الخصوص، وخبرته بالحياة الإنسانية على وجه عام، مستهديا في ذلك كله بالهدف الذي يرمي إليه، والرسالة التي يريد أداءها»^(١٨):

وهذه العودة إلى رحاب التاريخ من قبل الكاتب لاتعني التقييد بأحداثه، بل للكاتب الحق في اختيار الوقائع التاريخية التي يريدتها وترتيبها حسب رؤيته الفنية.

لقد اعتمدت المسرحية التاريخية على آليات المسرح التقليدي من حيث الشكل، حيث أكدت على الخط التصاعدي للأحداث، واهتم كتابها بالماضي

١٧- فايس، بيتر، مسرحية اضطهاد واغتتيال جان بول مارا، ص ١٠.

١٨- باكثير، علي أحمد، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤م، ص ٣٥.

البعيد معتمدين الوثيقة الثانوية في اشتغالاتهم، وذلك لتقديم عالم متخيل وهمي يهدف إلى تحقيق العبرة للمتلقي. لكن المسرح الوثائقي رفض البناء التقليدي بوصفه يخلق الحالة السكونية ضمن المسرحية، ورسخ المشاهد المستقلة التي تشكل في مجملها العام طبيعة القضية التي يتم تناولها، ثم إنه اعتمد الوثيقة الأصلية مولياً الاهتمام للماضي القريب أو المعاصر، ومركزاً في الوقت نفسه على إعادة ترتيب الأحداث وتقديم الحقيقية منها لأحداث التغيير في المجتمع.

وإذا كانت المسرحية التاريخية تهتم بتمجيد البطولة الفردية، فإن المسرحية الوثائقية تركز على «عرض سلوك الإنسان الجماعي حيال التاريخ»^(١٩)، ويبقى دور المؤلف في المسرح الوثائقي محدوداً في التدخل بالأحداث قياساً للمؤلف في المسرح التاريخي، وذلك لأنه يعي أن رأيه الشخصي لا أهمية له، إلا أن المسرح الوثائقي يحيل المتفرج على التاريخ الحقيقي والواقع المعيش بهدف تحريضه على الثورة، ويخلص الباحث إلى أن المسرح الوثائقي يشكل امتداداً للمسرح التاريخي الذي ارتكز على الوثائق التاريخية، وإن اختلفا في الشكل والهدف وطريقة التقديم.

ثانياً: الوثائقية التاريخية في مسرحيات سلطان بن محمد القاسمي:

تعد تجربة الشيخ (سلطان بن محمد القاسمي) - حاكم إمارة الشارقة - في الكتابة المسرحية تجربة فريدة في العالم المعاصر، وقد استند في كتاباته إلى عدد من المرجعيات الفكرية والجمالية النابعة من التاريخ العربي بشكل خاص، حيث وظفها توظيفاً دلاليّاً عبّر عن الواقع العربي الراهن بكل مأساويته، محاولاً إعادة قراءة التاريخ الإسلامي في سبيل قراءة الذات العربية التي تحفل بالمعاناة والألم، ولم يثنه الحكم عن مشروعه الثقافي الذي ارتضاه لنفسه وبحث فيه منذ وعيه،

١٩ - فايس، بيتر، مسرحية اضطهاد واغتيال جان بول مارا، ص ٩.

«فعند التطلع إلى البعيد سنجدّه شارك في المسرح المدرسي بشخصية (جابر) في مسرحية (جابر عثرات الكرام)، وهو نص ل (محمود غنيم)، وكان ذلك في عام ١٩٥٥ م، وكان سموه آنذاك في المرحلة الإعدادية، ثم كانت نقلة أخرى في الاتجاه ذاته في فرع آخر «الكتابة»، حيث كتب القاسمي نص (نهاية صهيون) في عام ١٩٥٩ م»^(٢٠).

لقد قدم القاسمي منجزاً مسرحياً استثنائياً تجسدت ملامحه في نصوصه الأدبية كافة لاسيما المسرحية منها؛ إذ حاول من خلال حرصه الوطني والقومي، أن يكشف عن تحديات العصر الراهن ببصيرة واعية هدفها الوقوف على مكامن الضعف والقوة في مسيرة الأمة، وبذلك فقد شكل ظاهرة أدبية فريدة في التعامل مع التاريخ وتوظيفه درامياً، مستنداً على إلمامه بتفاصيل كل واقعة تاريخية تناولها، ومعطيات تلك الواقعة وطبيعة عصرها الذي تنتمي إليه، مرسخاً رؤيته من خلال تقنية خاصة في الكتابة، «فقد دأب القاسمي على وضع عتبة تقديم في كل مسرحياته تعمل على اقتراح المقولة المركزية ووضعها بين أيدي المشاهدين والقراء معاً، من أجل دعم رؤيته المسرحية بأكثر قدر ممكن من الإيضاح وتكبير صورة السؤال الجوهرية الذي تشتغل عليه المسرحية، وبأسلوب أكاديمي ينهض على توثيق المعلومة المستقاة من المصادر والمراجع بدقة ومسؤولية على النحو الذي تتمظهر فيه صورة المؤرخ الحصيف المؤمن بما يكتب والعارف بحدود ما يكتب أيضاً»^(٢١)، فاستقر منهجه في إعادة قراءة التاريخ على التذكير بمجرباته، وإعادة توثيقه في عقلية الإنسان العربي التي تجهل تلك الوقائع، أو باتت محكومة لغياهب النسيان، وهو في ذلك إنما يرسخ منهجية لتأصيل المسرح العربي من خلال بعث

٢٠ - أنظر. مجموعة من الكتاب، جدل الراهن والتاريخ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٣ م، ص ٢٦٣.

٢١ - عبيد، محمد صابر، خطاب الهوية من منصة التاريخ إلى عتبة المسرح قراءات في مسرح سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٤ م، ص ٢٧.

الطاقة الدرامية في الحادثة التاريخية التي وعى تفاصيلها العامة والخاصة وعيا مستفيضا.

لقد اختار القاسمي التاريخ من المعطى الموجود، وقام بإحضار الواقع المنسي بعوالمه المسدودة وإدراجه في الكتابة الدرامية لفهم دروسه وعبره وأحداثه، وقد جعل من التاريخ في مسرحه عاملاً مساعداً يعين على كشف الواقع التراجيدي العربي، وما العودة إلى التاريخ العربي الإسلامي إلا لتقديم رؤية واحدة موحدة ترصد تراجيديا التاريخ العربي في الكتابة المسرحية^(٢٢).

وبما أن القاسمي قد انطلق من رؤية سياسية في مسرحه عبر اختياره لقصص من التاريخ العربي اشتملت على أحداث وشخصيات أثرت في حركة التاريخ، فإن أعماله المسرحية تتسم «إضافة إلى توجهاتها التاريخية - الوثائقية الرصينة. تتسم بكونها أعمالاً مسرحية تدرج تحت توصيف (التراجيدي - الملحمي) لأنها تخوض غمار البحث في مواضيع تاريخية واسعة أفقياً، وعميقة عمودياً - من أحداث رئيسة مرت في حياة الأمة الإسلامية - العربية، ثم تتوغل هذه التأليف في كشف هذه الأحداث، عبر مراحلها المختلفة، عارضة ومحللة محنها المصيرية وكاشفة بقوة لحظة الانهيار الهائل لمراكز الحضارة العربية الإسلامية، سواء ما كان منها دنيوياً مادياً، وما كان من بنائها الروحي، أو ما كان قد تراكم من منجزها الفكري والفني والثقافي، وبناء حضاري كلي مرموق في حواضرها الشهيرة على امتداد تاريخها الإنساني»^(٢٣).

ومن الملاحظ أن الوثائقية في مسرح القاسمي تقوم على انتقاء مجموعة من المواقف أو المعطيات التاريخية التي يمكن لها التفاعل مع القضايا المعاصرة،

٢٢ - ينظر. مجموعة من الكتاب، شاهد على التاريخ نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، أعداد وتقديم. د. يوسف عيادي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٦م، ص ٦٩.

٢٣ - المصدر نفسه، ص ٨٨.

ودمجها في أحوال العرب الراهنة التي تشكلت بفعل الوقائع والأحداث السياسية والإجتماعية التي أثرت في مسيرة المجتمع، ضمن آلية تقوم على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبذلك فقد استلهمت نصوصه «تلك اللحظات واقتنصتها للتعريف بالنتائج والممكنات التي قد تستنبط من درس التاريخ لإعادة إنتاجها بزمن جديد وبرؤية مفيدة، واستدعاء الشخصيات بعظمتها التاريخية والمتوجة بهالات التقديس أو الإيجابية ضرورة فنية لمعانقة إشكاليات الراهن، فإكساب تلك الشخصيات لحماً ودماً من جديد وتحريكها أمام المتلقي ستعيد لديه حراك الفكر وتنتشله من ركوده، ومسرح (القاسمي) ينفخ في التاريخ ويوقظه من أجل إيقاظنا وتنبهنا للخطر المحدق لأننا غارقون في حالة اللامبالاة»^(٢٤).

وتأتي تجربة القاسمي لتؤسس في هذا السياق لأ نموذج رصين في المسرح السياسي، وهذه التجربة بنيت على وعي بمنعطفات التاريخ وتحولاته، فشكلت إسقاطا للحقائق التاريخية على الواقع العربي، وذلك للوقوف على التردّي الراهن في واقع الأمة، واستنهاض الإنسان العربي للبحث عن حرّيته وعدم اليأس من الواقع، وبالتالي فإن القاسمي وضمن نصوصه المسرحية «يضع الوقائع في سياقاتها الجديدة في الكتابة، ويعطي الحضور المغاير لهذه الوقائع سمة جديدة بكل الامكانيات والوسائل التي تضعف الرؤية كي تدرج هذه المرجعيّات في الحالات الدرامية ليصبح النص المسرحي خزاناً احتياطياً لكل ما غفل عنه الغافلون، أو نسيه أو تناساه قراء التاريخ. من هنا تتحدد معالم هذه المرجعيّات وحدودها وموضوعاتها في الكتابة المسرحية وهي تبني تراجيديا التاريخ العربي»^(٢٥)، لذلك نجد القاسمي في عودته للتاريخ يختار شخصياته المسرحية من الواقع، لاسيما تلك

٢٤ - ينظر. المصدر السابق، ص (٣٢ - ٣٣).

٢٥ - ابن زيدان، عبد الرحمن، تراجيديا التاريخ في مسرح سلطان القاسمي، في: عاشق المسرح دراسات وقراءات في مسرح سلطان القاسمي، اعداد: عبد الفتاح صبري وعصام أبو القاسم، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٣٢.

التي تعبر عن حالات الضعف والإنكسار في التاريخ العربي، مبيناً طبيعة البناء النفسي العام لشخصية الإنسان المسلم والعربي، وما ينطوي عليه من تخاذل وهوان، ومن أمثلة تلك الشخصيات الخليفة العباسي المستعصم بالله في مسرحية (عودة هولوكو)، وأبو عبد الله الصغير أمير غرناطة في مسرحية (القضية). وعلى النقيض من ذلك يقدم لنا (القاسمي) نماذج بطولية لها مكانتها في التاريخ العربي والإسلامي كشخصية (صلاح الدين الأيوبي) في مسرحية (الواقع.. صورة طبق الأصل)، وهو بذلك يسعى إلى تقديم جوانب مشرقة من تاريخ الأمة، محاولاً إثارة الحماسة وبث روح المقاومة في الذات العربية المنكسرة، ليشكل اختيار تلك الشخصيات بمثابة ملجأ وملأ آمن للإنسان من أجل الانتصار على واقعه المرير، حيث يتخذ الإنسان من خلال السفر في الماضي واستذكار زمن البطولة الوازع الذي يعيد له التوازن النفسي في الواقع الذي يعيش فيه.

إن القاسمي بهذا التعامل ينخرط في سلسلة المسرح العالمي التاريخي، حيث يقترب من بعض حلقاتها، وينأى عن البعض الآخر، فهو حين يختار مبدأ الحقيقة عوض مبدأ الاحتمال في توظيف التاريخ مسرحياً، يقترب أكثر من الدراما الرومانسية، ولا يميل إلى التعامل الكلاسيكي مع التاريخ، ذلك أن الكلاسيكية قد علمت الدراميين المحدثين توظيف التاريخ بطريقة حرة، مع التقيد بمبدأ الاحتمال الذي يساعد على تجاوز الحقيقة التاريخية، والقيام بسد الثغرات الكامنة في الوثائق وتأويلها من منظور شخصي^(٢٦).

لقد شكل التاريخ بالنسبة للقاسمي مخزوناً من الوثائق التي تعد مرتكزاً معرفياً أسس من خلاله رؤيته الفنية، فكانت كتاباته في سياقها التاريخي صورة

٢٦- أنظر. المصدر نفسه، ص ١٢٤.
وأنظر. المنيعي، حسن، هنا المسرح العربي هنا بعض تجلياته، منشورات السفير، المغرب، مكناس، ١،
١٩٩٠م، ص ٣٨.

معبرة عن المسرح في إطاره الوثائقي التسجيلي، ويمكن القول إن اتكاء القاسمي على المصدر التاريخي من بين المصادر التراثية يعود إلى سببين:

«الأول: فني يتصل بتقنيات العمل الإبداعي ومضمونه، وما يكمن في التاريخ من معطيات تعين على تخيّر الموضوع، ورسم الشخصيات وإذكاء الصراع، مما يسهم في بناء إطار فني متماسك للعمل الإبداعي الأدبي.

والثاني: أسباب موضوعية عامة ترجع إلى رغبة الكاتب في التغني بأمجاد الآباء والأجداد، أو زيادة الوعي الوطني والقومي من خلال تقديم وقائع وأحداث من الماضي وربطها بالحاضر، محدثة من خلال ذلك حالة من الإسقاط على الواقع»^(٢٧)، وبذلك يبقى استدعاء التاريخ من قبل المؤلف المسرحي هو إعادة لإحيائه وتوثيقه من جديد ضمن رؤية تسهم في قراءة الحاضر، وهذه القراءة تكون من زاوية معينة، ومن أجل غايات وأهداف ترتبط بالهموم والهواجس والتطلعات الخاصة بالكاتب.

الوثائقية التاريخية في مسرحية (القضية) عام ٢٠٠٠م:

اعتمد القاسمي في مسرحية (القضية) على وثائق ومعطيات تاريخية ارتبطت بالأحداث التي صاحبت السقوط المذل للعرب في الأندلس، وهو في عودته للتاريخ إنما يختار شخصيات واقعية عبرت عن هشاشة العرب وحالات الضعف والانكسار المرتبطة بهم ضمن رؤية تتخذ أبعادها من طبيعة الراهن في التاريخ العربي، فبعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس بدأت الممارسات المنحرفة للملوك الطوائف تظهر علنا، مما كان لها دورها في سقوط غرناطة، وقد شكلت تلك المرحلة فترة مظلمة في تاريخ الأندلس، حيث كانت بدايتها حوالي عام ٤٢٢هـ / ١٠٢٩م.

٢٧ - أنظر. مجموعة من الكتاب، شاهد على التاريخ، ص ٤٤.

وقد تمثلت ممارساتهم بقيام كل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة خاصة به وبزمرته، فقسمت الخلافة بذلك إلى اثنتين وعشرين دويلة، حيث شهدت تلك المرحلة التناحر السياسي والعسكري وعدم استقرار الحكم في تلك الدويلات مما أضعفها أمام أعداءها من نصارى الشمال، ووصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يستعينون بالأعداء على إخوانهم، فقد عاشت غرناطة صراعاً دامياً بين أميرها أبي الحسن الملقب بالغالب بالله وبين أخيه أبي عبد الله محمد المعروف بالزغل الذي طلب عون النصارى على أخيه أبي الحسن مراراً، ثم اتفق الأخوان على الصلح وأن يبقى أبو عبد الله بمالقة وأحوازها، وحينما لم يستقر الوضع السياسي بدأ الإفرنج يقطعون الحصون، ويستولون على المدن ويسلبون الأموال ويفرضون الضرائب^(٢٨).

وعندما أحس ملوك الطوائف بأن كارثة سقوط دولة الأندلس توشك أن تعصف بهم عقدوا اجتماعاً قرروا فيه الاستعانة بالمرابطين بقيادة (يوسف بن تاشفين) الذي استجاب لطلبهم وهزم ألفونسو في معركة (الزلاقة)، ودبت روح المقاومة في المدينة، وثار أهل البشترات مقاومين لوجود الفرنجة، وتمكن المسلمون من فتح بعض الحصون القريبة من غرناطة، بينما اتخذ موسى بن أبي الغسان قراره بالمقاومة حتى النهاية رافضاً الاستسلام.

لكن احتدام الخلافات وتهوي قوة المسلمين فيما بعد شجع فرديناند وإيزابيلا على احتلال غرناطة بعد أن رأوا أن الحرب الأهلية بدأت تؤتي ثمارها، ففر أبو الحسن إلى مالقة عند أخيه المعروف بالزغل، وجلس أبو عبد الله محمد مكان أبيه على عرش غرناطة سنة ٨٨٧ هـ، وعمره ٢٥ سنة، ثم أسره الإسبان بعد

٢٨- أنظر. عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس دولة الطوائف، ج٣، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢١٠.
وأنظر. عنبتاوي، عدنان، حكايتنا في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص١١٩.

ذلك، واستغل فرديناند قلة خبرة أبي عبدالله وضعف إرادته وطموحه للحكم فجعل منه أداة طيعة بيده ثم أطلق سراحه، بعد أن جعله يوقع على معاهدة يعلن فيها خضوعه لملك قشتالة لمدة عامين وتطبق أيضاً في جميع البلدان التي تدين بالطاعة له، ثم سلم أبو عبد الله الصغير مدينة غرناطة سنة ٨٩٧هـ، ودخل فرديناند وإيزابيلا قصر الحمراء، وهكذا انتهت آخر الحواضر الإسلامية في إسبانيا^(٢٩).

ومن الملاحظ أن القاسمي في موقفه التاريخي لم يبتعد عن المنحى الوثائقي في تعامله مع التاريخ، فقد اختار ومنذ البداية الامتداد بالأحداث بين الحاضر والماضي، عبر جسر يصل بين ماضٍ ذي أحداث عاشها أصحابها، وطواها الزمن وطواهم، وبين حاضر يجعل أصحابه يستحضرون الماضي ومعطياته للوقوف عليها وأخذ العبرة منها، وبذلك فقد اعتمد معطيات التاريخ الأصلية لتوجيه الاهتمام نحو الماضي القريب أو المعاصر، من هنا نجد (الشاهد على التاريخ) قد قسّم قراء التاريخ إلى ثلاث فئات هي: «أناس لم يقرؤوه فلم يستفيدوا منه... وأناس قرؤوه ولم يفهموه وهؤلاء لم يستفيدوا منه أيضاً.. وأناس قرؤوه وفهموه وعملوا به، وهؤلاء يستفيدون من التاريخ»^(٣٠)، والقاسمي إذ يقوم بذلك نجده مركزاً في الوقت نفسه على إعادة ترتيب الأحداث وتقديم الوقائع الحقيقية منها، وذلك من أجل استفزاز عقلية المتلقي وإحداث التغيير في المجتمع، فهو يستلهم التاريخ ضمن تجربة تتسم بالأصالة ليس بهدف سرد أحداثه ونقلها فحسب، وإنما الاستفادة منه لتعرية الواقع السياسي الخاص بالإنسان العربي.

إن القاسمي يقدم منهجاً في قراءة التاريخ عبر الانتقال من ظاهر الأشياء والقضايا، والغوص في باطنها وخلفياتها الأصلية، حيث يبلور من خلاله فكرته

٢٩- أنظر. عنتاوي، عدنان، حكايتنا في الأندلس، ص ١١٩.

وأنظر. أرسلان، شبيب، حكايتنا في الأندلس، بيروت: دار احياء التراث، د. ت، ص ١٤٢.

٣٠- القاسمي، سلطان بن محمد، الأعمال المسرحية - القضية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٧١.

التي سيناقشها في هذه المسرحية رؤية تتوازي مع التطور البنائي لشخصية (صاحب القضية) التي تشكل الشخصية المحورية، وحينما يبدأ الشاهد بقراءة التاريخ من الكتاب ومنها تاريخ العرب في الأندلس، نجد صاحب القضية قد أعلن عن رغبته في أن يتوقف الشاهد عند هذا التاريخ، وذلك كي يقرأ التاريخ ويفهمه ويعمل به:

«الشاهد: تاريخ العرب في الأندلس.

صاحب القضية: الله.. الله.. يا الله نسمع المغنيات والموشحات.

الشاهد: (وهو يدق على الكتاب) هذا تاريخ شعب ومعاناة شعب.

«صاحب القضية يتلفت حوله خائفا..»

الشاهد: لا تخف هذا تاريخ.

صاحب القضية: أعرف.. أعرف إذن أفدني أفادك الله.

«الشاهد يقرأ من الكتاب»

الشاهد: كانت في الأندلس دولة عربية عظيمة ضاعت عندما اختلفت النفوس في البيت الأموي في بداية القرن الحادي عشر فتجزأت تلك الدولة إلى اثنتي عشرة دويلة تعرف بالطوائف»^(٣١).

وهذه هي القضية التي سيتم مناقشتها، فحضارة بأكملها تضيع ولا نتذكر منها سوى الموشحات والمغنيات، وحينما يظهر ملوك الطوائف نجد أن حالة التجزئة والضعف قد سيطرت عليهم، وهنا يدخل رجل ذو هيبة، وبيده سيف يشهره في وجوههم ويعنفهم، ليتضح فيما بعد أن الرجل هو القائد (يوسف بن تاشفين)،

٣١- المصدر السابق، ص (٧٢-٧٣).

حيث يقول لهم:

«الرجل: كفى كفى.. أنتم تتحاربون والعدو يعد العدة للانقضاض عليكم واحدا تلو الآخر؟! لا يستطيع أحد منكم أن يقاوم الأعداء بمفرده.. قوتكم في اتحادكم.. قوتكم في نبذ الخلافات بينكم.. قوتكم في تعاونكم في جميع المجالات التي تعود بالنفع علينا جميعا. اعلّموا أنه لن يتوقف عدوكم عن قتلكم وسلبكم واحتلال أرضكم إلا إذا توحدتم وجاهدتم. لكنكم في واقع الحال تفرقتم وأصبحتم تقاتلون بعضكم. تتقاتلون فيما بينكم والعدو متربص بكم دولة دولة وفردا فردا. ومن الغلط أن نرحل أو نهجر أو ننهزم. لا، لقد استشرت الأعيان والفقهاء وأيدوني، وهم يساندونني في الدفاع عن الأندلس، والجهاد في سبيل عزتها ووحدتها. (...).

«يقوم ملوك الطوائف ويقربون كرسيا ليوسف بن تاشفين ويقول أحدهم»:

أحد الملوك: نحن جميعا معك.

ابن عباد: يا إخوتي، لقد سبق لي وتحالفت مع الفونسو ملك قشتالة ضد أخوتي جميعا، وأعلن لكم الآن بأنني الساعة نادم ندما شديدا لأن الفونسو خان العهود التي وقعنا عليها، وهددني، وهدد إخوتي في الدين جميعا»^(٣٢).

وحيثما يتحدث الشاهد الذي يأخذ هنا دور الراوي أيضا عن يوسف بن تاشفين فإنه يصفه بأنه موحد القطرين، فبعد أن وحد الأندلس التي كانت طوائف متفرقة، قام بتوحيدها مع المغرب، ثم تمكن من هزيمة الأسيبان في معركة الزلاقة، ثم تحيلنا الأحداث على قصر الحمراء في الأندلس في شهر محرم سنة ٨٩٧ هـ الموافق نوفمبر ١٤٩١ م، حيث مجلس أبي عبد الله في القصر، بينما يتجول في

٣٢- المصدر السابق، ص (٧٨-٧٦).

المجلس عدد من الوجهاء والقادة والحجاب، وكل اثنين أو ثلاثة يتحدثون مع بعضهم بعضاً، وتظهر على وجوههم علامات الانفعال، فهم ينتظرون مع الملك أبي عبد الله مندوب الأسبان (زافرة) الذي سيحمل لهم رسالة من الأسبان الذين يحاصرون غرناطة، حيث تتضمن بنود اتفاقية سلام بين الطرفين، وحينما يظطلع على بنود الاتفاقية يجد أنها اتفاقية مذلة، ورغم ذلك نجده يرضخ لمطالبهم حيث يدعمه في موقفه الوجهاء والقادة الذين يتواجدون في مجلسه باستثناء (أبي الغسان) الذي ينحاز إلى المقاومة، وأثناء ذلك تدخل والدته الملك متجهمة، حيث تنظر إلى ابنها الملك وهي تدور حوله وكأنها تستصغره:

«والدة الملك: تستسلم؟! تستسلم?!»

الملك: لا يا والدتي.. أنا سأخذ رأي قادة المجلس.

والدة الملك: من هم قادة المجلس؟ هؤلاء؟! (...). أين عمك وعضدك وسندك؟! لقد اغتالته الأيدي الأثمة لتفسح الطريق لمرور وثيقة الاستسلام في ساعة النحس هذه..

أرى ردهات الحمراء موحشة.. مهجورة.. وقد انطفأت أنوارها..

يا للآلم انطفأت أنوار الحمراء!«^(٣٣).

لكن أبا عبد الله يوقع اتفاقية مذلة مع الأسبان برعاية ملك روما، حيث يسلم بموجبها القلاع والحصون للأسبان، وضمناً لسلامة تنفيذ بنود الاتفاقية يقدم أبو عبد الله ملك غرناطة إلى الأسبان خمسمائة شخص من أبناء وبنات عليّة القوم في المدينة وضواحيها، وذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد، مصطحبين معهم الحاجب (يوسف بن قماشة) ليكونوا جميعهم رهائن حتى يقوموا بتسليم القلاع

٣٣- المصدر نفسه، ص (٨٩ - ٩٠).

والحصون، وحينما يدخل أبو عبد الله إلى غرفة نومه نجده يجمع حاجياته، وفي هذه الأثناء تدخل عليه والدته:

«والدة أبي عبد الله: إلى أين إن شاء الله.

أبو عبد الله: إلى المغرب.

الوالدة: إلى المغرب؟

هكذا تترك ملكك وملك أجدادك وتراث العرب

والمسلمين وتنهزم.

أبو عبد الله: ليس في اليد حيلة، والأخطار تحيق بنا.

الوالدة: كان عليك أن تدرك بأن الأخطار التي تهدد ملكا من عدو لا يرحم، وهو قابع بين أسوار قصره المنيع، لهي أكبر وأخطر مما يتعرض له هذا الملك من أخطار لو كان في خيمته الحربية في ميدان القتال. لا حول ولا قوة إلا بالله. أنظرنني.. أنا عائشة الحرة.. أنا ملكة، زوجة ملك، وأم ملك.. أنا امرأة حرة، عزيزة قومي، وقومي أعزة أمتي.. وأمتي أعز وأخير أمة أخرجت للناس.. أنظرنني.. ماذا تراني الآن؟ غير امرأة ضائعة محطمة.. مستعدة لرحيل المنافي..

أبو عبد الله: ماذا كان في استطاعتي أن أعمله وما عملته؟»^(٣٤).

إن حالة الانكسار تتمثل جلية هنا من خلال أبي عبد الله، وهذه الحالة تحيلنا على حالة الانكسار عند الإنسان العربي رئيسا ومرؤوسا، وكأما القاسمي هنا يبصرنا بحقيقة الواقع الذي نعيش، إلا أنه يبقى الأمل من خلال شخصية الأم التي تمثل الحرية والصمود والعطاء والتحدي، وهي في موقفها من هروب ابنها

٣٤- المصدر السابق، ص (١٠٢-١٠٣).

إنما تؤكد على استنكارها وازدراءها لهذا الموقف لأنه لا يتوافق بالضرورة مع شيم الرجال، وحينما يبكي حاله تخاطبه قائلة:

«الوالدة: أتبكي؟ هدى من روعك، وتذكر أن الشهامة من خصال الملوك والأمراء العرب والمسلمين الذين لا يليق بهم إطلاق العنان لمشاعر الآمهم وحرزهم كما يفعل الغوغاء. (يرتفع صوت أبي عبد الله بالبكاء الشديد).

الوالدة: إذن ابك، مثل النساء، ملكا مضيعا.. لم تحافظ عليه.. مثل الرجال»^(٣٥).

وبعد الرحيل المذل لأبي عبد الله من غرناطة تسوقنا الأحداث إلى ولادة المقاومة من خلال ظهور مجموعة من الرجال المتخفين الذين ينتظرون (سيدة البشرات) التي سميت بهذا الاسم لما قدمته في معركة البشرات التي تكبد فيها الأسبان خسائر كبيرة، وأثناء ذلك تزودهم سيدة البشرات بما أحضرته معها من سلاح، حيث تخرج من اللفة التي أحضرتها بعض البنادق من الطراز القديم وسكين، حيث تعطيهم البنادق وتحتفظ بالسكين للدفاع به عن نفسها وحينما يكتشف العدو أمرها ويتم القبض عليها، نجده يحاول انتزاع اعترافاتها حول المقاومين بالقوة، وبعد أن تتعرض للتعذيب يتم إحضارها للقائد، حيث تطلب منه أن يفك وثاقها كي تعترف، وحينما يفعلون ذلك تفاجئهم بإخراج السكين الذي معها وقيامها بقطع لسانها وقذفه في وجه القائد كي لا تفشي أسرار المقاومة.

إن المسرحية تشكل دعوة لقراءة التاريخ واستيعابه، وقد عالج القاسمي ذلك مستندا على نظرية المسرح الملحمي، حيث استخدم أساليب الراوي الذي يقوم برواية الأحداث والتعليق عليها والذي يمثله الشاهد، وكل تلك الأحداث قد عبرت عن قضية سياسية ذات خلفية تاريخية ليقدمها القاسمي للمتلقي ويدفعه

٣٥- المصدر السابق، ص (١٠٣-١٠٥).

إلى المحاكمة العقلية المنطقية لتلك الأحداث لنقل مشاعره إلى حالة من الوعي وتوجيهه إلى اتخاذ موقف فكري، «وهو بهذا يتجاوز الوعي التاريخي ويقدم مسرحاً للهوية، سماته تقديم ما في التراث من أجل مسرحه الحاضر، والأساس هو المستقبل والخوف منه، أو عليه، ولذلك فإنه يتخلى فنياً عن الزخرفة وبهرجة الصنعة. وتتجه مسرحياته في بساطة إلى الشكل التسجيلي، مما يفرض ذلك على لغته الكثافة والاختزال والاحتشاد، ومما يتناسب أيضاً مع الإيقاع المتسارع للمشاهد المتلاحقة، وكأنه استعار تقنية السينما»^(٣٦)، وهو في مسرحياته يحاول خلق الدهشة لدى المتلقي، واستفزاز عقليته وإيقاظ حواسه وتوجيهه نحو المشاركة العقلية بما يعرض أمامه من أحداث وذلك لاتخاذ موقف نقدي إزاء ما يحدث، مطالباً إياه بالثورة لإحداث التغيير الاجتماعي والسياسي للسلبات التي يتشكل موقفنا النقدي إزاءها.

الوثائق التاريخية في مسرحية (الواقع صورة طبق الأصل) عام ٢٠٠١م:

جاءت مسرحية (الواقع .. صورة طبق الأصل) لتصوير أحداث قضية من القضايا الهامة التي عاشت في الوجدان العربي والإسلامي، حيث تناول المؤلف في مسرحيته الأحداث المرتبطة بالحملة الصليبية على بيت المقدس. وبالعودة إلى التاريخ ومعطياته نجد أنه «بعد أن تمكن الخليفة عمر بن الخطاب من فتح القدس ودخولها سنة ١٦هـ / ٦٣٧م، آلت أمور المدينة فيما بعد إلى عدد من الخلافات الإسلامية المتناحرة من عباسيين وطولونيين، ومن ثم ظهور الاخشيديين ثم الفاطميين الذين احتلوا مصر وفرضوا سيطرتهم على القدس إلى أن تمكن التركمان من طردهم منها سنة ٤٦٥هـ، ونتيجة لثورة المقدسيين على التركمان قام حاكمهم (أتسز بن أوق الخوارزمي) بقتل ثلاثة آلاف شخص منهم مما دفع حاكم

٣٦- صبري، عبد الفتاح، التاريخ والواقع في مسرح د. سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ٢٠٠٧م، ص (٨١٨٠).

دمشق السلجوقي (تتش) إلى اقتحام القدس وقتل أتسز، لكن الفاطميين بقيادة (الأفضل الجمالي) تمكنوا من استرداد القدس من السلاجقة سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨ م إلى أن جاء الصليبيون وحاصروا المدينة واحتلوها سنة ٤٩٢هـ^(٣٧).

واحتل الفرنجة القدس وعاثوا بها فسادا، حيث استطاعوا - وبعد حصارها ما يقرب من أربعين يوما أن يشقوا طريقهم إلى داخل المدينة، وهرب المقاومون داخل الأزقة الضيقة. ويؤكد المورخون أن «مذبحة فظيعة أودت بكل سكان المدينة حيثما وجدوا، ولجأ كثير من الناس إلى الحرم الشريف على أمل أن تحول حرمة المكان دون قتلهم، ولكنهم لوحقوا وذبح ما يقرب من عشرة آلاف منهم، وقد قدرت أعداد من قتلوا داخل أسوار المدينة بنحو سبعين ألفا، وأحجم الفرنجة عن قتل العلماء والوجهاء في البداية أملا في الحصول على المال فدية لهم، لكنهم عادوا لقتل عدد كبير منهم»^(٣٨).

ومع ظهور عماد الدين زنكي بدأت تلوح في الأفق بشائر النصر حينما نجح بأن يسترد بعض المراكز الحصينة التي كانت بيد الصليبيين، وكان من أهمها إمارة (الرها) وهي أول إمارة أقامها الصليبيون في الشرق الإسلامي، وقد أعاد هذا النصر للمسلمين الثقة بالنفس وخلصهم من حالات الإحباط التي وصلوا إليها بعد سلسلة الهزائم، واستبشروا بأن تحرير بيت المقدس لم يعد بعيد المنال، وبعد استشهاد عماد الدين زنكي غدرا من قبل الفرنجة، تسلم الحكم من بعده ابنه نور الدين، ثم هيأت الأقدار للسلطان صلاح الدين الأيوبي تسلم زمام السلطة، حيث مضى إلى ترتيب الدولة وتدعيم بنيانها من الداخل بتوحيد الفرقاء استعدادا لتحرير ما تم احتلاله من الأرض، «ووجد صلاح الدين من الحكمة أن يتظاهر

٣٧- أنظر. العسلي، كامل، القدس في التاريخ، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩ م.
وأنظر. العارف، عارف، الأعمال المقدسية الكاملة المنفصل في تاريخ القدس، المجلد الأول، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩ م.

٣٨- العسلي، كامل، القدس في التاريخ، ص ١٧٦.

أمام العدو بالمسألة والمهادنة، فعقد معه صلحا لمدة عامين (٥٧٦هـ / ١١٨٠م)، دأب خلالهما على تجميع القوى وحشد الطاقات، وكذلك تعبئة الموارد وإعداد الجيوش»^(٣٩).

وسارت الأحداث نحو المواجهة فالتقى الطرفان عند مشارف قرية حطين الفلسطينية القريبة من مواقع الصليبيين في ظاهر عكا، حيث أجهز عليهم صلاح الدين في معركة حطين الخالدة التي ردت للعرب والمسلمين هيبتهم وأرضهم وأماكنهم المقدسة، وبعد أن فرض صلاح الدين شروطه على الفرنجة، دخل على رأس جيشه المدينة المقدسة في يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ / الموافق ١٥ تشرين الأول ١١٨٧م.

إن هذه الأحداث التاريخية بتشعباتها قد بقيت حاضرة في الوجدان العربي، ولم تغب عن منجزات العرب شعرا ونثرا نظرا لما تحمله بيت المقدس من مكانة عظيمة عند العرب والمسلمين. وحينما يختار القاسمي هذا الحدث التاريخي إنما يختاره من منطلق إيمانه بعدالة القضية التي يدافع عنها، وحتى يقدم قراءة موضوعية للتاريخ نجدده يختار شخصياته وأحداثه من تلك الوقائع التي لا بد وأنها قد شكلت تراكما معرفيا وإبداعيا حمل في طياته عمليات تفاعل وتلاقح أثرت المجتمعات العربية المتعاقبة، وبذلك جاءت شخصيات القاسمي المسرحية لتتوزع بين: عدد من عامة الناس، اثنين من المغاربة، مجموعة من البطارقة، مجموعة من رجال ونساء شيباً وشباباً وصبية، مجاميع من رؤساء الكنائس والقساوسة والأمراء والجنود والرجال والشيوخ والوجهاء والقضاة، وكذلك شخصيات من التاريخ من بينها: البابا أوزبان الثاني، والخليفة المستظهر بالله، والخليفة المستعلي بالله، والقائد صلاح الدين الأيوبي وغيرهم..

٣٩- الدقاق عمر، أصداء حطين وصلاح الدين في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٢م، ص ٦٩.

وقد كتب (القاسمي) في مقدمة المسرحية: «لقد مرت بالأمة الإسلامية فترات أشد قسوة مما نحن فيه، فلتكن هذه المسرحية دافعاً لعدم اليأس، وحافزاً نحو التوحيد والنضال..»^(٤٠)، وهذه المقدمة تحيلنا منذ البداية على وعي المؤلف بالتاريخ والعبر المستفاد منه، وإمكانية أن يكون هناك تماثل بين فترات زمنية من تاريخ الأمة، كأنما التاريخ يعيد نفسه من جديد، وهو هنا يريد تقديم إعادة قراءة للتاريخ ضمن مستويات واعية في ضوء المستجدات المعاصرة، حيث يمكن من خلال ذلك أخذ العبرة واستلهاهم حالات الوعي التي تمكن من التعامل مع الواقع، من هنا فقد اختار القاسمي مدينة القدس مكاناً للأحداث التي تكون بدايتها منذ عام ٤٨٦هـ الموافق ١٠٩٣م ولغاية ١٢٤٤م، وهي مساحة زمنية شاملة حافظ المؤلف فيها على وحدة المكان معبراً عن الأحداث الدرامية من خلال صياغة منسقة.

تبدأ الأحداث حينما «يدخل إلى المسرح رجلان، أحدهما بطرس الناسك، مسيحي، رجل ضئيل، قصير القامة، داكن اللون بوجه قبيح يشبه وجه الحمار، يسير حافي القدمين وقد ارتدى ملابس رثة. والآخر المضيف لبطرس، وهو يهودي بشعر يتدلى على طرفي وجهه»^(٤١)، حيث نلاحظ أن هناك نوايا خبيثة تجمعهما، تستهدف في حقيقتها الوجود الإسلامي في القدس وذلك من خلال العمل على طلب النجدة من ملوك وأمراء الغرب.

وأثناء ذلك يحيلنا المؤلف على واقع المسلمين في المشرق والمغرب العربي من خلال حديث (الشيخ محمد) - متعهد المغاربة زوار بيت المقدس - مع المغاربة (أحمد) و (علي)، فبينما يتحدث (أحمد) عن انتصارات (يوسف بن تاشفين) في المغرب، وعبوره إلى الأندلس بخمسة وعشرين ألف مقاتل، يصور لنا (الشيخ محمد) الحال في المشرق العربي بفوضاه السياسية والاقتصادية

٤٠- القاسمي، سلطان بن محمد، الأعمال المسرحية - الواقع .. صورة طبق الأصل، ص ١٢٧.

٤١- المصدر نفسه، ص ١٣٤.

والعقائدية نتيجة للخلافتين المتناحرتين في بغداد والقاهرة، ونتيجة لاستغلال الحكام وتسلطهم على شعوبهم.

وفي مواضع أخرى من المسرحية يصور المؤلف حالات التسامح الديني التي يتصف بها المسلمون وحالات الحقد التي يتصف بها أعداؤهم من النصارى واليهود، فها هو (الشيخ محمد) يتعرض لضربة من أحد الرجال فتدمى جبهته، بينما هو يحاول الدفاع عن (بطرس) الذي كان يتجسس عليهما، وحين يحتل الصليبيون القدس يوم الجمعة ٢٢ شعبان من عام ٤٩٢هـ، الموافق ١٥ يوليو عام ١٠٩٩م، تظهر حالة الحقد واضحة حينما يدرج الجنود بأقدامهم جثة كانت ملقاة على طرف المسرح، ثم ما يلبث أن يجلس صاحب الجثة قبالة (بطرس) وإذا به (الشيخ محمد) متعهد المغاربة في القدس وهو يقول:

«الشيخ محمد: بطرس.. أنا شيخ محمد الذي دافع عنك عندما كنت في القدس.. أنا الذي سال دمه لكي يحميك.. أنسيت بهذه السرعة؟!.. ويشير بيده إلى علامة أثر الجرح الذي أصاب جبهته وهو يدافع عن بطرس..»

بطرس: شيخ محمد، هاهاهاها.. (بطرس يشرب من قنينة النبيذ، وبعد أن يملأ فمه يمجه على وجه الشيخ محمد.. يتزاحم الجنود ويصبون قناني الخمر على الشيخ محمد وهو يردد:)

الشيخ محمد: أستغفر الله.. أستغفر الله.. أستغفر الله.

الجنود يتدافعون، وكل واحد منهم يقول:

الجنود: أنا أقتله.. أنا أقتله.. أنا أقتله..

يتقدم بطرس ويأخذ سيف أحد الجنود وكأنه يدافع عن الشيخ محمد وهو

يقول:

بطرس: لا لن يقتله أي واحد منكم. (...) أنا الذي سأقتله بنفسى ..

يسقط الشيخ محمد ويتحلق الجنود حول جثته حاملين بطرس وهم يرقصون ويقهقهون..»^(٤٢).

وبعد ما حل بالمسلمين من فاجعة هرب بعضهم إلى دمشق، حيث اصطحبهم قاضي قضاة دمشق (أبو سعد الهروي) للذهاب إلى بغداد للقاء الخليفة العباسي (المستظهر بالله)، فما أن نقلوا له وقائع المأساة التي عاشوا فصولها قبل أشهر حتى أعلن عن حزنه الشديد وتعاطفه لما جرى في القدس، لذلك قرر تشكيل لجنة من ستة من أصحاب المناصب الرفيعة في البلاط وتسميتها لجنة الحكماء للتحقيق في تلك الأحداث المفجعة مما أثار (أبو سعد الهروي) لعدم رضاه عن القرار الذي اتخذته الخليفة، وحينما بدأ بالبحث عن خليفة أو قائد يمكن له أن ينقذ القدس وأهلها، لم يجد (الهروي) أحداً منهم بسبب حالات الضعف وانشغالهم بالحروب الداخلية، ففوض الأمر لله.

ولا تختلف قصة (الهروي) مع الخليفة العباسي (المستظهر بالله) عن قصة القسيس مندوب المسيحيين في القدس مع الخليفة الفاطمي (المستعلي بالله) في القاهرة في ١٧ صفر سنة ٤٩٥هـ، الموافق ١٠ ديسمبر عام ١١٠١م، حينما دخل القسيس - وهو يحمل صليباً - على الخليفة وصافحه، بينما يجلس حوله وجهاء القاهرة:

«القسيس: أيها الخليفة لقد جئنا لكي نخلص القدس من هذا الاحتلال البغيض.. الذي قام به الفرنجة ضد الديار المقدسة.

المستعلي بالله: لقد حاولنا التفاهم مع ملك الإغريق، فأخبرنا بأنه لا يمارس على الفرنجة أي رقابة، وأن هؤلاء الذين احتلوا فلسطين يتصرفون لحسابهم

٤٢ - المصدر السابق، ص (١٥٥ - ١٥٦).

الخاص، ويسعون إلى إقامة دولتهم الخاصة..»^(٤٣).

وإزاء حالة الضعف التي اتصف بها الموقف العربي أمام ما حل بالقدس، تبدو دويلات الأمة الإسلامية ممزقة وفي صراع دائم فيما بينها، حيث يظهر الأخ وهو يستبيح حرمة أخيه، وتستحوذ أطماع السلطة وشهوات السلاطين في تلك الدويلات المتناثرة والممزقة، فينصب الأخ العداة لأخيه، ويناهض عليه أعداء الأمة.

وبعد ثمان وثمانين سنة من احتلال الفرنجة للقدس، لاحت في الأفق بشائر النصر بعد توحيد الأمة والقضاء على الفتن والتمزق من قبل القائد (صلاح الدين الأيوبي)، الذي بدأ في السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣هـ، الموافق الثاني من أكتوبر عام ١١٨٧م بقصف مواقع الفرنجة في مدينة القدس بقذائف المنجنيق، وبقي كذلك إلى أن سحق الصليبيين في موقعة حطين، وبعد انتهاء المعركة وتحرير بيت المقدس عبر (صلاح الدين) عن أخلاق الإسلام وسماحته، بعد أن دخل عليه بعض الجنود المسلمين، وقد أسروا عدداً من قادة الفرنجة الذين ركعوا على الأرض أمام صلاح الدين:

«صلاح الدين: نصارى القدس يسمح لهم بالإقامة في البلاد.. وبالتمتع بحقوقهم المدنية كاملة.. هل تعلمون أيها القادة، إنهم كانوا يرأسلونني ويطلبون مني تخليص القدس من الفرنجة؟!، أما الفرنجة واللاتين غير المحاربين، الذين يرغبون في البقاء في فلسطين فيجب أن يقيموا فيها بوصفهم رعايا. أما المحاربون فيجب أن يرحلوا عن فلسطين، ولهم علينا سلامة الوصول بحراسة جنودي إلى الساحل، وعليهم فدية.. (...). فمن عجز عن أداء الفدية أخذ أسيراً، ويجب أن ترحلوا خلال أربعين يوماً.. (...). (لقادته) أيها القادة.. تعالوا لأوصيكم بالترتيبات

٤٣- المصدر السابق، ص (١٦٠ - ١٦١).

التي يجب أن تتخذوها لإدارة مدينة القدس (...)، عليكم بالمحافظة على كل بيت من النهب، وألا يصيب أي إنسان أذى.. وعلّيكم حراسة الطريق وأبواب المدينة.. وعلّيكم حراسة المسيحيين من أي اعتداء قد يصيبهم.. وعلى قادة الفرق توزيع المال والدواب على المرضى والمسنين والمحتاجين من الفرنجة»^(٤٤).

ولا تقف أحداث المسرحية عند ذلك، بل إن المؤلف يصور لنا- وبعد اثنين وثلاثين عاماً من تحرير القدس على يد (صلاح الدين)- حالة جديدة من التردّي العربي، بعد أن يقوم السلطان (الكامل) سلطان مصر والشام بإرسال رسوله الأمير (فخر الدين يوسف) إلى شمال الشام للتفاوض مع إمبراطور من الفرنجة كان قد وصل إلى هناك، إذ إنه قبل ثماني سنوات، عندما احتل الفرنجة دمياط، تنازل (الكامل) عن فلسطين بأكملها لهم مقابل الجلاء عن دمياط، لكن (الكامل) حاربهم عندما رفضوا عرضه، لأنهم كانوا يطالبون بأكثر من فلسطين، وهزمهم، ورغم ذلك وقع السلطان (الكامل) معهم اتفاقية سلام تم بموجبها تسليم مفاتيح القدس لإمبراطور من الفرنجة من قبل قاضي نابلس (شمس الدين)، مما أثار احتجاج أبناء المدينة المقدسة من المسلمين، ومع الأيام يشعل أهالي القدس والمسلمون الخوارزمية ثورة جديدة يتم بموجبها تحرير المدن وطرد الفرنجة إلى بلادهم ليعلو بذلك صوت الحق من جديد.

إن القاسمي يريد من خلال مسرحيته أن يوثق للواقع من خلال استدعاء الماضي، ضمن أجواء مفعمة بالرموز والدلالات، وقد نجح في اقتناص اللحظة التاريخية في التجربة الفنية، لتفكيكها أو استغلالها وإعادة بنائها، للإسقاط على الحاضر وربما على المستقبل أيضاً، «ذلك أن المسرح التسجيلي يضع المتلقي أمام الحقائق التاريخية - وهذا ما فعله القاسمي - حتى نتعلم ولا نسقط مثل غيرنا، وحينما ننظر إلى أعماله فإنه يتضح لنا أن التاريخ يتحول إلى ملحمة وتعبيرية،

٤٤- المصدر نفسه، ص (١٨٢ - ١٨٣).

ومسرح داخل المسرح، وتجارب نفسية واجتماعية تؤكد على ضرورة التحول بمرايا الذات إلى مرايا المجتمع، ولئن كان الكاتب حريصاً على الوثائقية في ما يكتبه، فقد نجح في الابتعاد عن المباشرة والخطابية الفجة، بنفس قدر نجاحه في توظيف الراوي في النص، لتجسيد التوثيق وربط الأحداث وكسر الإبهام. مما شكل بعداً فنياً وسياسياً لافتاً^(٤٥)، وهو بذلك إنما يقدم من خلال مسرحياته جميعها رسائل سياسية تستدعي التعلم من دروس التاريخ، ضمن منهجية يوازن من خلالها بين المادة التاريخية وجماليات الدراما وذلك باعتماده الوثائقية والملحمية في عملية البناء الدرامي.

لقد فرضت طبيعة البناء الملحمي والوثائقي تعدداً في الأزمنة والفضاءات الدرامية، ولأن الضرورة الدرامية تطلبت الفعل لا السرد نظراً لقدرة الفعل على التأثير، فقد لجأ القاسمي إلى تقنية المسرح داخل المسرح، فاستحضر فضاءات بعيدة داخل فضاء الحدث الرئيسي، وقد ظهرت تقنية الراوي من خلال شخصية الهاتف الذي عمل على تحديد الزمان والمكان في بداية كل مشهد، والقيام بالسرد التاريخي للأحداث، والإعلان عن مرور فترات زمنية محددة أو غير محددة، والتعبير أحياناً عن انفعالاته، ثم إن البناء الدرامي قد جعل من المتخيل يتداخل مع ما هو تاريخي واقعي، كالتقاء شخصيات تاريخية مع أخرى خيالية لتقديم صورة واضحة المعالم عن الواقع العربي الاسلامي في تلك المرحلة التاريخية^(٤٦).

وجاء نص (الواقع .. صورة طبق الأصل) ليقدم لنا خطة درامية متعددة القراءات، تتفاعل عناصرها من أحداث وشخوص وأمكنة وأزمنة لتحقيق إنجاز درامي يمكن أن يؤدي دوراً فكرياً وجمالياً، «المؤلف تعامل مع تلك الاشرطات

٤٥ - أنظر. الخواجه، هيثم، محطات في المسرح العربي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٢م، ص (٨٦).

٤٦ - اليوسف، أكرم، اللغات الدرامية ووظائفها في مسرح الدكتور سلطان القاسمي، الهيئة العربية للمسرح، الشارقة، ط١، ٢٠١٢م، ص ١١٤.

التاريخية وأطرها وهو يتحسس ذلك الفضاء الفني المشحون بالحس الجمالي وبيتدع تلك الصور المسرحية بفعل الذهنية الفنية الشخصية للمؤلف والمنتمة إلى عمق التاريخ والحضارة العربية الإسلامية من جهة، والمنفتحة على حتمية الواقع ومهيمناته من جهة أخرى»^(٤٧)، وهو بذلك أراد أن يتعرض لكل ما هو جوهري في الواقع الراهن من خلال إدراك إشكالات العصر الكبرى وتناقضاته إدراكاً عميقاً، متجاوزاً في ذلك المستوى العادي والمكرر إلى المستوى الإبداعي والجمالي الذي يمكن من خلاله مجابهة الواقع والتغلب عليه.

إن (القاسمي) قد وظف التاريخ الذي تلتصق أحداثه بوجودان الجماهير العربية، وقدمه لنا ضمن منهج توثيقي نقدي ملتزم يقوم على الجدل، ليعيد تذكيرنا بتلك الأحداث من جديد في سبيل التأسيس لوعي الجماعة ومدركاتها للأحداث اليومية والمستقبلية، فلا يمكن لأحد أن يحرر نفسه أو يحرر الآخرين دون موقف جماعي، لذلك فقد منح أبطاله الذين استقدمهم من التراث بعدا معاصرا في سبيل أن يجعل امتدادا لمآسيه باتجاه المستقبل القادم، لأن الفرق بين صورة البطل التاريخي وصورة البطل التراجيدي تحيلنا على قراءة الحاضر في ضوء الماضي، هذه القراءة التي تمنحنا الأمل في الانتصار، لذلك فقد استثمر كل معطيات القصص التاريخية والدينية من أحداث ووثائق وقيم فكرية وجمالية لتحقيق ما يخدم مشروعه الثقافي القائم على خلق مسرح عربي يستلهم من التراث مادته الأدبية.

- نتائج البحث: أسفر البحث عن مجموعة من النتائج هي:

- ١- جاءت تجربة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي المسرحية في مسرحه الوثائقي التاريخي امتدادا لتجارب المسرح السياسي العالمي، وامتدادا لتجارب مسرحية عربية اشتغلت على تأصيل المسرح العربي، وقد وجه اهتمامه نحو

٤٧- مجموعة من الكتاب، شاهد على التاريخ، ص ١٩٦.

القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهم الإنسان العربي في محاولة لإيجاد حل يحقق استقلالية الشعوب وحريتها، فطرح من خلال مرجعيته التاريخية تحديات العصر الراهن ببصيرة واعية هدفها الوقوف على مكامن الضعف والقوة في مسيرة الأمة.

٢- حاول القاسمي إعادة قراءة التاريخ من أجل قراءة الذات العربية التي تحفل بالمعاناة والألم، وهو لم يعتمد كما في المسرحية التاريخية على آليات المسرح التقليدي من حيث الشكل، ولم يكن اهتمامه يقوم على عرض الماضي البعيد فقط، وإنما الانتكاء على الماضي البعيد للوقوف على الحاضر متجاوزا إلى حد ما البناء التقليدي بوصفه يخلق الحالة السكونية ضمن المسرحية، ورسخ المشاهد المستقلة التي تشكل في مجملها العام طبيعة القضية التي يتم تناولها، وذلك لإعادة ترتيب الأحداث وتقديم الحقيقية منها وذلك من أجل إحداث التغيير في المجتمع.

٣- تهتم المسرحية التاريخية بتقديم عالم متخيل وهمي بهدف تحقيق العبرة للمتلقي، لكن المسرح الوثائقي يحيل المتفرج على التاريخ الحقيقي والواقع المعيش للتحريض على الثورة، وهذا ما يبدو واضحا في مسرح القاسمي من خلال اشتغاله على زمن الأحداث والامتداد بها من الماضي إلى الحاضر، مع التخلي فنيا عن الزخرفة وبهرجة الصنعة، والاتجاه نحو التكثيف والاختزال في اللغة، مما يعزز بناء الشكل التسجيلي، ويتناسب أيضا مع الايقاع المتسارع للمشاهد المتلاحقة الذي يشبه تقنية السينما.

٤- حاول القاسمي في مسرحه خلق الدهشة لدى المتلقي، واستفزاز عقليته وإيقاظ حواسه وتوجيهه نحو المشاركة العقلية بما يعرض أمامه من أحداث وذلك لاتخاذ موقف نقدي إزاء ما يحدث، مطالبا إياه بالثورة لإحداث

- التغيير الاجتماعي والسياسي للسلبيات التي يتشكل موقفنا النقدي إزاءها.
- ٥- عبر القاسمي من خلال مسرحه عن ثنائية الأصالة والمعاصرة وذلك بانتقاء أفكار أو مواقف أو قيم فكرية تاريخية، ودمجها في أحوال العرب الراهنة التي تشكلت بفعل الوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية التي فرضتها المشكلات والأزمات المتعاقبة عبر التاريخ، ورسخ منهجه في إعادة قراءة التاريخ من أجل التذكير بمجرياته، وإعادة توثيقه في عقلية الإنسان العربي الذي نسي أو بات يتجاهل تلك الوقائع، وقد جاءت مسرحياته ذات توجهات تاريخية - وثائقية رصينة، عبر الخوض في غمار البحث في إحداث رئيسة مرت في حياة الأمة العربية الإسلامية.
- ٦- تشابهت نصوص القاسمي من حيث مغزاها الوثائقي في إسقاط الحقائق التاريخية على الواقع العربي الراهن، ففي مسرحتي (القضية) و (الواقع) . . صورة طبق الأصل) نجده يوثق للواقع من خلال استدعاء الماضي، حيث يحيلنا على الأحداث المرتبطة بسقوط غرناطة، أو بالحملة الصليبية على بيت المقدس، ضمن أجواء مفعمة بالرموز والدلالات، لاتنفصل في حقيقتها عن الواقع العربي الراهن.
- ٧- نجح القاسمي في اقتناص اللحظة التاريخية في التجربة الفنية، لتفكيكها أو استغلالها وإعادة بنائها، للإسقاط على الحاضر وربما على المستقبل أيضا، ذلك أن المسرح الوثائقي يضع المتلقي أمام الحقائق التاريخية حتى يتعلم منها ولا يسقط مثل من سبقوه، وهو بذلك إنما يقدم من خلال مسرحياته جميعها رسائل سياسية تستدعي التعلم من دروس التاريخ، ضمن منهجية يوازن من خلالها بين المادة التاريخية وجماليات الدراما من خلال اعتماده الوثائقية التاريخية والملحمية في عملية البناء الدرامي.

قائمة المصادر والمراجع

- المصدر

- القاسمي، سلطان بن محمد، الأعمال المسرحية - الواقع .. صورة طبق الأصل، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨ م.

- المراجع العربية:

- ابن زيدان، عبد الرحمن، تراجمي التاريخ في مسرح سلطان القاسمي، في: عاشق المسرح دراسات وقراءات في مسرح سلطان القاسمي، ط ١، اعداد: عبد الفتاح صبري وعصام أبو القاسم، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٢ م.
- ابن منظور، أبو الفضل الأنصاري الخزرجي، لسان العرب، المجلد السادس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١ م.
- أرسلان، شكيب، حكايتنا في الأندلس، دار احياء التراث، بيروت، د. ت.
- الياس، ماري، وحسن، حنان قصاب، المعجم المسرحي، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧ م.
- باكثير، علي أحمد، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، ط ٢، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- الدقاق عمر، أصدقاء حطين وصلاح الدين في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٢ م.
- الخواجة، هيثم، محطات في المسرح العربي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٢ م.

- شيحة، محمد، التوثيق والمسرح - دراسة أولية لملامح الدراما الوثائقية الألمانية في الستينات، مجلة المسرح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ١٢١، ديسمبر ١٩٩٨ م.
- صبري، عبد الفتاح، التاريخ والواقع في مسرح د. سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ٢٠٠٧ م.
- العارف، عارف، الأعمال المقدسية الكاملة المفصل في تاريخ القدس، المجلد الأول، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩ م.
- عبده، عبد الرحمن، نحو تعريف للمسرح التسجيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلة المسرح، العدد ٢٠، نوفمبر ١٩٩٣ م.
- عبيد، محمد صابر، خطاب الهوية من منصة التاريخ إلى عتبة المسرح قراءات في مسرح سلطان بن محمد القاسمي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٤ م.
- العسلي، كامل، القدس في التاريخ، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩ م.
- العيوطي، أمين، مارا - صاد نظرة غربية إلى الثورة الاشتراكية، مجلة فنون، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مسرح الحكيم، القاهرة، العدد ٤٣، يوليو ١٩٦٧ م.
- عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس دولة الطوائف، ج ٣، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- عنبتاوي، عدنان، حكايتنا في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩ م.

- فايس، بيتر، مسرحية أنشودة أنجولا، ترجمة وتقديم. د. يسري خميس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٧٠م.
- فايس، بيتر، مسرحية اضطهاد واغتيال جان بول مارا، ترجمة وتقديم. يسري خميس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، ١٩٩٤م.
- مجموعة من الكتاب، جدل الراهن والتاريخ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٣م.
- مجموعة من الكتاب، شاهد على التاريخ نظرات نقدية في الأعمال المسرحية والروائية للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، اعداد وتقديم. د. يوسف عيدابي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٦م.
- المنيعي، حسن، هنا المسرح العربي هنا بعض تجلياته، منشورات السفير، المغرب، مكناس، ط١، ١٩٩٠م.
- اليوسف، أكرم، اللغات الدرامية ووظائفها في مسرح الدكتور سلطان القاسمي، ط١، الهيئة العربية للمسرح، الشارقة، ٢٠١٢م.

– المراجع الأجنبية:

- N.S.DONIACH, The Oxford English - Arabic Dictionary of current usage, Oxford University Press, London, First Published, 1972.

آليات استثمار النص نحويًا عند
ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) في
شُرْحِه قَصِيدَةَ (بَانَتْ سَعَادُ)
- مُمَارَسَةُ تَبْحَثُ عَنْ تَنْظِيرٍ -

د. لزهر كرشو

جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي

(الجزائر)



ملخص البحث

النص قيمة يثمنها فعل النظر والتدبر والتأويل، وهو فعل مصدره القراءة التي تحوله إلى نصوص من التأويل والإسقاطات التي يوجهها أكثر من قانون، وأبرز تلكم القوانين الوازع التخصصي للقارئ أو المتلقي عموماً. فيصبح فهم القارئ للنص مرهوناً لمقتضيات تخصصه، لا لما يريد منشيء النص توجيهه إليه.

ويمكن أن نسّم هذه القراءة بالقراءة المتوسّلة؛ وهي آلية من آليات استثمار النص، من جهة إنتاجيته لنصوص أخرى، وهي قراءة يُجريها قارئٌ متخصصٌ في ميدان ما، ويحاول من ورائها استغلال النص المقروء وسيلةً حجاجيةً لإنتاج نصٍّ آخر ينقل فيه فنون تخصصه، وخبراته توجيهاً وتقويماً، ولتجسيد هذا المفهوم عرّض هذا البحث تجربة ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) التطبيقية، التي توسّل فيها بنصّ كعب بن زهير لإنتاج نصّ (شرح قصيدة بانت سعاد)، وهو الشرح الذي أفسح لابن هشام المجال واسعاً لبث قواعد تخصصه النحوي، وأدلى فيه بآرائه ترجيحاً وتضعيفاً للمسائل التي يعرّض لها في مُصنّفه.

إنّ تجربة ابن هشام هذه كانت ممارسةً ينقصها اكتشاف الباحثين المعاصرين من ناحية إثرائها بالتنظير المضمّر في تراثنا، وقد لاحظنا في هذا الصدد أنّ الآلية التي انتهجها ابن هشام تجمع بين علم النص ونظرية الحجاج ونظرية التلقي والتواصل، وحاولنا تبعاً لذلك وصف تجربته، التي استثمر فيها النص عن طريق توجيهٍ وصلي نقل فيه مختلف المعاني المعجمية والقواعد الصرفية والنحوية وبعض الإشارات البلاغية، وعن طريق توجيهٍ إيصالي، ساق فيه ما يخالف فيها غيره من النحاة قصد إطلاع طالبي علم العربية وتوجيههم إلى قناعاته ورؤاه، وعن طريق توجيهٍ اتصالي آخر، أراد منه تقويم فهم المتلقين (طالبي علم العربية) عن طريق ترجيح بعض الآراء النحوية عن بعضها الآخر، أو تضعيف بعضها لرجحان بعضها الآخر.

Abstract

Mechanisms of investing the text syntactically in case of IBN HISHAM AL-ANSARI (761 AH) in his commentary of the Poem (Banet Souad) Souad had went away

Dr. Kerchou Lazhar Ben Larbi

The text is usually valued by the act of consideration, reflection and interpretation. It is also an action whose source is the reading which transforms it into texts of interpretation and projections that are directed by more than one criterion, the most prominent of those criteria is the specialized aspect of the reader or the recipient in general. So the reader's understanding of the text becomes subject to the requirements of his specialty, not what the producer of the text wants to direct to him.

We could describe this reading as a suppliant reading, it is one of the different mechanisms of investing the text, in terms of productivity of other texts, it is also a reading done by a reader specialized in a such field, trying to use behind it the readable text as a means of argument to produce another text, in which he conveys the arts of his specialty and his expertise with orientation and evaluation. In order to incarnate this concept, this research paper shows the practical experience of Ibn Hisham Al-Ansari (761 AH) in which he recalled the text of KAAB IBN ZOHAIIR for producing (the poem's explanation of Souad), which gave Ibn Hisham a wide scope to broadcast his grammatical rules and make his views more likely and more vulnerable to the issues presented to him in his work.

The experience of Ibn Hisham was a practice lacking the discovery of contemporary scholars, in terms of enriching it with the tacit research in our heritage. In this regard, we noted that the mechanism adopted by Ibn Hisham combines the science of text, the theory of argument and the theory of reception and communication, and we tried accordingly to describe his experience, in which he invested the text by means of a linking orientation in which he conveyed the meanings of lexicon, grammatical rules, and some rhetorical references, and by means of a conductive orientation, in which he contradicted other scholars in order to inform the students of Arab science and guide them to his convictions and visions, and finally, by means of a communicative orientation, wanting to evaluate the meaning of the recipients (seekers of Arabic knowledge) by weighing some grammatical views on others, or weakening others.

مقدمة

النص فضاء مفتوح للنظر والتدبر والتأويل، ينشأ في أول وضعه على أساس رؤية محددة، وهدف محفوظ، بيد أنه يتفكك من تلك الرؤية، ومن ذلك الهدف إلى رؤى أخرى، وأهداف مختلفة، بعد تلقف القارئ له؛ فيتحوّل ذلك النص الصريح إلى نصوص من التأويل والإسقاط التي يحكمها أكثر من قانون.

فالقارئ مُبدعٌ ثانٍ بعد المبدع المنشئ للنص، والذي يحكم القارئ عموماً هي الزاوية التي يتطلّع منها إلى النصوص، فتجدهُ ينجذبُ صوبها، ولا يحدُّ عن ركنها، وتُصبحُ بذلك نافذةً فهمهٍ مفتحةً عليها لا على غيرها، وهذا لا يعني بحال أن القارئ يشطُّ عن المعنى المقصود للنص من طرف واضعه، بل يعني أنه يفهم ذلك المعنى المقصود من زاويته التخصصية، لا من الزاوية التي يريد منشئ النص توجيهه إليها، فيغدو قصد المنشئ لديه هامشاً، ووازعه التخصصي متناً أصيلاً لقراءة ذلك النص.

سيحاولُ بحثنا هذا أن يُثبتَ ما تقدّمَ عن طريق استدعاء نص تراثي، وقارئٍ متخصص يفصله عن النص زهاء سبعة قرون ونصف، أمّا النص فهو نص البردة الأولى (قصيدة بانت سعاد) لصاحبها كعب بن زهير (ت ٢٦هـ)^(١)، وأمّا القارئُ الشارحُ فهو ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)^(٢)، في كتابه (شرح قصيدة بانت

١- هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، كان من فحول الشعراء هو وأبوه، هو شاعر مخضرم (جاهلية / إسلام) من مزيّنة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه لأبيات قالها لما هاجر أخوه بجير بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم، فهرب، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً، فأنشده في المسجد قصيدته التي أولها (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)، فكساه النبي صلى الله عليه وسلم برّدة اشتراها معاوية بن سفيان بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين... (ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ٢ - ١٩٦٧، ١/ ١٥٣ - ١٥٥، وينظر: أبو عبيد الله المرزباني، معجم الشعراء، تح: فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ط ١ - ٢٠٠٥، ص ٢٧٥، ٢٧٦).

٢- هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، مصري المولد والنشأة، نحوي الشهرة، ولد سنة ٧٠٨هـ، تتلمذ على كثير من النحاة، وتلا على ابن السراج، كان كثير المخالفة لأبي حيان الأندلسي، له عدة مصنفات، منها، مغني اللبيب، أوضح المسالك، شرح قطر =

سعادُ) الذي سنحاول أن نقدّم فيه بطاقةً تعريفيةً في مظانّها قبلَ التطبيقِ، وسببِينَ بحثنا هذا إن شاء الله سَعَةَ التَّنَوُّعِ الاستثماري في النصّ؛ وذلك عن طريق التوجيه التخصّصي (النحوي واللغوي عموماً) في تشكيل الدلالة النصية كما يراها قارئها ابنُ هشامِ الأنصاري، ومن ثمّ نحاول أن نخرَجَ بنتائج تتجاوزُ الموضوعَ المُستشَهَدَ به بآلية القياسِ بالنظائرِ إلى أثرِ الاستثمارِ الدلالي للنصّ على فهمِ النصّ الأصلي، وفهمِ المتلقين له بعد هذا الاستثمار التوجيهي.

إذاً فالمحاولة التي سيخوضها بحثنا هي الكشفُ عن الطريقة التي قرأ بها ابن هشامِ الأنصاري نصَّ البردة الأولى؛ من حيث إن ابن هشامِ الأنصاري هو القارئُ، وهو المتخصّص في علم العربية والنحو، في آن معاً، والنصُّ المقروءُ هو نصُّ شعريٍّ قدّمه كعبُ بنُ زهيرٍ بينَ يدي رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - معتذراً ومستعظفاً، أمّا الخارطة التي سيعتمدها بحثنا فيمكن رسمها في: النصُّ والقراءة المتوسّلة، وآلية استثمار النصّ بالوصل (التوجيه التجريدي)، وآلية استثمار النصّ بالإيصال (الاستدلال الموجه)، وآلية استثمار النصّ بالاتصال (التوجيه التقويمي).

أولاً - مفاهيمُ النَّصِّ والقراءةِ المتوسّلةِ:

سيتناول هذا المحور النظري تقديم مفاهيم فاحصة للنصّ، ومفاهيم متصلة بنظرية القراءة وجمالية التلقي عموماً، مع إبراز القصد من صفة القراءة المتوسّلة.

١ - تعريف النصّ:

سأحاول تقديم جملة من المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للنصّ، وأن أربط معجمية مفهوم (النصّ) مع المصطلح.

= الندى...، توفي سنة ٧٦١ هـ. (ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تخ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢ - ١٩٦٤، ٦٨ / ٢، ٦٩).

١-أ- التعريف اللغوي:

لا تكاد مفاهيم مادة (نصص) تخرج على المعاني التالية: الرفع، والإظهار، وضم الشيء على الشيء، وأقصى الشيء ومنتهاه، وأفضل دليل على ثبوت هذه المعاني معجم (لسان العرب)، الذي جاء فيه: «النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً رفعه، وكل ما قد أظهر فقد نص...، ونصت الظية جيدها رفعتة، ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لترى...، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض...، وأصل النص أقصى الشيء وغايته»^(٣)، ولست أجد شيئاً يمكن أن يجمع هذه المعاني مجتمعة كقمة الشيء ورأسه؛ وقد حاول صبحي الفقي الربط بين تلك المعاني وبين مستويات اللغة (الصوتي، والصرفي، والمعجمي، والدلالي، والنحوي)، مستغلاً المعنى المعجمي في التحليل اللغوي المتعلق بمستويات اللغة؛ حيث يقول: «وكون النص أقصى الشيء ومنتهاه، فهو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها، إذ نعدّ النص ممثلاً للمستوى السادس لمستويات اللغة المتعارف عليها»^(٤).

كما تجدر الإشارة في هذا الصدد أنّ المعجم الوسيط قدّم تعريفاً يقترب من التعريف الاصطلاحي للنص، في مشهد توظيفه لمصطلحات: (صيغة الكلام، المؤلف، المعنى الواحد، لا يحتمل التأويل)، وقد جاء فيه: «النص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو لا يحتمل التأويل»^(٥).

٣- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ٧/٩٧، ٩٨ (مادة: نصص).
 ٤- صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ط ١ - ٢٠٠٠، ٢٨/١.
 ٥- مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، ط ٤ - ٢٠٠٤، ص ٩٢٦.

١-ب- التعريف الاصطلاحي:

من الصعوبة بمكان أن تُحدّد تعريفاً اصطلاحياً جامعاً لمصطلح (النص)، تنسجم فيه كل الصفات التي تستجيب لاستقراء النصوص، وأنماط السياق وطبيعة المواقف التي تتردّد فيه، ومصداق ذلك قول الأزهر الزناد: «وتعريف النص، مثل كلّ تعريف، أمر صعبٌ لتعدّد معايير هذا التعريف ومداخله ومنطقاته، تعدّد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوفر على في ما نطلق عليه اسم (نص)»^(٦)، ولعلّ سعيد حسن البحيري قد تقصّد هذا المقصد في تعليقه على ترجمته لكتاب (مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص) لمؤلفه زتسيسلاف وأورزنيك، في رسم قوله واصفاً صعوبة تعريف (النص): «... ربما لا يوجد إلى الآن أي تعريف تام مطلقاً أعني تعريفاً قاطعاً»^(٧)، ويحاول سعيد حسن البحيري في تعليقاته على هذا الكتاب المترجم أن يجمل تعريفاً للنص، واصفاً محاولة التعريف هذه بالمخاطرة، في قوله: «نفهم تحت النص مكوّناً لغوياً أفقياً، نهائياً، مقصوداً به التطابق لواقعة التواصل المختصة، يصير من خلال الدمج الإنجازي، وأوجه التناظر الدلالية الموضوعية، والترابطات النحوية تتابعا متماسكاً من الجمل»^(٨)، غاية هذا التعريف هو رسم صورة النص من جهة إثبات التماسك النصي عن طريق الترابط الجملي بشكل أفقيّ له نهاية ودلالة موضوعية، داخل إطار تواصلية خاص.

وثمة من يقارب مصطلح (النص) مع مصطلح (النسيج) لغوياً واصطلاحياً، أمّا الناحية اللغوية في مادتي (ن ص ص) و(ن س ج) فتتجلى في أن الأولى

٦- الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ١ - ١٩٩٣، ص ١٢.

٧- زتسيسلاف وأورزنيك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة وتعليق: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، ط ٢ - ٢٠١٠، ص ٦٩.

٨- نفسه، ص ٦٩.

تركيبٌ والثانية ضمٌّ، والتركيب والضم واحد^(٩)، وأمّا الناحية الاصطلاحية فتتماهى مع نظرة نسقية بنيوية، ومصداق ذلك تعريفُ الأزهر الزناد، في قوله: «النص هو نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجتمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح (نص)»^(١٠)، والملاحظ على هذا التعريف نسقيته البنيوية، التي تُنحّي النظرة السياقية للنص جانباً، تلك النظرة السياقية التي تُعنى بالمؤلف وظروف إنتاج النص الاجتماعية والثقافية... الخ، ويدلّ هذا الاختلاف في تعاريف النص على سعة مساحة النص، الذي ما يفتأ يثبت تعصّبه على التطويق بحدٍّ أو التعريف بشكلٍ مطلقٍ.

وعليه أصبح كل علم يعرف النص من الزاوية التي يشتغل عليها موضوع حقله التخصصي والمعرفي، فالدراسات التاريخية السياقية تنظر إليه من زاوية المؤلف وظروف إنتاج النص الاجتماعية والسياسية والثقافية... الخ، وأمّا الدراسات النسقية البنيوية فتركّز على النص كبناء ونسيج داخلي، يتضافر فيه الدال مع المدلول، والرابط اللفظي مع الترابط المعنوي...، أمّا الدراسات المهمة بالتداول والتواصل فتعرّفه بناءً على التلقي والقراءة والتأويل... الخ. ومن أمثلة سلطان التخصص المُلمّي لشكل التعريف ما عرّفت به جوليا كريستيفا النص بمعيار من معايير النصية، وهو معيار التناس، الذي ينتمي إلى النظرة النسقية البنيوية؛ فتقول إنّ النص هو: «ترحال النصوص، وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة من نصوص أخرى»^(١١)، فقولها: (ترحال النصوص) و(تداخل نصي) و... تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة من نصوص أخرى) يؤكد رؤيتها القائمة على التناس، وهو المعيار الذي اتخذته وسيلةً لتعريف النص.

٩- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، ص ١٢.

١٠- نفسه، ص ١٢.

١١- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، المملكة المغربية، ط ٢ - ١٩٩٧، ص ٢١.

إذا حاولنا أن نعرض من كلِّ فلسفة لغوية نظرتها التي ترى بها النصَّ تعريفًا وبيانًا للحدود، فسيطول بنا الأمر في هذا السبيل، وسنجا في ذلك هدفنا الذي حدّدناه من وراء هذا البحث، ولكن على هدي ما قدّمناه يمكن أن نستنتج تعريفًا اصطلاحيًا للنص، يجمع بين الأصل اللغوي، والفروع الدراسية للمنحى السياقي، والتركيز النسقي، والبعد التداولي، قدر المستطاع؛ وذلك أن النص في حقيقته أصل لغوي، ونتاج سياقي، وبنية نسقية، يحكمه بعدّ تداولي تواصلية، وعليه فالنص هو: (منتج فكرة وموقف وسياق، يظهر في نسيج من الإشارات اللغوية لغرض تواصلية قصده مرسل معيّن إلى متلق، من غير تخصيص بطبيعة المقتضى، سواء أكان هذا المنتج كلمة أم رواية من فصول عديدة)، في هذا التعريف راعينا الجانب اللغوي في (يظهر: وهي من الإظهار والرفع) و(نسيج: وهو بمعنى ربط الشيء بالشيء)، والجانب السياقي في (منتج فكرة وموقف وسياق)، والجانب النسقي البنيوي في (نسيج من الإشارات: بمعنى مراعاة الجانب الربطي والترابطي لمكونات النص)، والجانب التداولي التواصلية (لغرض تواصلية قصده مرسل معيّن إلى متلق، من غير تخصيص بطبيعة المقتضى)، والجانب الكمي المتغير بحسب المقام (سواء أكان هذا المنتج كلمة أم رواية من فصول عديدة).

٢- نظرية القراءة وجمالية التلقي:

قد يكون مصطلحا (القراءة) و(التلقي) الأكثر جدارةً بوسم هذه النظرية، بالنظر إلى كثرة الألفاظ (الأسماء والصفات) التي نُعتت بها؛ من قبيل الاستقبال والاستجابة مثلا، من جهة أن المتلقي «هو المستجيب للنص، وهو المستقبل، وهو الفاهم والمتقبل أيضا، وهو المرسل إليه، وهو المخاطب، وهو السامع والقارئ»^(١٢)، أما الأسماء والصفات الأخرى فهي بمنزلة الحقل الدلالي الذي

١٢- محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط ١٩٩٩، ص ٢٧.

يتقاطع مع (القراءة) و(التلقي) في الدلالة العامة والمشاركة بينها، وسأختار لبيان المفهوم مصطلح (القراءة) من بين تلك الألفاظ، لأنه الأنسب - في نظري - لمقاربة النصوص.

٢-أ- مفهوم مصطلح القراءة:

استطاع مصطلح (القراءة) أن يشغل الدارسين في حقل النقد الأدبي المعاصر، وقد تُنوّل هذا المصطلح من زوايا مختلفة، تبعاً لمرجعيات الدارسين الفلسفية وتوجهاتهم الأدبية، مما أدى إلى اختلافهم في تحديد مفهوم (القراءة) تبعاً لتباين رؤاهم.

ومصطلح (القراءة) في أصل معناه اللغوي الجمع^(١٣)، وغير بعيدٍ عنه يقف المعنى الاصطلاحي في حضورِ جامع التّأويل بينهما؛ وذلك أنّ القراءة بوصفها مظهر تلقٍ وتأويل هي جمعٌ بين آليتين: آلية فكّ شفرة النصّ المقروء، وآلية إعادة تكوين النصّ بعد فهمه، ودليل هذا الجمع التعريف الاصطلاحي الذي ما برح المشتغلون بنظرية القراءة يردّدونه، من قبيل أنّها: «فكّ كود الخبر المكتوب، وتأويل نصّ أدبي ما»^(١٤)، كما تُعرّف القراءة أيضاً بأنها: «فكّ شيفرة المكتوب أو المنسوخ أو المقروء اللغوية والجمالية والفكرية، بوصفها مساراً تناصياً واجتماعياً، يجمعُ داخله سياقات إنتاج خارجية أدبية ثقافية وأيديولوجية، في ترابطاتها وتأثيراتها في ظروف التلقي والقراءة، بحيث إنّ النصّ، وهو موضوع القراءة يتواشج ويتفاعل ويتناص مع نصوص القراء القبلية كبنيات خطابية ولغوية وجمالية»^(١٥)، وعليه فالقراءة هي عملية مكوّنة من آليتين متعاقبتين: آلية فكّ شفرة النصّ أو الخطاب

١٣- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٢٨. مادة (قرأ).

١٤- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت (لبنان)، وسوشيريس - الدار البيضاء (المغرب)، ط ١ - ١٩٨٥، ص ١٧٥.

١٥- عمار بلحسن، قراءة القراءة، مدخل سوسولوجي، مجلة التبيين الفصلية، تصدر عن الجاحظية، الجزائر، العدد: ٧- ١٩٩٣، ص ١٣٧.

اللغوية والجمالية والفكرية، ثم آلية تأويل ذلك النص أو الخطاب بالاعتماد على خبرات القارئ السياقية والمقامية والتناسية، وهما الآليتان الكفيلتان ببيان الحضور الجلي لاستجابة القارئ أو المتلقي، والتأثير الفعال للنص في القارئ أو المتلقي.

٢-ب- أهم مبادئ النظرية وأبرز روادها:

بعد طغيان سلطة المؤلف المعتمدة على المناهج السياقية التاريخية، وبعد أن قامت على أنقاضها سلطة النص المعتمدة على المناهج النسقية البنيوية بشرت المدرسة الألمانية بميلاد سلطة القارئ أو المتلقي بدلاً من سلطة المؤلف وسلطة النص، فظهرت نظرية التلقي والقراءة في منتصف الستينيات من القرن الماضي، على يد نقاد ألماني، في ما بات يُعرف بمدرسة (كانستانس)، وكان أشهر روادها هما: هانس روبرت ياوس، وفولفغانغ إيزر. وهي النظرية التي تدعو إلى إعادة الاعتبار للقارئ أو المتلقي؛ لأنه هو المعني المباشر بالفاعل مع النص، وهو الذي يعطي للنص قيمته عن طريق صياغة معناه وتأويله.

تجدد الإشارة إلى أن نظرية التلقي قد استفادت من المناهج النقدية، والحقول المعرفية التي سبقتها، «منها البحث البنيوي والشعرية البنيوية، والتأويلية والظاهرية [ومن أبرز أعلامها] (Ingarden) و (Husserl) و (Ricoeur)، والأرسطية والكانطية والتحليل النفسي، ونظرية الفعل ونظرية التفاعل، والمنهج التجريبي والفلسفة الماركسية»^(١٦)، كل هذه المناهج شكّلت ثراءً معرفياً لنظرية التلقي أو القراءة، وبتفاعلها أضحت القراءة عند أصحاب هذه النظرية فعلاً مركباً من الموروث المعرفي قبلها. ولعل أشهر الأسماء المشتغلة على إبراز مبادئ هذه النظرية اسمان، هما: هانس روبيير ياوس (Hans Robert yauss)، وولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser):

١٦- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المملكة المغربية، ط ١ - ٢٠٠٠، ص ١٠٢.

أما ياكوس (Hans Robert Jauss) فقد اشتغل على قضيتين مهمتين: القضية الأولى تدعو إلى إعادة بناء تاريخ للأدب يقوم على بنية التلقي لا على التسلسل الزمني تبعاً للحقب والعصور، ومفاد هذه الدعوة اختصاراً هي ضرورة التوحيد «بين الأدب والتاريخ... ويتم ذلك بمعياريين، لا غنى لأحدهما على الآخر، وهما: معيار الإدراك الجمالي لدى المتلقي، ومعياري الخبرات الماضية التي يتم استدعاؤها في لحظات التلقي. ذلك أن الخبرات الجمالية التي كشف عنها التعامل مع النص بواسطة القراء في عصور سابقة هي بمنزلة دليل يساند ويغني في سلسلة استقبالات من جيل إلى جيل»^(١٧)، وعليه غير ياكوس مفهوم تاريخ الأدب من جهة التلقي، فأصبح هذا التاريخ «يتبع حركة تفاعل النص مع القارئ، فبدلاً من التساؤل عن تاريخ النصوص، إلى تاريخ تلقي هذه النصوص»^(١٨)، وانتهاج ياكوس هذا السبيل ناتج عن انتقاده الشديد للماركسية والشكلانية الروسية في آن معاً؛ وذلك أنه «... يرى أن وجه النقص في الشكلانية يتمثل في الميل إلى جماليات الفن للفن»^(١٩)، وبهذا فتح ياكوس على الأدب مجالاً أرحب، غير الذي عرفه الأدب في تاريخه، هو: جمالية التلقي. أما القضية الأخرى فهي (أفق الانتظار)، وقد «أخذ ياكوس مفهوم (الأفق) من غادامير، وركب مفهومه (أفق الانتظار) من مفهوم الأفق عنده، ومن مفهوم (خيبة الانتظار) عند كارل بوبر، وقد وجد ياكوس أن هذين المفهومين المطبقين في فلسفة التاريخ وفلسفة العلوم، يحققان رغبة في البرهنة على أهمية التلقي في فهم الأدب، والتاريخ له... وعلى الرغم من اعتراف ياكوس بتأثير هذين المفهومين في إنضاج مفهومه (أفق الانتظار)

١٧- محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي - دراسة مقارنة -، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ط ١ - ١٩٩٦، ص ٢٨. (نقلاً عن: روبرت سي هولب، نظرية الاستقبال - رؤية نقدية -).

١٨- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ١٠٣.

١٩- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التلقي بين ياكوس وإيزر، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر، (د.ط) - ٢٠٠٢، ص ١٠.

إلا أنه يشير في الوقت نفسه إلى افتراق مفهومه وخصوصيته في مجال الأدب عن مفهومي غادمير وكارل بوبر^(٢٠)، ويظهر افتراق (أفق الانتظار) عن غيره في مفهوم ياوس له، وهو مفهوم يقوم على «منظومة التوقعات والافتراضات الأدبية والسياقية، التي تكون مترسبة في ذهن القارئ حول نص ما - قبل الشروع في قراءة النص - وهي فروض وتصورات قد تكون فردية لدى شخص محدد حول نص محدد، وقد تكون تصورات يحملها جيلٌ أو فئة من القراء»^(٢١)، فحين يشرع القارئ في تلقي عمل أدبي ما، فإن هذا العمل قد يستجيب لأفق انتظار القارئ المفضي إلى الرضى، وقد يخيب أفق انتظاره ويفضي إلى التخيب والمخالفة، وينبني عليه الصراع بينهما، وقد يُغيّر العمل الأدبي أفق انتظار القارئ، في وضع لا يوصف بالاستجابة، كما لا يوصف بالتخيب^(٢٢). ونتيجة الاشتغال على (أفق الانتظار) - عموماً - هي بيان السمة الجمالية أو الفنية للعمل.

أمّا بالنسبة إلى إيزر (Wolfgang Iser) فأبرز نقطة اشتهر بإبرازها في درسه النقدي هي كيفية «بناء المعنى، وطرائق تفسير النص، من خلال اعتقاده أنّ النص ينطوي على عدد من الفجوات، التي تستدعي قيام المتلقي بعدد من الإجراءات، لكي يكون المعنى في وضع يحقق الغايات القصوى للإنتاج، وهو يكشف بذلك عن أنّ النص يتضمن حتميةً تشكّل ركنًا أساسيًا من وجوده، إنها ماثلة فيما يطلق عليه إيزر: القارئ الضمني، وهو ما يشكّل صلب نظريته»^(٢٣)، بمعنى أنّ إيزر يرى أنّ بناء المعنى يشترك فيه المنتج (المؤلف) مع القارئ (المتلقي)، وذلك أنّ المؤلف يترك مساحات أو فجوات بيضاء في نصه (بقصد منه أو بغير قصد)،

٢٠ - ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر، عمان - الأردن، ط ١ - ١٩٩٧، ص ١٣٨، ١٣٩.

٢١ - عبد الله محمد الغدامي، القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، والدار البيضاء، ط ١ - ١٩٩٤، ص ١٦٤.

٢٢ - ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ١٠٤.

٢٣ - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، ص ٣٣، ٣٤.

تبحث عن ملءٍ وتعبئةٍ، ويأتي دور القارئ أو المتلقي كي يملأ تلك الفجوات من مخبوء خبرته، وتصبح هذه العملية التي يقوم بها القارئ برهاناً على تفاعله البناء مع النص، وفي هذا السياق يقول إيزر: «... يجب أن يكون هناك مكان في هذا النسق للشخص الذي ينبغي عليه أن يُنجز إعادة التركيب. هذا المكان يتميز بالفراغات القائمة في النص، وهو يتكوّن من البياضات التي يجب على القارئ ملؤها... ومتى سدّ القارئ الفراغات بدأ التواصل...»^(٢٤)، لقد اطلع إيزر على أنواع القارئين قبله فوجدها تعتمد على الأسلوبية البنوية (القارئ النموذجي عند ريفاتير (Riffaterre))، أو تعتمد على النحو التوليدي التحويلي (القارئ الخبير عند فيش (Fich))، أو تعتمد على سوسولوجيا الأدب (القارئ المقصود عند وولف (Wolff))، فأراد إيزر تجاوزها إلى القارئ نفسه^(٢٥)، والقارئ الضمني عنده هو «بنية نصية تتوقع حضور متلقٍ دون أن تحدّده بالضرورة، : إن هذا المفهوم يضع بنية مسبقة للدور الذي ينبغي أن يتبناه كل متلقٍ على حدة، ويصحّ هذا حتى عندما تبدو النصوص وكأنها تعتمد تجاهل متلقيها الممكن، وأنها تقصيه بفعالية، وهكذا يُعيّن مفهوم القارئ الضمني شبكة من البنيات التي تستدعي تجاوباً يلزم القارئ فهم النص»^(٢٦)، وعليه فالقارئ الضمني لا وجود له خارج بنية النص، هذه البنية التي تتحول إلى أفعال تمثيلية تتجاوب مع مختلف القراء.

٢-ج- القراءة المتوسّلة:

سبق وأن أشرنا إلى بيان أنواع القراء باختصار، وكل صفة للقارئ هي صفة للقراءة نفسها، فالقارئ النموذجي أو الأعلى هو صاحب القراءة النموذجية

٢٤- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الأدب -، ترجمة: حميد حميداني والجلالي الكدية، مطبعة الأفق، فاس - المملكة المغربية -، تاريخ طبع الكتاب الأصلي ١٩٨٧، وتاريخ طبعة الترجمة ١٩٩٥، ص ١٠١.

٢٥- ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ١٠٦.

٢٦- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الأدب -، ص ٣٠.

أو العُليا، وكذلك القارئ الضمني هو صاحب القراءة الضمنية، الشيء نفسه ينسحب على ما نحن بصدد تعريفه في هذه النقطة، فالقراءة المتوسّلة قارئًا قارئًا متوسّل، وقبل التعريف بهذا النوع من القراءة، يجدر بنا التذكير الموجز بأنواع القراء والقراءات سالفه الذكر، فالقارئ النموذجي أو الأعلى أو المثالي عند ريفاتير (Riffaterre) هو «مجموعة من المخبرين الذين يلتقون دائما عند النقط المحورية في النص، وبالتالي يؤسسون وجود (واقع أسلوبية) من خلال ردود أفعالهم المشتركة، والقارئ الأعلى مثل أداة استطلاع تُستعمل لاكتشاف كثافة المعنى الكامن والمُسَنَّن في النص»^(٢٧)؛ بمعنى أنّ القارئ النموذجي يعمل على فكّ الدرجة العليا للنص بوصفها مظهرا أسلوبيا (البنوية الشعرية)^(٢٨)، أمّا بالنسبة إلى القارئ الخبير عند فيش (Fisch) فهو القارئ الذي يمتلك الكفاءة الضرورية؛ وقوام تلك الكفاءة أن «يتكلم بطلاقة اللغة التي كُتِبَ بها النص، وأن يمتلك معرفة دلالية كمستمتع تمكنه من الفهم، وأن يمتلك قدرة أدبية»^(٢٩)، ومع تلك الكفاءة يجب عليه أيضا أن يراقب ردود أفعاله الخاصة عند عملية التحيين لكي يتحكم فيها، مع الإحالة الدقيقة على النحو التوليدي التحويلي^(٣٠)، أمّا القارئ المقصود عند وولف (Wolff) فهو القارئ «فكرة القارئ كما تشكّلت في ذهن الكاتب، وهذه الصورة يمكن أن تأخذ عدة أبعاد في النص (سوسيولوجيا الأدب)»^(٣١)، أمّا القارئ الضمني عند إيزر (Iser) فلا داعي لإعادة مفهومه، ما دمنا قد تعرّضنا إليه في العنصر السابق (أهم مبادئ النظرية وأبرز روادها).

بعد أن قدّمنا أبرز الأنواع المتصلة بالقارئ، سنحاول أن نعرّف بالقارئ المتوسّل، أو القراءة المتوسّلة بأن نحددها بتلك القراءة التي تتخذ النصّ المقروء

٢٧- السابق، ص ٢٤.

٢٨- ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ١٠٥، ١٠٦.

٢٩- نفسه، ص ١٠٦.

٣٠- ينظر: فولفغانغ إيزر، فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الأدب -، ص ٢٦.

٣١- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ١٠٦.

وسيلة لإبراز فكرة معيّنة أو رأي معين، أو هي القراءة التي تستثمر النص وسيلةً حجاجيةً لخلق نصّ جديد ذي دلالات وأغراض مختلفة عن الدلالة العامة التي رسمها النصّ المقروء، بمعنى أن يصبح النصّ الأول المقروء مُنتجاً لنصّ آخر بوساطة القراءة المتوسّلة، وعليه فليست الغاية من هذه القراءة بيان ما في النصّ المقروء من دلالات ومعان لذاته، بل بيان غرض آخر يتصل بالقارئ وتخصّصه أو الفن الذي يشتغل عليه، فينتج القارئ بذلك نصّاً آخر على الهدى الحجاجي للنصّ المقروء، يُتيح له التوسّع في فنه التخصّصي والبرهنة على صدقية الفرضيات التي ينطلق منها بشواهد النصّ المقروء، وأمثلة هذه القراءة كثيرة ومتعدّدة، نذكر منها على سبيل المثال تلك القراءة المتوسّلة التي تتناول الشعر الجاهلي (شعر المعلقات، شعر الصعاليك...) على سبيل التوسّل للدراسات التخصّصية المختلفة، كالدراسات المتعلقة بأصول النحو، أو المتعلقة بمعرفة اللهجات العربية أو المعجم العربي، أو تلك المتعلقة بالأنساب أو بالأماكن... الخ، وتعجّ المكتبة العربية بمثل هذه الدراسات قديماً وحديثاً، ولا سيما الرسائل الجامعية منها، ولعلّ أبرز أمثلة هذه القراءة أيضاً تلك التي تتخذ من القرآن الكريم وسيلةً للبرهنة على صدق أصول فقهية أو نظريات علمية مختلفة، سواء أكانت نظريات علمية طبيعية (خاصة بعلوم الأحياء، أو بعلم الفلك...) أم نظريات علمية إنسانية (اجتماعية، تاريخية، لغوية...).

ويُشترط في قارئ هذا النوع من القراءات الشرطان الآتيان:

١- أن يكون صاحب تخصص علمي (علوم طبيعية أو علوم إنسانية) أو فني جمالي، وذلك حتى يصبح هذا التخصص هو الدافع إلى قراءته النصوص بهذا النوع من القراءة، ويصبح هذا التخصص هو الموجه الحقيقي في عملية القراءة، وتحديد الدلالة.

٢- أن يتوافر على شروط الكفاءة التي تتسم بها قراءة الخبر عند فيش (Fich)، وهي: أن يتكلم بطلاقة اللغة التي كُتِبَ بها النص، وأن يمتلك معرفة دلالية كمستمع تمكنه من الفهم، وأن يمتلك قدرة أدبية، وذلك حتى تتوفر ضمانات عدم تحريف النص المقروء عن دلالاته الأصلية بسُلطان التخصص والخبرة الخاصة بالقارئ المتوسّل.

ثانياً: طرق استثمار النص عند ابن هشام الأنصاري (شرح قصيدة بانت سعاد):

سُيَخَّصَّ هذا الفضاء من البحث لدراسة نصّ ابن هشام (شرح قصيدة بانت سعاد - لكعب بن زهير)، وهو نصٌّ ناتجٌ عن قراءة متوسّلة لتلك القصيدة النص (بردة كعب بن زهير)، وهي - كما قال علي فودة نيل - : «قصيدة فيها «سبعة وخمسون بيتاً، وشرح ابن هشام لها يقع في ثمان وثمانين صفحة من القطع الكبير طباعة قديمة على ورق أصفر. وقد قدّم لهذا الشرح في فصلين»^(٣٢)، أراد ابن هشام الأنصاري (النحوي) بقراءته تلك أن يتخذ من القصيدة النص وسيلة استثمار حجاجي خدمةً لتخصّصه في تعليمية النحو، وبرهان ذلك ما نصّ عليه ابن هشام نفسه من أسباب تأليفه للكتاب في مقدمة شرحه للقصيدة، فيقول: «والذي دعاني إلى هذا التأليف غرضان سنّيان:

أحدهما: التّعريض لبركاتٍ من قيلت فيه صلى الله عليه وسلم.

والثاني: إسعاف طالبي علم العربية بفوائد جليّة أوردّها، وقواعد عديدة أسردّها، والله تعالى المستعان، وعليه التّكلان...»^(٣٣).

٣٢- علي فودة نيل، ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، طباعة شركة مطابع المطوع، الدمام -

المملكة العربية السعودية، ط ١ - ١٩٨٥، ص ١١٧، ١١٨.

٣٣- ابن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بانت سعاد، دراسة وتحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، المكتبة

الإسلامية للنشر، القاهرة - مصر، ط ١ - ٢٠١٠، ص ٧٣.

إن إسعاف طالبي علم العربية (النحو العربي) هو الغرض التعليمي الرئيس من وراء تأليف هذا الكتاب، متخذاً من القصيدة النص وسيلةً حجاجيةً لسوق الأدلة والبراهين، فهذه الآلية هي التي نقصد بها القراءة المتوسّلة، وهي القراءة التي تخلق نصاً ثانياً، مستندةً إلى النص الأول استناداً توّسل حجاجي، فيصبح النص الأول المقروء مُنتجاً لنص آخر بوساطة القراءة المتوسّلة، وقد سمى ابن هشام النحوي نصّه المتولّد عن قراءته التوسلية شرحاً.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد أنّ ابن هشام النحوي قدّم المعنى الإجمالي للقصيدة أو دلالتها العامة قبل البدء في شرحه، وقد كان تقدّمه للمعنى الإجمالي للقصيدة لا يتعدى الفقرة ذات الأسطر، فيما استغرق شرحه للقصيدة الكتاب كلّه، وهذا يدلّ على أنّ ابن هشام النحوي يميّز بين مقاربة دلالة النص العامة كما قصدها صاحبها، وبين توجيه تلك الدلالة توجيهاً يستثمر فيه النص المقروء استثماراً يخدم به حقله التخصّصي موضوع الغرض، أمّا عن المعنى الإجمالي للقصيدة فيقدّمه بقوله: «وأوّل شيءٍ اشتملت عليه هذه القصيدة التشبيب، ... وبيان التشبيب فيها أنه ذكّر محبوبته وما أصاب قلبه عند ظعنها، ثم وصف محاسنها وشبهها كالظباء، ثم ذكر ثغرها وريققتها، وشبهها بخمرة ممزوجة بالماء. ثم إنّه استطرد من هذا إلى وصف ذلك الماء، ثمّ من هذا إلى وصف الأبطح الذي أخذ منه ذلك الماء، ثم إنّه رجع إلى ذكر صفاتها، فوصفها بالصدّ وإخلاف الوعد، والتلون في الوُدّ، وضرب لها عرقوباً مثلاً، ثم لا م نفسه على التعلق بمواعيدها، ثم أشار إلى بُعد ما بينه وبينها، وإنّه لا يُبلّغها إليها إلا ناقةً من صفتها كيت وكيت، وأطال في وصف تلك الناقة على عادة العرب في ذلك، ثمّ إنّه استطرد من ذلك إلى أن ذكر الوشاة، وأنهم يسعون بجانبَي ناقة، ويحذرونه القتل، وأنّ أصدقاءه رفضوه وقطعوا حبل مودّته، وإنّه أظهر لهم الجلد واستسلم للقدر، وذكر لهم أنّ الموت مصير كلّ ابن أنثى، ثمّ خرج إلى المقصود الأعظم وهو مدح سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى الاعتذار إليه وطلب العفو منه والتبري مما قيل عنه، وذكر شدة خوفه من سطوته، وما حصل له من مهابته، ثم إلى مدح أصحابه المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين»^(٣٤).

وبعد تقديمه للصورة الدلالية العامة للقصيدة بدأ بشرحها، وقد حدّد خطة شرحه للقصيدة لها في قوله: «ومردف كل بيت منها بشرح ما يشكّل من لغته وإعرابه ومعناه، ومعط للقول في ذلك كله حقّه ومستحقّه إن شاء الله تعالى»^(٣٥)، غير أن شرحه كان في مجمله نحويًا صرفيًا، يقدّم بوساطته آراء النحاة ويوازن بين تلك الآراء ترجيحًا وتضعيفًا، ويعطي رأيه فيها في بعض المحطات، ويقرر هذه الملحوظة علي فودة نيل في قوله: «وإذا تتبعنا شرح ابن هشام لهذه القصيدة نجد أن عنايته منصرفة إلى المباحث النحوية واللغوية. أمّا الاهتمام ببيان المعنى المراد من التراكيب المختلفة: جملة، أو بيتا، أو أكثر، فذلك قليل في شرحه... ففي سبعة الأبيات الأولى من القصيدة التي يمثل شرحها أكثر من ربع الكتاب نجد المصنّف قد وقف ثلاث مرات فقط من أجل المعنى المراد»^(٣٦)، وعليه فكتابنا إذا كتب نحوي صرفي بالدرجة الأولى استغل نص القصيدة موضوع الشرح وسيلة حجاجية لتقديم الآراء النحوية المختلفة، وابن هشام في تجربته هذه يقوم بممارسة في علم النص ونظرية القراءة والتلقي مع الاستثمار في الآليات الحجاجية، وهي تجربة تبحث عن تنظير، قصد بيان كيفية تفاعل الدارسين واللغويين القدامى مع النصوص، وبيان استثمارهم للحجاج عن طريق إنتاج نص من نص آخر لخدمة الحقل المعرفي لذلك القارئ المتوسّل، وعليه سنحاول دراسة هذه التجربة مستعينين بنظرية التواصل والحجاج؛ وذلك أن النص المقروء سيصبح في هذه التجربة مصدرًا حجاجيًا في حال إنتاجه للنص الثاني موضوع التخصص بالنسبة

٣٤- المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.

٣٥- المرجع نفسه، ص ٧٣.

٣٦- علي فودة نيل، ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، ص ١٢٢.

إلى القارئ، ومستهددين كذلك بنظرية التلقي (القارئ المتوسل)؛ لأنّ النصّ المشروح (الثاني) هو نتاج قراءة متوسّلة من نصّ القصيدة المقروء (الأول).

وسنحاول دراسة طريقة توجيه ابن هشام النحوي لدلالة النصّ أثناء شرحه؛ من دلالة مدحية واعتذارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسبوقاً بما كان للعرب عادةً فيه، وهو التشبيب ووصف الرحلة، إلى دلالة نحوية صرفية تُعرض فيها آراءُ النحاة، ويُرجح بعضها ويضعّف بعضها الآخر، وتُستدرك تلك الآراء - أحياناً - برأي من ابن هشام كان قد تفرّد فيه، وهيكله هذه المحاولة بعد النظر في شرح ابن هشام النحوي تتفرّع إلى ثلاث نقاط توجيهية: توجيه بالآية الاستثمار الدلالي بالوصل، وتوجيه بالآية الاستثمار الدلالي بالإيصال، وتوجيه بالآية الاستثمار الدلالي بالاتصال، وسنقدّم هذه النقاط بتقديم الجانب النظري المتصل بهذه النقاط، يتلوه الجانب التطبيقي المأخوذ من شرح ابن هشام على هدي المفهوم المستخلص من الجانب النظري. وهذا التقسيم لا يستجيب تماماً لما عقده الدكتور طه عبد الرحمان بين التواصل والحجاج، فهو وإن كان يأخذ منه المفهوم العام للوصل والإيصال والاتصال، إلا أنه لا يتماهى معه في الحثيات النظرية المتعلقة بالشروط الخطابية الخاصة بعملية التواصل في سَوِّقِ الحجاج، وسنعمل على الاستفادة من عرضه في حدود ما يخدم بحثنا.

١ - آية استثمار النص بالوصل:

الوصل مصطلح تواصلِي، معناه حسب طه عبد الرحمان: «نقل الخبر، ولنصطلح على تسمية هذا النقل (بالوصل)، نظراً لأنّ هذا المصطلح يفيد معنى الجمع بين طرفين بواسطة آخر مخصوص، فالوصل لا يكون إلا ب(واصل)، والواصل هنا هو بالذات (الخبر)»^(٣٧)، ويقرن طه عبد الرحمان بين الوصل

٣٧- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، والدار البيضاء - المملكة المغربية، ط ١ - ١٩٩٨، ص ٢٥٤.

والحجة بوصفهما نموذجًا وصليا للحجة، فيقول معرفًا: «تكون فيه الوظيفة التواصلية وظيفية وصل، إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل، الذي تكون عناصره موصولة وصلًا تامًا»^(٣٨)، وقد كان الداعي لهذا الربط الوصلي بالاستدلال الحجاجي الاستناد إلى نظرية الإعلام الحديثة، وفي ذلك يقول: «لقد كان الداعي إلى هذا التصور المجرد للحجة هو الاستناد إلى نظرية الإعلام الحديثة، واستعمال مفاهيمها المتعلقة بتقنيات المواصلات في وصف التواصل الإنساني»^(٣٩)، ولا يتم ذلك إلا إذا جُرد الخبر من «الفعالية الخطابية التي أنتجته، ويقع تجريده من هذه الفعالية بطريقتين، هما: (محو الوظائف التخاطبية) و(إظهار المعاني المضمرة)»^(٤٠)، إذا ما يُستفاد من هذا أن الوصل مبحثٌ في التواصل، والوظيفة المتوسم بها هي نقل الخبر نقلًا مجردًا عن ظروف الناقل والمنقول إليه، وهو النقل الذي يشبه العملية التي تعمل بها نظرية الإعلام الحديثة في سوق الأخبار، ولن تكون هذه الآلية ناجحة ما لم تُطمس الوظائف المشيرة للباث والمتلقي، وعدم إضمار أي معارف قد يفهم منها اشتراك المتخاطبين في الدراية بها، فتتقى بالإضمار.

ما يعيننا من هذا المفهوم في بحثنا هذا هو التركيز على نقل المعلومة مجردة عن الظروف التخاطبية للباث والمتلقي، وذلك بأن ينقل ابن هشام النحوي معلومة لغوية أو نحوية أو صرفية أو بلاغية، دون أن يكون له رأي فيها ولا ترجيح ولا تضعيف، بل يكتفي الشارح بتقديمها تقدمًا إعلاميًا، لا تبرز فيها شخصيته ولا تشير إلى ملامح المتلقي. ونقصد بالتوجيه الدلالي بالوصل هو العدول عن تتبع دلالة القصيدة في سياقها العام، وتوجيه الشرح أو القراءة إلى وصل (نقل خبر) معلومات نحوية صرفية في أغلبها الأعم إلى تفقيه طالبي علم العربية، وعليه حوّل

٣٨ - السابق، ص ٢٥٥.

٣٩ - نفسه، ص ٢٥٧.

٤٠ - نفسه، ص ٢٥٦.

ابن هشام شرحه للقصيدة من وجهة شرح الأبيات وبيان معانيها ومقاصدها، إلى وجهة تعليمية نحوية صرفة لم يقصدها كاتب القصيدة، والتعريف بالاختلافات النحوية هي من صميم الدرس النحوي ومذاهب نحائه، وليس من مفردات شرح النصوص، لأن الإيغال في النحو وآراء النحاة وتباينها تبعد قارئ الشرح عن معاني القصيدة التي يدل عليها عنوان الكتاب. ولكن ابن هشام النحوي يطبق آليةً تبحث عن تنظير، وهي آلية القراءة المتوسّلة التي تتخذ من النص المقروء (القصيدة مثلاً) وسيلةً حجاجيةً لغرض علميٍّ تخصصيٍّ آخر، غير الشرح وبيان مغزى النص العام.

وأمثلة هذا التوجيه الوصلي هي الغالبة على الكتاب، أكثر من التوجيه الإيصالي والتوجيه الاتصالي، ويظهر الوصل في تقديم المعاني المعجمية لبعض الألفاظ، أو تقديم إعراب كلمة أو جملة، مع التذكير بقاعدتها، وبيان اختلافات النحاة حولها، أو تقديم البنية الصرفية لبعض الألفاظ، مع التذكير بضابطها، وأحياناً ما يقدّم وجهها بلاغياً عن طريق صورة بيانية معينة، بواسطة تفكيك عناصرها ومكوّناتها.

ومن أمثلة هذا التوجيه:

أ- من ناحية اللغة والمعجم: المعاني التي يسوقها للمرادفات، دون الاكتفاء بتحديد المعنى المقصود في البيت الشعري، وغرضه من سوقها الإعلام، ومن ذلك معنى لفظة (القذى)، في قول كعب بن زهير:

تنفي الرياحُ القذى عنه وأفرطه
من صوبٍ ساريةٍ يبضُّ يعاليل^(٤١).

قال ابن هشام في المعنى المعجمي لـ(القذى): «وقوله: (القذى) هو بالذال المعجمة: ما يسقط في العين والشراب، والواحدة قذاة. ويقال: قذيت العين،

٤١- ابن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بانت سعاد، ص ١٧.

بالكسرة (تَقْذَى) بالفتح، إذا سقط فيها القذى، وَقَذَتْ بالفتح، تَقْذِي بالكسر: إذا رمت القذى. وَأَقْذَيْتُهَا: إذا جعلت فيها القَذَى. وَقَذَيْتُهَا - بالتشديد -: إذا نزعْتَ عنها القذى. كما قالوا جَلَدَ البعير وَقَرَّدَهُ: إذا نزع عنه جلده وَقَرَّادَهُ. «(٤٢)».

كما يقدّم المعاني المتعدّدة للفظة الواحدة، مثل لفظة (وَأَفْرَطُهُ) في البيت الشعري أعلاه، فيقول: «قوله (وَأَفْرَطُهُ)، يُستعمل (أَفْرَطًا) على وجهين: متعدّيًا بـ(في)، ومعناه الزيادة في الشيء، ومجاوزه الحدّ فيه.

ومتعدّيًا بنفسه، وله ثلاثة معان: تركُ الشيء ونسيانه. / والثاني: تقديمه وتعجيله. / والثالث: مَلُوهُ بفتح الميم، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (النحل / ٦٢)، يقرأ بسكون الفاء مع كسر الراء على أنه من المتعدّي بـ(في)، أي مُفْرَطُونَ في المعاصي، ويفتحها على أنه من المتعدّي بنفسه، ومعناه: إمّا متر وكون في النار منسيئون، أو مقدّمون إليها معجلون. وقول العرب: غدِيرٌ مُفْرَطٌ، بسكون الفاء وفتح الراء، من الثالث: أي مملوء... «(٤٣)».

ومن الأمثلة التي يعطي فيها ابن هشام المعاني المتعدّدة للفظة الواحدة، مع عدم ترجيحه الصريح لمعنى من تلك المعاني المقدّمة، لفظة (صَوْبٌ)، في البيت سالف الذكر، فيقول: «وقوله: (من صَوْبٍ)، للصَّوْبِ أربعة معانٍ: أحدها: المطر، كقول الشاعر:

فسقى ديارك غيرَ مُفْسِدِهَا صوب الربيع وديمةٌ تهمي (...).

والثاني: أن يكون مصدرًا لَصَابٍ يَصُوبُ بمعنى: نزل. / والثالث: أن يكون مصدرًا لصاب، بمعنى: قصد، (...). / والرابع: أن يكون بمعنى: الصواب، كقول أوس بن خلفاء:

٤٢ - السابق، ص ١٣٧.

٤٣ - نفسه، ص ١٣٨-١٣٩.

ألا قالت أمامة يوم غُولٍ تقطع بابن غلفاء الحبالُ
ذريني إنما خطي وصوبي عليّ وأن ما أهلكت مالُ.

أي الذي أهلكته مالي لا مال غيري، فحذف ياء الإضافة منسيّةً، فظهر إعراب ما قبلها، قاله أبو عمرو وخالفه بعضهم، وقال إنما أهلكته مال لا عرض. والمراد في بيت كعب المعنى الأول، وهو محتمل، لأن يكون منقولاً من المعنى الثاني أو الثالث^(٤٤).

فهذه الأمثلة وغيرها تثبت وصل ابن هشام لمعلومات معجمية لطالبي علم العربية، وهي آية من آليات التوجيه الدلالي لنقل الخبر، قصد الإعلام لا قصد التوجيه أو التقويم - كما سنرى فيما يأتي -.

من ناحية الصرف: وهي أن يعطي الوزن الصرفي للبنية، أو جمعها وتثنيها، أو تأنيثها وتذكيرها، حسب السياق الذي ترد فيه، ومن الأمثلة الصرفية على ذلك كلمة (دم) في بيت كعب بن زهير:

لكنّها خلّةٌ قد سيطَ من دِمِها فجَعَّ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلٌ^(٤٥).

يقول ابن هشام: «... واختلف في وزن دم، فقال سيبويه وأصحابه: (فَعَل) بالإسكان، واحتجوا بأمرين: أحدهما: جمعه على دماء ودُمي، كما جمع: ظَبِي ودَلُو، على ذلك. ولو كان مثل عصا أو قفالم يجمع عليهما. / والثاني: أن الحركة زيادة فلا تدعى إلا بدليل.

وقال المبرد فعل بالتّحريك بدليلين:

أحدهما: أن فعّله: دَمِي يَدْمِي، كفرِح يَفْرِح، فأصل الدّم: دَمِي كفرِح. قال

٤٤ - السابق، ص ١٤٠ - ١٤٢.

٤٥ - نفسه، ص ١٧.

أبو بكر: وليس قوله بشيء؛ لأن كلامنا في الدم الذي هو جوهر، لا في الدم الذي هو حدث.

والثاني: أنهم لما رجّعوا إليه (لامه) قلبوها (ألها)، كقوله:

غَفَلْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ تَطْلُبُهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدِمَا

ولو كانت العين ساكنةً لصحّت اللام كما في ظبيٍّ وغزوةٍ...»^(٤٦).

ومن النماذج الصرفية أيضا قول ابن هشام: «قال رضي الله عنه:

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيلُ

(...) و(مواعيد) جمع ميعاد، كموازن في جمع ميزان، لا جمع موعود، لأنّ المعنى ليس عليه؛ ولأنّ مفعولاً صفةً كمضروبٍ ومقتولٍ، لا يُكسر. وأمّا مشائيم وملاعين، فشاذ،...»^(٤٧).

والملاحظ على نص ابن هشام الشارح عرضه القائم على نقل المعلومة والقاعدة بأمانة، أما ترجيحاته وتضعيفاته، وآراؤه فيتركها بعد النقل القائم على إعلام طالب علم العربية، وعليه فتوجيهه الدلالي يبدأ بالوصل على سبيل الإعلام، ثم يتلوه الإيصال أو الاتصال على سبيل التوجيه والتقويم، عن طريق الترجيح والتضعيف، والاجتهاد بالرأي.

ج- من ناحية النحو والإعراب: لقد اصطبغ الشرح بالصبغة النحوية أكثر من أي مستوى من مستويات التحليل اللغوي، وفي هذا المستوى أبدع ابن هشام، ونوّع تقديمه للمادة العلمية من وصل وإيصال واتصال، فمن الوصل ما يقدمه بشكل معلومات نحوية، وشروح تركيبية، عن طريق نقل القواعد،

٤٦- السابق، ص ١٦٥-١٦٦.

٤٧- نفسه، ص ١٨٥.

والأوجه النحوية المختلفة، قاصداً من وراء ذلك إعلام طالب علم العربية،
وإسعافهم بمعلومات قيمة من الجهة النحوية.

ومن أمثلة ذلك: نقله لمسألة إجازة تعدد الخبر من عدمها، وذلك في كلمة
(متيم)، من قول كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبول^(٤٨).

يقول ابن هشام في إعراب (متيم): «خبرٌ ثانٍ عند من أجاز تعدد الخبر، وأما
من منعه، فهو عنده خبرٌ عن (هو) محذوف، أو صفة لـ (متبول) عند من جَوَزَ
وصفَ الصفة، وحجة المانع: أنها كالفعل وهو لا يوصف، ولو صحَّ هذا لم يصحَّ
التصغير، وهو جائز بلا خلاف نعلمه»^(٤٩).

ومن الأمثلة العديدة الأخرى على هذا الصنف من وصل المعلومة ونقلها،
حديثه عن (إخال)، في قول كعب بن زهير:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما لهنَّ إخالُ الدهرَ تعجيل^(٥٠).

يقول ابن هشام في معنى (إخال) إعراباً، وموضعاً من مواضع وجوه
النحو، ولا يقف عند عتبة شرح القصيدة، بل إنَّ محرَّكه الأساس هو إسعاف
طالب علم العربية - على حد تعبيره -، فتركيزه على الوجوه الإعرابية هو القائدُ
والحادي في شرحه، مما يشي بأنه اتخذ من نصِّ القصيدة وسيلةً لخدمة غرضه
(إسعاف طالب علم العربية)، وهو ما وصفناه بـ (القراءة المتوسلة)، يقول ابن
هشام: «قوله (إخال)، بمعنى: أظنُّ وهما سيَّان في نصب المفعولين، وجواز سدِّ
(أن) و(أن) وصلتهما مسدَّهما، وجواز الإلغاء للتوسط والتأخر، واتحاد الفاعل

٤٨ - السابق، ص ١٧.

٤٩ - نفسه، ص ٩٤.

٥٠ - نفسه، ص ١٨.

آليات استثمار النَّصِّ نحويًّا عند ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) في شَرْحِهِ قَصِيدَةَ (بِأَنْتَ سَعَادُ)

والمفعول ضميرين متصلين لمسمّى واحد، والاعتراض فيهما بين حرفٍ ومطلوبه، ووجوب التعليق لاعتراض ما له صدر الكلام، وحذف المفعولين اختصاراً للدليل واقتصاراً لإفادة تجدد الفعل وحدوثه، ومثال نصبها المفعولين قوله:

وَحَلَّتْ بِيُوتِي فِي يِفَاعٍ مُنْعٍ تَخَالُ بِهِ رَاعِي الْحَمُولَةِ طَائِرًا

... [ثم يمضي ابن هشام في ضرب الأمثلة الشعرية على جميع الحالات التي ذكرها لـ (إخال)]... وكسر همزة (إخال) فصيح استعمالاً، شاذ قياساً، وفتحها لغة أسد وهو بالعكس...^(٥١)، ولا يكتفي ابن هشام بهذا الدرس النحوي المنقول خبراً للمتلقي (طالب علم العربية)، بل يمضي بعدها في ذكر حكم حرف المضارعة في غيرها.

وما عرضناه من أمثلة نحوية لا تنحصر عند ابن هشام في إعراب المفردات فحسب، بل تمتد أيضاً إلى إعراب الجمل، مثل إعراب جملة (تنفي الرياح القذى عنه)، في قوله: «وفي الجملة من قوله: (تنفي الرياح القذى عنه)، بحثان: أحدها: بالنسبة للإعراب، و(هي) باعتباره محتملة لثلاثة أوجه: أحدها: أن تكون خبراً ثانياً لـ (أضحى) على أن تكون ناقصة.

والثاني: أن تكون حالاً، فإن كانت (أضحى) تامة ف (ذو) الحال فاعلها، أو مفعول (مشمول) المستتر فيه، وهي على الثاني من الحال المتداخلة، وعلى الأول من الحال المترادفة، وإن كانت ناقصة ف (ذو) الحال ضمير (مشمول)، أو ضمير (أضحى) إن قلنا إن الأفعال الناقصة تدلّ على الحدث...

والثالث: أن تكون مستأنفة.

البحث الثاني: بالنسبة للمعنى، و(هي) باعتباره محتملة لثلاثة أوجه:

٥١ - السابق، ص ١٩٥ - ١٩٧.

أحدها: أن تكون تعليلاً لقوله: (صاف). / والثاني: أن تكون توكيداً له وتتميمًا.

والثالث: أن تكون احتراسا، وذلك لأن الماء الصافي قد يعرض له أن يعلوه شيء من الأقداء، ويكون بحيث لو أزيل عنه لظهر صفاؤه، وأنه لا كدورة فيه، فنفي أن يكون هذا الماء من هذا القبيل»^(٥٢).

٢- آلية استثمار النص بالإيصال:

الإيصال مصطلح من مصطلحات التواصل، ووظيفته نقل الخبر أو المعلومة وفق بناء استدلالي يأتي به المتكلم إلى المستمع أو المؤلف إلى المتلقي، وذلك مع حمل الخبر للفعالية الخطابية المتعلقة بالمتكلم أو المؤلف، بوصفه فعلاً قصدياً متميزاً، يدل على صاحبه لغرض توجيهي، ويستند هذا القسم في فلسفته إلى نظرية الأفعال اللغوية، ويعرفه طه عبد الرحمان بقوله: «إنَّ كلَّ حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم، والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تُعدُّ فعلاً قصدياً متميزاً، ويظهر تميز قصدية الحجة الموجهة في أمرين: (عدم انفكاك القصدية عن اللغة) و(تراتب القصدية)...»^(٥٣).

أما عن تأثير هذا التوجه الإيصالي بنظرية فعل الكلام، بدل نظرية الإعلام - كما رأينا في التوجه الوصلي -، فيقول طه عبد الرحمان: «كما أن السبب الكلي للحجة الذي رأينا أن النموذج الوصلي يقع فيه هو التأثير بنظرية الإعلام، فكذلك السبب في التجريد الجزئي الذي يقع فيه النموذج الإيصالي هو الأخذ بما يسمى (نظرية الأفعال اللغوية) التي وضع أصولها (أستين)، وأقام بناءها (سورل)، ووسع مجالها (غرايس) و(فان إيميرن) و(خروتندوروست)، ومبنى هذه النظرية

٥٢ - السابق، ص ١٣٨.

٥٣ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، ص ٢٥٩.

إجمالاً على أنَّ الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدِّي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة»^(٥٤).

يجب التركيز في هذا المقام على الغرض من التوجيه بالإيصال، حتى نُميِّز الفرق بينه وبين الوصل والاتصال، فإذا كان الغرض من الوصل هو الإعلام، أي إعلام المتلقي بمضمون الخبر أو المعلومة دون تحميلها حمولة خطابية متعلقة بالمؤلف أو المتكلم والقارئ أو المتلقي، فإنَّ الغرض من التوجيه بالإيصال هو التوجيه، وذلك عن طريق إعادة الاعتبار إلى الفعالية الخطابية في شقها المتعلق بالمؤلف أو المتكلم أو المنجز عموماً؛ بمعنى أنَّ الغرض من الإيصال عن طريق التوجيه هو تبليغ رأي المؤلف أو المتكلم إلى المتلقي، والتركيز على قيمة النص باعتبار مُنْشئه.

ما يعيننا من هذا المفهوم في بحثنا هذا هو التركيز على سَوْقِ المعلومة أو الخبر غير مجرد عن الظروف التخاطبية للباحث أو الكاتب أو المؤلف، وذلك بأن يسوق ابن هشام النحوي رأيه في معلومة لغوية أو نحوية أو صرفية أو بلاغية، ويشفع هذا الرأي بالدليل والبرهان، وغرضه من ذلك تقديم رأي خالف به غيره وانفرد به وحده، وأراد أن يوجِّه قارئه إليه، دون ترجيح أو تضعيف لآراء غيره؛ بمعنى أنه لا يقف عند نقل المعلومة مجردة كما في الوصل، بل يوجِّه المتلقي إلى معلومته التي صدرت عنه لا عن غيره، بوصفها اجتهاداً تفرَّد به.

ونجد هذا النمط من الإيصال في التوجيه عند ابن هشام من جهة النحو أكثر من المستويات الأخرى؛ لأنَّه نحويٌّ بالدرجة الأولى قبل أن يكون لغويًّا بوجه عام، ومن أمثلة ذلك اجتهاده في مسألة (صاحب الحال)؛ وذلك في تأكيده على تحمُّل الظرف لضمير مستتر يتنقل إليه عن طريق من الاستقرار المحذوف، متخذاً من بيت كثير عزة حجة تثبت مزعمه الذي تفرَّد به، عن سائر النحاة، من أمثال ابن

حروف وسائر النحاة، يقول ابن هشام في هذه القضية التي يوجّه بها طالبي علم العربية: «... وفي صاحب الحال وجهان:

أحدهما: أنه الضمير المستتر في الظرف الأول؛ لأنّ الصحيح أنّ الظرف يتحمّل ضميراً منتقلاً إليه من الاستقرار المحذوف، ولهذا أكد في قول كثير:

فإن يك جثمانى بأرض سواكم فإن فؤادي عندك الدهر أجمع

وزعم ابن خروف أنه لا يتحمّله إلا بشرط التأخر عن المبتدأ. وزعم آخرون أنه لا يتحمّله مطلقاً تقدّم أو تأخر. والصحيح الأوّل، ومن ثمّ قال ابن جنبي في قول الشاعر:

ألا يا نخلةً من ذات عرقٍ عليكِ ورحمةُ الله السلامُ

الناس يتلقون هذا البيت على أنه من تقديم المعطوف على المعطوف عليه، وليس بلازم، لجواز أن يكون العطف على ضمير الرحمة المستتر في (عليك) على حدّ قول بعضهم: مررتُ برجلٍ سواء والعدم، ولا يردّ عليه أن يقال تخلّص من وجه ضعيف إلى آخر أضعف منه؛ لأنّ غرضه أنّ البيت محتمل، فلا دليل عليه، ولأنّ العطف على الضمير المرفوع أسهل من تقديم المعطوف، فإنه لا يقع إلا في الشعر. نعم من زعم أنّ الظرف لا يتحمّل ضميراً مطلقاً، ولا يتحمّله مع التقدّم، لزم عنده أن يكون البيت من تقديم المعطوف....»^(٥٥).

يظهر في هذا الرأي - كما هو معللٌ - أنه رأي انفرد به ابن هشام عن غيره من النحويين، وأراد منه توجيه طالبي علم العربية الأخذ به، وهو اجتهاد يرى فيه أنّ الظرف يتحمّل ضميراً مستتراً ينتقل إليه من الاستقرار المحذوف مطلقاً، تقديره (استقر - مثلاً -)؛ وذلك أنّ الظرف يعدّ من أشباه الجمل التي لا بد أن تتعلّق

٥٥ - ابن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بانت سعاد، ص ٢٠٠-٢٠١.

بفعل أو بشبه فعل، ولما وجب تعلقها بذلك، فهي تتحمّل ضميراً ينتقل إليها عن جهة وجوب التعلّق بالاستقرار (فعل أو شبه الفعل - حسب التقدير -)، فاستنتاج ابن هشام جاء من قبيل بناء وجوب على وجوب؛ أي بناء وجوب تحمّل الظرف الضمير، بناءً على وجوب تعلقه بالاستقرار بوصفه فعلاً أو شبه فعل - حسب التقدير -، وبين أنّ النحاة لا يحمّلون الظرف ضميراً مطلقاً، إلا أنّ ابن خروف يقبله بشرط التأخر عن المبتدأ. وفي هذا استثمار ابن هشام لشرحه القصيدة بقراءته المتوسّلة لإبداء اجتهاداته وآرائه التي تفرّد بها، على سبيل الإيصال، إلى جانب نقله للقواعد النحوية المختلفة، على سبيل الوصل، مع ترجيحاته وتضعيفاته لأراء غيره من النحاة، على سبيل الاتصال.

ونجد من أمثلة التوجيه بالإيصال في ميدان الصرف ما رفضه من جمع (غدوة) بجمع (غدايا) على سبيل مماثلتها (بعشايا) بعلّة المجاورة والمناسبة عند بعض النحاة، يقول ابن هشام في ذلك: «وقوله (غداة) فيه مسائل: الأولى: هي اسم لمقابل العشي، قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام / ٥٢]، وقد يراد بها مطلق الزمان، كما تقدّم في الساعة واليوم، قال:

غداة طَفَّتْ عِلْمَاءِ بَكْرُ بنِ وائلٍ عَشِيَّةً لاقينا جِذَامَ وَحَمِيرًا

ألا ترى أنّه أبدل منها العشيّة، وهي في بيت كعبٍ محتملةٌ لذلك.

والمسألة الثانية: وزنها (فَعَلَةٌ) بالتحريك ولامها واو، لقولهم في جمعها: غدوات، ونظيرها: صلاة وصلوات، وزكاة وزكوات، ولأنها من غدوت،؛ لقولهم: غدوة. وأمّا قولهم: فلان يأتينا بالغدايا والعشايا، فقال الجرجاني في (شرح التكملة)، وابن سيده في (شرح أبيات الجمل): إنما جاءت الواو فيها لتناسب العشايا. والصواب: أنّ الذي جعل هذا الازدواج إنما هو جمع غداة

على غدايا، فإنّها لا تستحقُّ هذا الجمع بخلاف عشية، فإنّها كقضية ووصية^(٥٦). يتجلى في هذا النصّ المستشهد به الإيصال بالتوجيه في قوله: (فإنّها لا تستحقُّ هذا الجمع بخلاف عشية، فإنّها كقضية ووصية)؛ إذ فيه توجيهٌ إلى الصواب الذي خالف فيه ابن هشام بقية النحاة في هذه المسألة.

كما نجد لابن هشام اجتهادا توجيهياً عن طريق الإيصال، متعلّقاً بأصول النحو، لا بقضايا النحو الجزئية، وهو توجيهٌ ليس بالصريح الذي يُنصُّ عليه، بل هو توجيهٌ مراسيٌّ يتجلى من التوظيف التطبيقي الذي لا يخفى على طالبي هذا العلم (النحو)، ونقصد بهذا التوجيه المراسي عن طريق الإيصال كثرة احتجاجه بالحديث النبوي الشريف، بشكل لافت للانتباه، بما يشي بقصدية التكتير من الاحتجاج به، وهي قصديةٌ تعيد الاعتبار لنص الحديث النبوي الشريف، الذي زهد في الاستشهاد به النحاة المتقدمون بحجة جواز الرواية بالمعنى، أو بحجة عجمة بعض الرواة، وبناءً عليه أراد ابن هشام من توظيفه لثلاثين (٣٠) حديثاً شريفاً^(٥٧) توجيهٌ طالبي علم العربية بالإيصال إليه، والاحتجاج به، بعد تجاوز محاذير النحاة المتقدمين الذين لم تتم تصفية الحديث النبوي الشريف في عهدهم، وفي هذا توسيعٌ لدائرة الاحتجاج التي كانت تكتفي بالشعر العربي الفصيح (المؤطر بزمكان الفصاحة) وبالعدد القليل من الآيات القرآنية، وردّاً لاعتبار نصّ فصيح بالدرجة الأولى، واستفادةً من الطاقات النحوية واللغوية - عموماً - التي يكتنز بها الحديث النبوي الشريف، مع تسجيل ملاحظة أخرى تحسب لابن هشام في تجاوزه نسبة النحاة المتقدمين في احتجاجهم بالقرآن الكريم، فقد استشهد في هذا المصنّف المتوسط الطول (حوالي ٤٠٠ صفحة) بما يقارب ستة وأربعين ومائتي (٢٤٦) نص قرآني، وقد يكون النص القرآني جزءاً من آية أو آية كاملة أو أكثر من آية.

٥٦ - السابق، ص ١٠٠-١٠١.

٥٧ - ينظر: نفسه، (وذلك في مشهد جمعها وضبطها في الفهارس)، ص ٣٣٩-٣٤٠.

٣- آلية استثمار النص بالاتصال:

المقصود بالاتصال هو تمام التواصل بين جهتين، ووظيفة الاتصال نقل الخبر أو المعلومة وفق بناء استدلالي يأتي به المتكلم أو المؤلف مع اعتبار للمستمع أو المتلقي، وذلك بأن يصبح الخبر أو المعلومة فعلاً مشتركاً بين المتكلم والمستمع أو المؤلف والمتلقي، جامعاً بين توجيه الأول وتقويم الثاني، ويستند هذا القسم في فلسفته على نظرية الحوار، القائمة على مبدأ (التفاعل الخطابي).

يقول طه عبد الرحمان في هذا المفهوم: «الوظيفة التواصلية للحجة ووظيفة اتصال، إذ يُنظر في الحجة بوصفها فعلاً مشتركاً بين المتكلم والمستمع، جامعاً بين توجيه الأول وتقويم الثاني»^(٥٨)، ويصف طه عبد الرحمان الحجة الاتصالية بالحجة المقومة، ويقول في ذلك: «إن الحجة المقومة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية، في تعلقها بالمتكلم والمستمع معاً، أي دليل يأخذ بمبدأ (التفاعل التخاطبي)»^(٥٩)، أما عن النظرية الفلسفية التي تستند إليها هذه الحجة فيقول: «إذا كان النموذج الوصلي قد تأثر بنظرية الإعلام، والنموذج الإيصالي بنظرية الأفعال اللغوية، فإن النموذج الاتصالي للحجة الذي اجتهدنا في وضع أسسه، قد استند إلى (نظرية الحوار) التي بدأ الاشتغال بها منذ زمن يسير في قطاعات علمية مستجدة ومختلفة نحو (المنطق الرمزي) و(المنطق غير الصوري) و(نظرية الحجاج) و(حركة التفكير النقدي) و(فلسفة اللغة) و(فلسفة التواصل). وتكاد تتفق هذه التوجهات العلمية على جملة من المبادئ العامة والخاصة، لكنها تفترق افتراقاً في الفروع التي بنتها وتبينها على هذه المبادئ»^(٦٠).

ما يعيننا من هذا المفهوم في بحثنا هذا هو التركيز على سَوِّقِ المعلومة أو

٥٨- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، ص ٢٥٦.

٥٩- نفسه، ص ٢٦٥.

٦٠- نفسه، ص ٢٧٠.

الخبر غير مجرّد عن الظروفِ التخاطبية للباثِ والمتلقي أو الكاتب والقارئ، وذلك بأن يسوق ابن هشام النحوي معاني معجمية مختلفة للفظة الواحدة، ثم يرجّح معنًى واحداً من بينها؛ لأنّها الأنسب في السياق الذي وردت فيه، أو يسوق أوزانا صرفية أو جموعاً...، ثم يرجّح وزناً معيّناً منها...؛ لأنّه الأصح قاعدةً والأصدق توظيفاً عند فصحاء العرب، أو يسوق آراءً نحوية مختلفة، ثم يرجّح رأياً منها، ويضعّف آراءً أخرى؛ لأنّها الأمتن حجةً والأقوى برهاناً، هذا الترجيح أو هذا التضعيف هو الذي يتجاوز التوجيه بالوصل أو الإيصال إلى التوجيه بالاتصال؛ وذلك لأنّ الكاتب (ابن هشام) لا يقف في ترجيحه أو تضعيفه عند حدود نقل المعلومة أو الخبر أو القاعدة، بل يتجاوزه إلى إشراك المتلقي في تنمية قدرته التمييزية بين تلك الآراء، عن طريق إيضاح المقبول منها من غير المقبول، والصحيح منها من غير الصحيح، مع شَفَع تلك الأحكام الترجيحية أو التضعيفية بالدليل والحجة التي يحاول ابن هشام من ورائها تقويم فهم المتلقين، وعليه يتجلى التوجيه التواصلي في هذه الآلية في تعليم طالبي علم العربية كيفية التعامل مع القواعد المنقولة، والآراء المعروضة، والدليل على التوجيه الاتصالي عند ابن هشام أنّه لم يكتف بتقديم الرأي الذي يقتنع به، بل يقدّم الآراء الأخرى أيضاً، لقصد بيان وجه الإقناع في الرأي الراجح، ووجه الردّ في الرأي المرجوح أو غير الصحيح - حسب وجهة نظره -.

ومن أمثلة الترجيح:

أ - من جهة اللغة والمعجم: ترجيحه لمعنى (الفؤاد) للفظة (القلب)، وقرينة ترجيحه جملة (وهو المراد هنا)، وكانت لفظة (القلب) قد وردت في قول كعب بن زهير:

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولٌ^(٦١)

قال ابن هشام في المعنى المعجمي لـ(قلبي): وللقلب أربعة معانٍ:

أحدها: الفؤاد، ومنه ختم الله على سمعه وقلبه، وهو المراد هنا، وإنما سُمِّي قلباً لتقلبه، وقيل القلب أخص من الفؤاد، ومنه الحديث: (أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ قلوباً وألين أفئدةً، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية)، فوصف القلوب بالركة والأفئدة باللين.

والثاني: العقل، ومنه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق / ٣٧).

والثالث: خالص كل شيء ومحضه، ومنه الحديث: (لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس).

والرابع: مصدر قلبه، وجمع القلب: قلوبٌ، وأقلب، عن اللحياني. ^(٦٢)

من جهة الصرف: ترجيحه لمفرد (عوارض) بـ(عارض)، لا بـ(عارضة)، وقرينة ترجيحه كلمة (والصواب)، وهو ترجيحٌ معللٌ، يروم به تجاوز نقل الخبر والمعلومة إلى تمييز الصواب من عدمه في القواعد المنقولة على سبيل التواصل (الاتصال) مع المتلقي (طالب علم العربية)، وذلك في بيت كعب بن زهير:

تَجَلَّوْ عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا بَتَسَمْت كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

يقول ابن هشام في مفرد (عوارض): «قوله: (عوارض) فيه مسألتان:

إحدهما: اختلف في مفرده على قولين: أحدهما: أنه (عارضة)، قاله عبد اللطيف البغدادي في (غريب الحديث). والثاني: أنه (عارض) ثم اختلف هؤلاء، فقليل: هو جمعٌ شاذٌ، ذكر ذلك أبو جعفر النحاس، قال في شرح قول عنترة:

٦١ - ابن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بان سعاد، ص ٨٩.

٦٢ - نفسه، ص ٩٢-٩٣.

أَنَّ فَاةَ تَا جِرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضُهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ
لا يكاد (فواعل) يجيء جمعا ل(فاعل)، وربما جاء جمعا له كما يجيء جمعا
ل(فاعلة)؛ لأن الهاء زائدة، قالوا: هالك في هوالك، وعارضٌ وعوارضٌ، انتهى
معناه.

والصواب: أنه جمع ل(عارض) وأنه قياس.

أما الأول: فلقول جرير:

أَتَذَكَّرُ يَوْمَ تَصْقَلُ عَارِضِيهَا بِفِرْعِ بَشَامَةٍ سُقِّيَ الْبَشَامِ
وأما الثاني فلأنه اسمٌ، وإنما يكون جمع (فاعل) على (فواعل) شاذًا إذا كان
صفةً للعاقل، كهالك وفارس وراجل وسابق وناكس. فأما إن كان (فاعل) اسمًا،
كحاجب وكاهل وعارض وحائط ودائق، أو صفةً لمؤنث: كحائض وطالق وطامث،
أو لغير العاقل: كنجم طالع وجبل شاهق، فجمعه على (فواعل) قياسي»^(٦٣).

ج- من جهة النحو والإعراب: ترجيحه لعامل النصب في (إذا) الظرفية
الشرطية، بين فعل الشرط أو جوابه، وفي هذه المسألة يقوّم الاتصال بطالبي
علم العربية إلى الأصح بين العاملين، بدل الأشهر؛ إذ المشهور أن العامل
في (إذا) الظرفية الشرطية هو الجواب، أما الأصح - حسب وجهة نظر ابن
هشام - فهو فعل الشرط، يقول ابن هشام في ذلك: «... وهل الناصب
فعل الشرط أو جواب الشرط؟، قولان: أشهرهما الثاني، وأصحهما الأول؛
إذ يلزم على قول الأكثر أن تقع معمولة لما بعد الفاء، و(إن) و(إذا الفجائية)
و(ما) النافية، في نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق / ١]، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾

[الرزم / ٢٥]، وقولك: إذا جئتني فإنِّي أكرمُك، وإذا أشبهَ إنسانَ أباه فما ظلم، ولأنها قد ثبت عدم إضافتها في نحو قوله:

اسْتَغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبِّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تُصِيبَكَ خِصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

فإن قلت: كيف يعمل المضاف إليه في المضاف؟ قلت: القائل بهذا لا يدعي أنها مضافة، بل إنها بمنزلة (متى) في قولك: متى تقم أقم، في أنها مرتبطة بما بعدها ارتباطاً أداة الشرط بجملة الشرط، لا ارتباط المضاف بالمضاف إليه^(٦٤). إن مثل هذه المسألة تجمع بين التوجيه بالإيصال والتوجيه بالاتصال، وذلك لأن ابن هشام يجمع بين توجيهية الإيصال في اجتهاده في مخالفة المشهور جمهور النحاة في ربطه عامل (إذا) الظرفية الشرطية بالشرط لا بالجواب، وبين تقويمية الاتصال حمل المتلقي إلى النظر في منقول الآراء النحوية، وعدم التسليم بها، وإن كانت مشهورةً موصوفةً بسمه الجمهور.

ومن الأمثلة التقويمية الأخرى ردّه لمن قال بأن الاسم الموصول لا يحتلّ موضعاً إعرابياً وحده، بل يتحد هو وصلته فيه، وذلك في (ما منّت) في قول كعب بن زهير:

فلا يُعْرَنِّكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدْتُ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تُضْلِلُ^(٦٥)

يقول ابن هشام: «وقوله: (ما منّت)، يحتمل (ما) أوجهها:

أحدها: أن تكون موصولا اسمياً بمعنى: الذي، فموضعها رفعٌ على الفاعلية، وقول بعض المعربين في مثل ذلك: أنها وصلتها في موضع رفع مردودٌ بظهور الإعراب في نفس الموصول، في نحو: جاء اللذان قاما، وليقيم أيهم هو أفضل،

٦٤ - السابق، ص ١١٨.

٦٥ - نفسه، ص ١٧٨.

وقول بني عقيل أو هذيل: جاء اللذون قاموا، وقول بني هذيل: جاء اللاؤون فعلوا. قال:

هُمُ اللَّأْوُونُ فَكَّوْا الْغِلَّ عَنِّي بِمِرْوَالِ الشَّاهِجَانِ وَهُمْ جَنَاحِي^(٦٦).

إنّ ترجيح ابن هشام لبعض المسائل، وردّه لأخرى هو تقويم لفهوم المتلقين من طالبي علم العربية، حتى يتخذوا الحيلة والحذر كشافين مُبَصِّرِينَ في تعاملهم مع منقول علم العربية أو النحو.

الخاتمة

حاول هذا البحث أن يُثبِتَ آليَّةً من آلياتِ استثمارِ النَّصِّ، من جهة إنتاجيِّته
لنصوصٍ أُخرى، في حال التوسُّلِ به، بواسطة القراءة المتوسِّلة التي يُجريها
قارئٌ متخصِّصٌ في ميدانِ ما، ويحاول من ورائها استغلال النَّصِّ المقروءِ وسيلةً
حجاجيةً لإنتاجِ نصٍّ آخرٍ ينقل فيه فنونَ تخصِّصه، وخبراته توجيهًا وتقويًّا،
ولتجسيد هذا المفهوم عَرَضَ هذا البحث تجربةَ ابنِ هشامِ الأنصاري التطبيقية،
التي توسَّلت فيها بنصِّ كعب بن زهير لإنتاجِ نصِّ (شرح قصيدة بانت سعاد)،
هذا الشرح الذي أفسح لابن هشام المجالَ وأسعَّلبثَّ قواعدَ تخصِّصه النحوي،
وأدلى فيه بأرائه ترجيحًا وتضعيفًا للمسائل التي يعرِّضُ لها في مصنِّفه، إنَّ تجربةَ
ابن هشام هذه كانت ممارسةً ينقصها اكتشاف الباحثين المعاصرين من ناحية إثرائها
بالتنظير المضمر في تراثنا، وقد لاحظنا في هذا الصِّدد أنَّ الآلية التي انتهجها ابن
هشام تجمع بين علم النَّصِّ ونظرية الحجاج ونظرية التلقي والتواصل، وحاولنا
تبعاً لذلك وصفَ تجربته، التي استثمر فيها النَّصِّ عن طريق توجيهِ استثمارٍ وصلي
نقل فيه مختلف المعاني المعجمية والقواعد الصرفية والنحوية وبعض الإشارات
البلاغية، وعن طريق توجيهِ استثمارٍ إيصالي، ساق فيه ما يخالف فيه غيره من
النحاة قصد إطلاع طالبي علم العربية وتوجيههم إلى قناعاته ورؤاه، ومن ذلك
قوله بتحمُّل الظرف ضميراً مستتراً ينتقل إليه من الاستقرار المحذوف مطلقاً، وعن
طريق توجيهِ استثمارٍ اتصالي، أراد منه تقويمَ فهومِ المتلقين (طالبي علم العربية)
عن طريق ترجيح بعض الآراء النحوية على بعضها الآخر، أو تضعيف بعضها
لرجحان بعضها الآخر، من ذلك ترجيحه وتقويمه في آن معاً في مسألة: أنَّ عامل
النصب في (إذا) الظرفية الشرطية هو فعل الشرط لا جوابه.

مراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).

ثانياً: الكتب المطبوعة

- الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ١ - ١٩٩٣.
- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، المملكة المغربية، ط ٢ - ١٩٩٧.
- زتسيسلاف وأورزنيك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة وتعليق: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، ط ٢ - ٢٠١٠.
- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت (لبنان)، وسوشبريس الدار البيضاء - المملكة المغربية، ط ١ - ١٩٨٥.
- السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تخ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط ٢ - ١٩٦٤.
- صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة - مصر، ط ١ - ٢٠٠٠.
- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، والدار البيضاء - المملكة المغربية، ط ١ - ١٩٩٨.
- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التلقي بين ياقوس وإيزر، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر، (د.ط) - ٢٠٠٢.

- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المملكة المغربية، ط ١ - ٢٠٠٠.
- علي فودة نيل، ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي، طباعة شركة مطابع المطوع، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط ١ - ١٩٨٥.
- الغدامي عبد الله محمد: القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، والدار البيضاء - المملكة المغربية، ط ١ - ١٩٩٤.
- فولفغانغ إيزر: فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الأدب -، ترجمة: حميد لحميداني والجلالي الكدية، مطبعة الأفق، فاس - المملكة المغربية -، تاريخ طبع الكتاب الأصلي ١٩٨٧، وتاريخ طبعة والترجمة، ١٩٩٥.
- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تخ: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ٢ - ١٩٦٧.
- مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، ط ٤ - ٢٠٠٤.
- محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط ١ - ١٩٩٩.
- محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي - دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ط ١ - ١٩٩٦.
- المرزباني أبو عبيد الله: معجم الشعراء، تخ: فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ط ١ - ٢٠٠٥.

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر، عمان - الأردن، ط ١ - ١٩٩٧.
- ابن هشام الأنصاري: شرح قصيدة بانة سعاد، دراسة وتحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، المكتبة الإسلامية للنشر، القاهرة - مصر، ط ١ - ٢٠١٠.

ثالثاً: الدوريات والمجلات

- عمار بلحسن: قراءة القراءة، مدخل سوسولوجي، مجلة التبيين الفصلية، تصدر عن الجاحظية، الجزائر، العدد: ٧ - ١٩٩٣.

التواصل المعرفي بين المدرسين النحوي والأصولي
كتاب الكوكب الدرّي للإسنوي (٧٧٢ هـ) أنموذجاً

أ. م. د. هديل عبد الحليم داود
كلية التربية للبنات - جامعة الموصل - العراق

أ. م. د. عائشة خضر أحمد هزاع
كلية التربية للبنات - جامعة الموصل - العراق



ملخص البحث

لم يكن النحو في نشأته أو تطوره بمنأى عن العلوم المعاصرة له، لاسيما (علم الأصول) الذي يعد أحد أهم روافده المعرفية والمنهجية والاصطلاحية.

ولقد كشفت دراسات سابقة كثيرة عن هذا التواصل الحاصل بينهما، وبينت مجالاته، وبخاصة فيما يربط علم النحو بعلم أصول الفقه، بل إن علم أصول النحو يكاد يكون نسخة كاملة عن أصول الفقه، لاسيما في المدونة الاصطلاحية ومنهجية التأليف والتبويب.

وعلاقة التأثير والتأثر بينهما واضحة وجلية، وسيقف هذا البحث على أهم فصولها في كتاب (الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية) للإمام جمال الدين الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ) بتحقيق عبد الرزاق السعدي عام ١٩٧٦ م وتحقيق آخر ل محمد حسن عواد عام ١٩٨٥ م، وهو كتاب يعتمد التبويب المعروف في التأليف النحوي؛ حيث ينقسم الي: باب في الأسماء، باب في الأفعال، باب في الحروف، باب في التراكيب ومعانٍ متعلقة بها.

ولم نعثر فيما طالعناه على دراسات سابقة تناولت مسألة التواصل بين علمي النحو والفقه في هذا الكتاب ذاته، ونطمع إلى بيان أهم مجالات ذلك ومباحثه.

ولقد اعتمد البحث المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء، للوقوف على أهم مظاهر هذا التواصل المعرفي وخصائصه.

ومن النتائج التي حققها البحث، أنه حصر بعض مظاهر التواصل المعرفي بين

العلمين، وأهمها:

- الاقتباسات المنهجية عند النحويين؛ حيث اعتمدها في أبوابهم النحوية.
- التقارض المصطلحي عند النحويين؛ حيث ظهرت في المدونة الاصطلاحية النحوية لكثير من مصطلحات الفقهاء.
- اعتماد الأصوليين عددًا من المباحث النحوية في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، والإفادة من تعدد الأوجه الإعرابية.

Abstract

Cognitive Communication between the Grammatical and Jurisprudential Lessons. The Book of the Al Kawkab Al Dorri (772 AH) by Al Asnawi as a model

**Dr. Hadeel Abdul-Haleem Dawoud
Dr. Aisha Khdhr Ahmed**

The origin of the development of grammar was not away from other contemporary sciences, especially the fundamental sciences which represent one of the most important sources of knowledge, methodology and terminology.

Previous studies have revealed the connection between them and stated its fields especially the one connecting syntax with the principles of jurisprudence. Rather it is a copy of the latter. According to our review of related literature, we haven't found previous studies that deal with communication between grammar and jurisprudence. The research has adopted the descriptive approach that depends on analysis and induction to consider the most important aspects of such communication.

Below are some of the research's results that limit some aspects of cognitive communication between the two sciences, :

- Methodological quotations in grammarians, where they adopted them in their grammatical sections.
- The terminological exchange in the grammarians; as it appeared in the grammatical record in many terms of the jurists.
- Fundamentalists' adoption a number of grammatical resources or references in devising the jurisprudential rules from the texts, and benefiting from the multiplicity of the inflectional aspects.

المقدمة

يعد التواصل بين العلوم سنة من سنن ديمومة الحركة العلمية قديماً وحديثاً، وتنعكس ثمرات هذا التواصل على كثير من الأمور تبياناً وفهماً. والتواصل بين النحو وأصوله والفقهاء وأصوله كان وما زال مظهراً مهماً من مظاهر تفاعل العلوم وتكاملها، ولقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - وهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي - سبباً في نشأة العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة ومعاجم، كما كان سبباً في نشأة العلوم الشرعية من عقيدة وتفسير وفقه وأصوله، ومن أهم العلوم اللغوية علم النحو، لأنه أكثرها ارتباطاً بالشريعة الإسلامية، ويعد شرطاً لبلوغ رتبة الاجتهاد في علوم الشريعة، وقرّر العلماء أن تعلمه فرض كفاية، لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع، ومعرفة الأحكام من دون أدلتها مستحيل، فلا بد من معرفة أدلتها، والأدلة راجعة إلى الكتاب والسنة، وهما إرثان بلغة العرب ونحوهم وصرفهم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والعلاقة بين النحو والفقهاء علاقة تأثير وتأثر، وكان لكتاب (الكوكب الدرّي) فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية) للإمام جمال الدين الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ) فضل في الكشف عن جانب كبير من هذه العلاقة، وأول مظاهر هذا التأثير هو منهج الكتاب؛ إذ عمد المؤلف (رحمه الله) إلى تقسيم الكتاب تقسيماً نحويّاً يستند إلى تقسيم النحاة للكلام: باب في الأسماء، وباب في الأفعال، وباب في الحروف، باب في التراكيب ومعانٍ متعلقة بها.

حُقِّقَ الكتاب بتحقيقين: الأول قام به (عبد الرزاق السعدي) وحصل به على شهادة الماجستير سنة ١٩٧٦ م، الثاني قام به محمد حسن عواد ١٩٨٥ م، ولقد اعتمدت الباحثتان التحقيقين؛ إذ أفادتنا من تحقيق (محمد حسن عواد) في توثيق

النصوص المقتبسة من كتاب الكوكب الدرّي، وفي الوقت نفسه أفادتنا من مقدمة التحقيق لـ (عبد الرزاق السعدي)، علماً بأننا لم نعتمدها في توثيق النصوص لتعذر الحصول على الكتاب المنشور، ولم يكن بين أيدينا إلا النسخة المخطوطة لرسالة الماجستير، وسنشير إلى ذلك في الهوامش.

ترجمة حياة الإسنوي:

كثيرة هي المصادر التي ترجمت حياة الإسنوي وأحداث عصره بشكل مفصل غني بالمعلومات. فإذا جئنا ننهل من هذه المصادر نبذة عن حياته تخبرنا أنه محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي القرشي الإسنوي، ويقال الإسنائي بكسر الهمزة وفتحها^(١).

ولد في (إسنا) في صعيد مصر^(٢)، سنة (٧٠٤هـ) وفيها أقام ونشأ وتلقى مبادئ علومه، وقد انحدر من أسرة علمية، فوالده من علماء (إسنا) وأخوه كان فقيهاً مصنفاً، وعمه كان عالماً فاضلاً فقيهاً، وابن عمه كان عالماً بارعاً ورعاً، واشتهر خاله في العلوم ومهراً في الجبر والهندسة.

شيوخه

أخذ الإسنوي العلم عن جمع من العلماء أشهرهم القطب السنباطي، والجلال القزويني، والمجد الزنكلوني، والقونوبي، وتقي الدين السبكي، والبدر التستري^(٣)، وتأثر الإسنوي كثيراً بأبي حيان الأندلسي صاحب (شرح التسهيل) و(ارتشاف الضرب)، وهذان الكتابان من الكتب التي ترددت كثيراً في الكوكب

١- ينظر على سبيل المثال: الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، الإرشاد، بغداد، ط ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ١/ ١١، الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، مقدمة المحقق: د. محمد حسن عواد، دار عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٠م، ص ١١٧.
٢- ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١/ ١٨٩.
٣- ينظر، طبقات الشافعية، ١/ ١٧٩.

الدري عند تأصيل المسائل الفقهية التي تُخَرَّج على فروع نحوية.

ومن تلاميذ الإسنوي الحافظ العراقي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المهراي، والامام الزركشي، وأولاد شيخه العلاء القولوبي الثلاثة محب الدين محمود، وبدر الدين حسن، وصدر الدين عبد الكريم^(٤).

مؤلفاته

للإسنوي مصنفات في جميع الفنون منها: «التمهيد في استخراج الفروع عن الأصول»، «ونهاية السؤل في شرح نهاية الوصول إلى علم الأصول» للقاضي البيضاوي، «وزوائد الأصول»، «والتنقيح في زوائد تصحيح التنبيه»، «وجواهر البحرين في تناقض الخبرين»، «وتلخيص الرافعي الكبير»^(٥).

منهج الإسنوي في كتابه

بدأت الملامح المنهجية لهذا الكتاب واضحة في المقدمة؛ إذ وَصَفَ منهجه وصفاً دقيقاً حين يقول «ثم بعد ذلك كله استخرتُ الله تعالى في تأليف كتابين ممتزجين بين الفنين المذكورين [يريد: العربية وأصول الفقه] ومن الفقه لم يتقدمني إليهما أحد من أصحابنا، أحدهما: في كيفية تخريج الفقه على المسائل الأصولية، والثاني: في كيفية تخريجه على المسائل النحوية؛ فأذكر أولاً المسألة الأصولية أو النحوية مهذباً منقحةً، ثم اتبعها بذكر جملة مما يتفرع عليها، ليكون ذلك تنبيهاً على ما لم أذكره»^(٦)، ويسترسل في بيان مدى الانسجام الحاصل بين القاعدة النحوية والفروع المُخَرَّج عليها وذلك بقوله: «إن الذي أذكره على أقسام، فمنه ما يكون جواب أصحابنا فيه موافقاً للقاعدة، ومنه ما يكون مخالفاً لها، ومنه ما

٤- ينظر، المرجع السابق، ١ / ١٨٠.

٥- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١ (د.ت)، ص ٣٠٥.

٦- الإسنوي، الكوكب الدري، ص ١٨٨-١٨٩.

لم أقف فيه على نقل بالكلية، فأذكر فيه ما تقتضيه القاعدة مع ملاحظة القاعدة المذهبية، والنظائر الفرعية، وحينئذ يعرف الناظر في ذلك مأخذ ما نصَّ عليه أصحابنا وفصلوه، ويتنبه به على استخراج ما أهملوه...»^(٧).

لقد انتهج الإسنوي هذا المنهج في عموم الكتاب، فهو يذكر المسألة أولاً على شكل قاعدة عامة، وقد يذكر معها آراء للنحويين فيها، ثم يُفَرِّع عليها جملة من الفروع، من هنا تتجلى أهمية الكتاب، فهو معالجة تطبيقية، أو درس عملي لمسائل مداراة على مسائل النحو، وأهميته وجديته كامنة في أنه مؤشر وعلامة ظاهرة للتفاعل والاتصال الجاد والمثمر بين علوم العربية وبين علوم الشريعة الإسلامية^(٨).

وقبل استقراء مسائل من كتاب الكوكب الدرّي لأبد من استشراف أوجه التواصل بين النحويين والأصوليين ومظاهره، وسنعمد أولاً إلى الوقوف عند مرجعيات التواصل، ثم أثر الفقه وأصوله في النحو، ثم أثر النحو في الفقه وأصوله، ثم نشرع بعرض مسائل منتخبة من كتاب الكوكب الدرّي.

مرجعيات التواصل

إن ظهور الإسلام حالة من حالات التواصل البشري الأممي، فدعوة الإسلام دعوة عالمية لم تختص بشعب دون آخر أو بديانة دون أخرى، وإنما هو كما قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم (ﷺ) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وتعاليم الإسلام بعالميتها استقطبت غير العرب ليدخلوا في الإسلام، ومن ثمّ دفعتهم الحاجة إلى فهم هذا الدين وتعلم العربية التي نزلت بها تعاليمه (القرآن ومن بعده السنة النبوية).

وعلى صعيد اللغة العربية كان لمجيء الإسلام دور حاسم في النقلة التاريخية

٧- المرجع السابق، ص ١٨٩.

٨- المرجع نفسه، ص ١٤٩.

التي عرفتها اللغة العربية، إذ انتقلت من لغة البداوة إلى لغة الحضارة ومن لغة مرتبطة ببيئة صحراوية محدودة تعبر عن المكونات البسيطة بطريقة يطبعها التجريد إلى لغة عالمية كونية أخرجت الإنسان إلى التفاعل مع الكون كله بشهادته وغيبه، بماضيه وحاضره ومستقبله، بفعل الرؤية الشمولية للكون والحياة والإنسان، كانت تلك هي النقلة الأولى، لتعقبها نقلة أخرى تمثلت فيما قَدَّم العربي المسلم من العلوم والمعارف مفجراً طاقات هذه اللغة، وما تدخره من رصيد بفعل خصوصيتها الاشتقاقية وكفايتها التداولية مؤسساً بذلك لغات واصفة، هي علم هذه الظاهرة، ومُشكلاً المفاهيم العلمية التي يقوم عليها مجتمع الحضارة الجديدة.^(٩)

ولما كانت اللغة من وسائل الاتصال الأساسية، انبرت اللغة العربية بخصائصها وسماتها هذه لتقوم بثلاث وظائف (وظيفة الاتصال، ووظيفة التعبير، ووظيفة التعبد)^(١٠) ومن الوظيفة الأخيرة تولد التفاعل والتواصل بين العلوم العربية والعلوم الشرعية، وفي هذا السياق يقول أبو البركات الأنباري: «إن أئمة الأمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه [أي النحو] شرط في رتبة الاجتهاد، وأنَّ المجتهد لو جمع جميع العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم من قواعد النحو ما يعرف به المعاني المتعلقة معرفتها به منه، ولو لم يكن ذلك علماً معتبراً في الشرع، وإلا لما كانت رتبة الاجتهاد متوقفة عليه، لا تتم إلا به، ثم لم تزل الأمة قاطبة منذ زمن الصحابة، والتابعين، والسلف الصالح، ومن بعدهم مع تكرار الأعصار في الأمصار، يدعون إليه ويحثون عليه...، وظاهر الأمر يقتضي الإيجاب، فإن

٩- ينظر عبد العزيز حميد، التقارض المصطلحي في العلوم - المصطلح اللساني أمودجاً، علامات ج ٣١، مج ٨ ذو القعدة ١٤١٩ هـ - فبراير ١٩٩٩ م، ص ١٦٩ - ١٧٠.

١٠- ينظر، عبد بن بيه، العلاقة بين اللغة والفقه الإسلامي، مجلة جذور، ج ٧، مج ٤، شوال ١٤٢٢ هـ - ديسمبر ٢٠٠١ م، ص ٣٣.

لم يُحمل على الإيجاب فالأنسب أن يُحمل على الاستحباب»^(١١) على هذا النحو تتجلى وظيفة التعبد للغة العربية؛ إذ «إنَّ ارتباط علماء النحو بالعلوم الدينية، وارتباط علماء المسلمين المشتغلين بهذا الفرع من العلوم الدينية، أو ذاك باللغة والنحو لم يكن ارتباطاً اختيارياً يمكن الاستغناء عنه، بل هو ارتباط إلزامي لا بدَّ منه؛ فالفقيه، أو المُحدِّث، أو المُفسِّر كان يعتقد أنَّ إتقان اللغة والنحو بصورة خاصة واجب من الواجبات الدينية الملزمة»^(١٢)، هذا من جانب، من جانب آخر بوسعنا أن نعد علم الفقه وعلم أصول الفقه من أهم العلوم التي جسدت التواصل بين العلوم الإسلامية، ولا سيما علم أصول الفقه، لأنَّه قواعد استدلالية تضبط منهج الفهم والاستنباط في المجال التشريعي، ويجمع بين النقل والعقل، والرأي والنص، معتمداً في ذلك على مجموعة من العلوم؛ لعل أهمها علوم اللغة العربية وعلم الكلام، ولا تتقيد تلك المشاركة بالقرآن الكريم والسنة النبوية فحسب، وإنما تتجاوز ذلك إلى كل شؤون الحياة، إذ تتمثل في الرؤية التي تجمع الفريقين بالمقصد وتفرقهم بالمنهج.

لقد غدا من المعلوم أن نشأة الحركة العلمية العربية تفجرت ينباعها مع ظهور الإسلام، ولا بد من التنويه إلى أن هذه الحركة كانت بواكيرها الأولى متداخلة ما بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، وأصبح من المقطوع أن العلوم العربية والإسلامية تنحدر من أصل واحد، وذلك راجع إلى أسباب^(١٣):

١- لأن مختلف هذه العلوم تنشأ في الأصل من أجل هدف واحد هو فهم النص القرآني.

١١- لمع الأدلة: ص ٩٥-٩٧. وينظر، رباح اليميني مفتاح، النحو العربي بين التأثير والتأثير، مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد ١١، العدد ٢، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠٠٩م، ص ١٣٤.

١٢- رباح اليميني مفتاح، النحو العربي بين التأثير والتأثير، ص ١٣٤.

١٣- ينظر، عبد العزيز حميد، التعارض المصطلحي في العلوم، ص ١٧٠-١٧١.

٢- تعدد التقاطعات بين هذه العلوم التي تشكل دليلاً على عدم استقلاليتها الأصلية.

٣- إنَّ النحويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين كانوا يغترفون من مصادر مشتركة ولاسيما ما له صلة بمعالجة اللغة وظواهرها وعلى رأسها كتاب سيبويه.

٤- ظاهرة الثقافة الموسوعية التي كانت من أهم سمات تلك العصور، فأغلب العلماء كانوا نحاةً وبلاغيين وأصوليين ومفسرين.

أثر الفقه وأصوله في النحو وأصوله

تباينت الروايات حول نشأة النحو العربي والإرهاصات الأولى التي أفضت إلى وضع قواعد تعين على ضبط اللغة وقواعدها، وهذه الروايات كما سنرى لا تخرج عن المبادرة الفردية الدافع فيها متباين تبعاً لكل رواية «فمن قائل إن عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو الذي أرشد أبا الأسود الدؤلي ولقنه مبادئ النحو، ومن زاعم أنه ألقى إليه أصولاً فاحتذى عليها أو نحاً نحوها... ومن قائل إن أبا الأسود هو صاحب الفكرة، وإن زياد بن أبيه لم يأذن له بتنفيذها بادئ الأمر ثم غير رأيه وأمره بالتنفيذ... ومن منكر لكل ذلك زاعماً أن طبيعة العصر عصر أبي الأسود الدؤلي طبيعة بدائية لا تهيب لأصحابها أن يؤلفوا ويقسموا ويضعوا القواعد والأصول»^(١٤).

وعلم النحو أخذ من لغة العرب، والقرآن نزل بلغتهم، ولما كان الهدف من نشوء العلوم العربية والإسلامية واحداً وتجمع حول مقصد واحد، وهو الحفاظ على القرآن من اللحن، نجد أن البدايات الأولى لهذه العلوم متوازية زمنياً، إلا أن

١٤- مازن المبارك، النحو العربي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص ٧٩، وينظر، الشارف لطروش، أثر الفقه وأصوله في الدرس النحوي العربي، حوليات التراث، ع-٥ / ٢٠٠٦م، ص ١.

علمي أصول الفقه والفقه قد سبقا النحو في تأصيل أركانه ومصطلحاته، ولا سيما أن النواة الأولى وضعها الإمام الشافعي في كتابه الرسالة، والدليل على ذلك أن المؤلفات النحوية التي اهتمت بالتفريع وقياس الفرع على الأصل، والأشباه والنظائر، وبيان العلل، هذه المؤلفات كلها كتبها أصحابها بعد زمن الأئمة الأربعة... فهؤلاء الأئمة هم الذين وضعوا علم أصول الفقه وأرسوا قواعده، وهذا يُظهر بجلاء أن علم أصول الفقه سبق النحو وأصوله، ومن ثم كان هو المؤثر في الثاني وليس العكس^(١٥).

وإذا جئنا نتبع مظاهر تأثر أصول النحو بأصول الفقه نجدها ماثلة في تلك الإشارة التي أوردها ابن جنبي (ت ٣٩٢هـ) في مقدمة كتابه (الخصائص) حين يقول: «وذلك أنا لم نرَ أحداً من علماء البلدين تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفاً أو حرفين في أوّله وقد تُعلّق عليه به»^(١٦) ويقصد بعلماء البلدين البصرة والكوفة، إن ظاهرة مقايسة أصول النحو بأصول الفقه نجدها في كتب نحوية كثيرة، فهذا ابن الأنباري حين يُعرّف أصول النحو يقول «أصول النحو أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله»^(١٧).

إن أثر الفقه وأصوله ماثل في أقوال النحاة، ويتجلى ذلك في مقدمات كتبهم التي أصّلوا فيها لقضايا النحو، وفي هذا السياق يقول جلال الدين

١٥- ينظر، أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ديوان المطبوعات، الجزائر، ١٩٨٣م، ص ٧٩، وينظر، الشارف لطروش، أثر الفقه وأصوله في الدرس النحوي العربي، حوليات التراث، ع-٥/٢٠٠٦م، ص ١.

١٦- ابن جنبي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ط ٢ (د.ت)، ص ٢/١.

١٧- أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م، ص ٨٠.

السيوطي (ت ٩١١هـ) في مقدمة كتابه (الاقتراح) «... وهو أصول النحو الذي هو بالنسبة إلى النحو مثل: أصول الفقه بالنسبة للفقه»^(١٨)، مشيراً إلى أنه أفاد من كتاب الخصائص الذي يذكر فيه ابن جني أنه أخذ أيضاً من الأصوليين في تقسيم كتابه وتبويبه^(١٩). ثم يعود السيوطي ليذكر أن المصادر التي اعتمد عليها تمثلت في متفرقات كتب اللغة، والعربية، والأدب، وأصول الفقه، وبدائع استخراجها بفكره، ورتبها على نحو ترتيب أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم^(٢٠).

ولابد من الإشارة إلى أن النحاة أفادوا من المنهج الذي سار عليه الأصوليون، فضلاً عن المصطلحات، لأن توظيف هذه المصطلحات بمعزل عن طريقة نظامية في التأليف لا يغني الدراسة النحوية، وبرزت مظاهر التأثير في تقسيم أصول النحو بتقسيم أصول الفقه، ولفظة (الأصول) تعني الأدلة أو الأسس أو القواعد (والفقه) هو العلم بالأحكام الشرعية العملية، فأصول الفقه هي أدلة الفقه، أو القواعد التي يبنى عليها الفقه، وبعبارة الأصوليين هو: «العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية»^(٢١)، ولما كانت أصول الفقه أدلة الفقه التي تتمثل بأدلة أربعة هي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، نجد أن النحاة قسّموا أصول النحو وفقاً لمقتضيات الدراسة النحوية إلى إجماع وقياس وسماع^(٢٢).

لقد أخذ النحويون عن الأصوليين مصطلحات كثيرة، فانعكس ذلك على

١٨ - جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ٥.

١٩ - ينظر، المرجع نفسه، ص ٦.

٢٠ - ينظر، المرجع نفسه، ص ٨.

٢١ - ابن الحاجب، مختصر المنتهى الأصولي، مع شرح العضد، المطبعة الأميرية ببولاق (د.ت). ١ / ١٨، وينظر، مصطفى جمال الدين، البحث الدلالي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٣.

٢٢ - ينظر، الإسنوي، الكوكب الدرّي، مقدمة المحقق. ص ١٩.

البنية المصطلحية لعلم النحو وأصوله، فغدا مطرزاً بمصطلحات من الفقه وأصوله، وإن تغيرت مفاهيم هذه المصطلحات تبعاً لتغير المنظومة المصطلحية الكلية، لأنَّ المصطلح عندما يغير انتماءه البنيوي لا يعاد بالقوة بالمفهوم نفسه،^(٢٣) ويبدو ذلك جلياً في المصطلحات التي أخذها النحويون عن الأصوليين ووظفوها بما يتوافق مع مفهومها في النحو.

أثر النحو في الفقه وأصوله

يبرز أثر أي علم في علم آخر من خلال العلاقة التي تربطهما وماهية الأثر هل هو آني أو ممتد، والعلاقة بين النحويين والأصوليين علاقة تواصلية تفاعلية تكاملية، تستند إلى القرآن الكريم والإرث النبوي الشريف، وإلى تلك الحاجة التي اقتضتها الإرهاصات الأولى لكل من علم النحو وأصوله وعلم الفقه وأصوله، بيد أن هذا التفاعل لم يقف عند البدايات، وإنما امتد وترسخ بعد أن غدت هذه العلوم تحتكم إلى أسس نظرية.

ولقد جاء علم النحو ليكون عاملاً من عوامل الحفاظ على القرآن من التحريف، وليكون أيضاً في الوقت نفسه علماً يستند إليه في كثير من الأحكام الشرعية، من هنا يعد علم النحو من علوم الآلة، إذ يجمع الأصوليون على أن إتقان علوم العربية فرض كفاية للفقهاء، وفي هذا السياق يقول الرازي «لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم كان العلم بشرعنا موقوفاً على العلم بهذه الأمور، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب»^(٢٤)، من هنا غدت دراسة علم النحو والوقوف على آراء النحاة في كل دقيقة من دقائق هذه العلم أمراً لا بد منه، من هنا نجد أن أكثر دارسي أصول الفقه هم ضليعون بعلوم العربية ولاسيما علم

٢٣ - ينظر، عبد العزيز حميد، التقارض المصطلحي في العلوم، ص ١٧٠.

٢٤ - الرازي، المحصول في علم الأصول، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م / ١ / ٢٧٥.

النحو، وفي هذا السياق يعجب الزمخشري من الذين يضعون من مقدار علوم العربية بين العلوم الإسلامية، فيرد مدافعاً عنها محاججاً بها حين يقول: «والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم، وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب، والتفسير مشحونة بالروايات عن سيبويه، والأخفش، والكسائي، والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين، والاستظهار في مأخذ النصوص بأقوالهم والتشبهت بأهداب فسرهم وتأويلهم، وبهذا اللسان مناقلتهم للعلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم»^(٢٥)، إننا إذ نورد هذه المقولات لانروم إثبات أثر النحو في الفقه وأصوله خاصة وعلوم العربية عامة، لأن الأثر حقيقة ماثلة في الواقع الفعلي الملموس لهذه العلوم، تؤصله كتب اللغة والفقه وأصوله، وتتجلى في الأحكام الفقهية التي تتخرج من القواعد النحوية مأخوذاً فيها أقوال النحاة وآراؤهم، من ذلك ما نجد في كتاب (المحصول) للرازي على سبيل المثال، إذ يورد مسائل تعد توقيعات لهذا التفاعل فهناك باب أسماء (في تفسير حروف تشتد الحاجة في الفقه إلى معرفة معانيها)^(٢٦)، عالج فيه مسائل في الواو، مخالفاً النحاة بما ذهبوا إليه في أن الواو لمطلق الجمع ذاكرةً أن لها وجوهاً فيها، هذا إلى جانب مسائل أخرى في حروف العطف^(٢٧).

من هنا كانت القاعدة النحوية مدخلاً يلج من خلالها الأصولي إلى الحكم الشرعي، ومن دون الاكتفاء بما يذكره النحاة، بل يتوغل في المسائل النحوية

٢٥- الزمخشري، المفصل، أوفيس، دار الجيل (د.ت)، ١/ ١٨، وينظر، مصطفى محمد الفكي، أثر النحو في المسائل الفقهية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ع ١٠٤، ١٠٤٢٦-٢٠٠٥م، ص ١٥٢.

٢٦- الرازي، المحصول في علم الأصول، ص ١/ ٥٠٧.

٢٧- المرجع نفسه، ص ١/ ٥٠٧-٥٣٨.

مازجاً إياها بمقاصد المتكلم ونيته، وعلى هذا النحو يتبدى أنّ «اشتراط التعمق في علم النحو لدارس الأصول كان له أثر بليغ في استخراج الأحكام، لأن النحو يمنحه ملكة قوية في اجتهاده ويفتح له آفاقاً واسعة في استنباط الفروع من أصولها، فهو علم مرتبط بتوجيه التركيب اللفظي وبيان دلالاته التي تختلف من تركيب إلى آخر، وكم من المسائل الشرعية يختلف الحكم فيها تبعاً لاختلاف التركيب ومدلوله»^(٢٨).

التواصل بين النحاة والأصوليين من خلال كتاب الكوكب الدرّي

إنّ الإسنوي وهو يضع لبنات هذا الكتاب قدّم للدارسين والباحثين في علوم العربية جهداً علمياً كشف من خلاله عن فهم الأصوليين لوظيفة النحو، التي تتمثل في معرفة تأليف الكلام العربي كما نطق به الفصحاء من العرب سواء تعلق بهيئة تأليفه جملةً من ناحية التقديم والتأخير، والحذف والإضمار، والفصل والوصل، أم تعلق بأجزائه التي ائتلف منها من ناحية الإعراب والبناء والتعريف والتنكير وأمثالها، ودلالة كل ذلك على المعاني التي كان يقصدها العرب بكلامهم، مما عزف عنه النحويون المتأخرون، واستأثر بها إخوانهم البلاغيون في مباحثهم في باب علم المعاني^(٢٩).

قسّم الإسنوي كما ذكرنا آنفاً كتابه على أبواب أربعة: الباب الأول في الأسماء، والباب الثاني في الأفعال، والباب الثالث في الحروف، والباب الرابع في التركيب ومعانٍ متعلقة بها، مقسماً هذه الأبواب على فصول، وقسّم الأخيرة على مسائل، وفي ثنايا عرضه للمسائل تبرز دقته وأمانته في النقل عن غيره، «فهو لا يكاد ينقل قولاً أو حكماً إلا وذكر قائله موضحاً فيما إذا كان قائله ناقلاً أيضاً، ويزيد

٢٨- عبد القادر السعدي، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، مطبعة الخلود، بغداد، ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩م، ص ٣٩.

٢٩- ينظر، مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، ص ٢٩.

النقل أمانة ووضوحاً حين يذكر اسم الكتاب المنقول عنه مع الإشارة إلى موضع المسألة بالتحديد أو بالتقريب فيذكر اسم الباب والفصل والمبحث، ليسهل على الباحث مراجعة ذلك دون عناء أو مشقة، وهذا دليل على سعة اطلاع الإسنوي وقوة ذاكرته^(٣٠). ومسائل الكتاب بعد ذلك مسائل نحوية فقهية، تبرز من خلالها سمة التلاقح المعرفي البناء، إذ تعد المسائل النحوية بمثابة الأساس الذي تبنى عليه الأحكام الفقهية؛ فالنحو - هنا - أصل والفقه فرع مبني عليه^(٣١).

وسنعمد في هذا المحور إلى الوقوف عند عدد من المسائل، بحسب ترتيبها في الكتاب. ولا بد من التنويه في هذا المقام إلى أن الباحثين إذ توردان هذه المسائل دون غيرها، مما سطره الإسنوي في ثنايا كتابه من مسائل ليس من باب المفاضلة بينها بتفضيل إحداها على الأخرى، وإنما كان سبب اختيارها نابغاً من كونها أقرب إلى فهم القارئ غير المختص بعلم الفقه وأصوله، فضلاً عن أنه روعي في هذا الاختيار مبدأ التنوع في المسائل المطروحة.

أولاً: باب الأسماء

أخذ هذا الباب حيزاً كبيراً من كتاب الكوكب الدرّي؛ إذ يتألف من عشرة فصول عالج فيها خمساً وخمسين مسألة، توزعت مسائله بين الكلام والمضمرات والموصولات والمعرف بالأداة والمشتقات والمصدر والظروف، فضلاً عن مسائل أخرى متعلقة بالألفاظ متفرقة، ومسائل متعلقة بالثنائية والجمع، وختم الباب بالألفاظ الواقعة في العدد.

من ذلك مسألة في فصل الكلام، إذ يقول الإسنوي «كما يطلق الكلام في اللغة على اللفظ، يطلق أيضاً على المعاني النفسانية، والصحيح في الارتشاف

٣٠- الإسنوي، الكوكب الدرّي، مقدمة المحقق: عبد الرزاق السعدي، ص ٣٠.

٣١- ينظر، المرجع نفسه، ص ١٤٨.

وغيره أنه إطلاق مجازي، وقيل مشترك بينهما، وحكى غيره قولاً ثالثاً أنه حقيقة في النفساني دون اللساني، إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة ما إذا حلف لا يتكلم أو لا يقرأ أو لا يذكر، فإنه لا يحث إلا بما يتكلم به بلسانه دون ما يجريه على قلبه»^(٣٢).

وفي (فصل في الظرف) يعالج مسألة للاسم (مع) ذاكراً أن (مع) اسم لمكان الاصطحاب أو وقته على حسب ما يليق بالاسم^(٣٣)، وهو بذلك يوافق النحاة في كون (مع) تدل على الصحبة، فقال الخليل (ت ١٧٥هـ) «وأما (مع) فهو حرف يضم الشيء إلى الشيء: تقول: هذا مع ذلك»^(٣٤)، ونص سيبويه (ت ١٨٠هـ) على كونها للصحبة بقوله «ومع هي للصحبة»^(٣٥)، وأفاد الفراء - فيما يبدو - مما ذكره الخليل، وكان ذلك في معرض تعليقه على قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، إذ فسّر معنى (إلى) في الآية الكريمة بـ (مع)، أي من أنصاري مع الله، معللاً ذلك أنه يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضمنت الشيء إلى الشيء بما لم يكن معه لقول العرب: إن الذود إلى الذود أبل، أي إن ضمنت الذود مع الذود صارت إبلاً، فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصح (مع) مكان (إلى) ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير^(٣٦)، وانطلاقاً من هذه الدلالات يتخرج من فروع هذه المسألة ما إذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق طلقاً أو معها

٣٢- المرجع السابق، ص ١٩٩، وينظر، أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢ / ٨٣١.

٣٣- الإسنوي، الكوكب الدرّي، ص ٢٥٤.

٣٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ت)، ص ١ / ٩٥.

٣٥- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨، ٤ / ٢٢٨، وينظر: عبد القادر السعدي: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، ص ١٩٧.

٣٦- ينظر، الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢ ١٩٨٠ م، ١ / ١٩٦.

طلقة فإنها تطلق طلقتين، ويقعان معاً بتمام الكلام، وقيل يقعان متعاقبين^(٣٧)، إنَّ استنباط هذا الحكم مستفاد من دلالة (مع) على المصاحبة، والمصاحبة تتحقق دلالتها باثنين أو أكثر، من هنا تطلق المرأة طلقتين في مقولة الرجل لزوجته. وتتجلى دقة المصاحبة من دون تقدم ولا تأخر في الخلاف الذي أورده الإسنوي في قوله: «ومنها: لو حلف لا يخرج من البلد، إلا معها، فخرجا، ولكن تقدم بخطوات، فوجهان، حكاهما الرافعي: أحدهما لا يحنث للعرف، وصححه في الروضة من زوائده، والثاني: أنه لا يبر إلا إذا خرجا بلا تقدم»^(٣٨) فالوجه الأول تبنى العرف، وهو خروجهما معاً على معنى المصاحبة التي لا يراعى تقدم أحدهما على الآخر في المشي، أما الوجه الثاني فمأخوذ فيه معنى المصاحبة من دون تقدم أو تأخر. والأصوليون في تحليلهم هذا يراعون أكثر من جانب: الجانب اللغوي التداولي، والجانب اللغوي الذي يراعى فيه مراد المتكلم ونيته.

وقد يتقيد الحكم بالمصاحبة الزمانية، ومنها ما ذكره الإسنوي: إذ قال: إن كلمت زيدا وعمراً، وبكر مع عمرو فأنت طالق (فلا بد من كلام زيد وعمرو)، والأصح - كما قال الرافعي - اشتراط كون بكر مع عمرو وقت تكليمه، قال: كما لو قال: وإن كلمت فلاناً وهو راكب^(٣٩).

واللافت للانتباه في نظرات الأصوليين على مستوى الألفاظ والجمل لا يمكن بمكان أن يقارن بنظرات النحاة، فالأصولي ينطلق من القاعدة النحوية موظفاً إياها في تخريج الحكم الفقهي، بيد أنه لا يقف عند ذلك، وإنما يأخذ في حسابانه المخاطب ومقاصده وأحواله أثناء الكلام وظروف الخطاب، ومن ثم قد ينقض الحكم أو يثبتته مستنداً في ذلك إلى نية المتكلم ومراده، وهذا يعد من المباحث الدلالية التي قلما التفت إليها النحاة ولاسيما المتأخرون.

٣٧- ينظر، الإسنوي، الكوكب الدرّي، ص ٢٥٤.

٣٨- المرجع نفسه، ص ٢٥٤.

٣٩- المرجع نفسه، ص ٢٥٦.

وفي مسألة أخرى يتعرض الإسنوي لـ (غير)، وهذا الاسم عند النحاة له أكثر من استعمال، إذ تستعمل في الاستثناء، وترد نعتاً للنكرة أو لشبهها وهو الغالب، إذ إنَّ «أصل (غير) أن يوصف بها لما فيه من معنى الاسم الفاعل ألا ترى أن قولك: زيد غير عمرو، معناه مغاير لعمرو، والموصوف بها إما نكرة محضة نحو ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فغير وصف صالح ولا أثر لإضافتها إلى الموصول، لأنها لا تتعرف بالإضافة»^(٤٠). وإما أن يرد (غير) وصفاً للمعرفة المراد بها الجنس نحو قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ إذ (غير) مجرورة، لأنها نعت (الذين) المراد بها جنس لأقوام معينين وليست للاستثناء، إذ لو وردت منصوبة لكانت استثناءً^(٤١).

وكما أسلفنا فإن الأكثر في (غير) أن تكون نعتاً، فتفيد مغايرة مجرورها للمنوع ذاتاً أو صفة، وهو اسم معناه مختلف عن الشيء الذي أضيف إليه^(٤٢)، وشاع استخدام (غير) في مواضع الاستثناء لتضمنها معنى المخالفة والمغايرة، والمغايرة أعم من الاختلاف، لأن الغَيْرَيْنِ قد يكونان متفقين في الجوهر بخلاف المختلفين^(٤٣)، ويحذو الإسنوي حذو النحاة في الكلام عن (غير) في أنها «أصل غير هو الصفة، وأن الاستثناء بها عارض بخلاف (إلا) فإنها بالعكس، ويشترط فيها - أي في غير - أن يكون ما قبلها ينطلق على ما بعدها، فنقول: مرت

٤٠- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت)، ص ١ / ٣٦٠.

٤١- ينظر، ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، مصر، ط ١ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ٣ / ٢٧٥، عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط ٥ ١٩٨٠م، ٢ / ٣١٨.

٤٢- ينظر، المبرد، المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ٤ / ٤٢٢، أوضح المسالك، ٣ / ١٥٢، حاشية الخضري، ١ / ٢١٦.

٤٣- ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته محمد خليل عيناتي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٢٧١.

برجل غير عاقل، ولا يجوز أن تقول: مررت برجل غير امرأة، ولا رأيت طويلاً غير قصير، بخلاف لا النافية فإنها بالعكس، نعم إن كانا علمين جاز العطف بلا (النافية) وبغير^(٤٤)، ويعقب على هذه القاعدة بمسألة فقهية منطلقاً من القاعدة النحوية التي تقرر أن غير أصلها صفة، من ذلك إذا قال: عليّ درهم غير دائق^(٤٥)، ويشير الإسنوي في هذا المقام إلى أقوال النحاة في أنه إن رُفِعَ (غير) فعليه درهم كامل على اعتبار أنه صفة، والمعنى درهم لا دائق، وإن نصب فقال الفارسي إنه منصوب على الحال واختاره ابن مالك، فعلى هذا يلزمه درهم كامل، وقيل إنه منصوب على الاستثناء - وهو المشهور - فيلزمه خمسة دوائق. على هذا النحو يختلف الحكم الفقهي باختلاف الوجوه الإعرابية التي يحتملها الاسم (غير) في هذا السياق.

ثانياً: باب الأفعال

عالج الإسنوي في هذا الباب مسائل توزعت بين الفعل المضارع، والفعل الماضي، والفعل كان، والفعل ليس، ودلالة صيغة تفاعل، والفعل رأى، والفعل كاد.

ومن المسائل ما له صلة بزمن الفعل ولا سيما الفعل المضارع، إذ يتمحور اهتمام الأصوليين حول دقائق قد لا يلتفت إليها دارسو النحو، يقول الإسنوي في هذا السياق: «المضارع فيه خمسة مذاهب أحدها أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال والثاني عكسه والثالث أنه في الحال حقيقة ولا يستعمل في الاستقبال أصلاً لا حقيقة ولا مجازاً والرابع عكسه والخامس قال في الارتشاف^(٤٦) وهو المشهور وظاهر كلام سيبويه أنه مشترك بينهما». كما هو ظاهر فإن الجانب المقتبس

٤٤ - الإسنوي، الكوكب الدرّي، محمد حسن عواد، ص ٢٧٥.

٤٥ - الدائق والدائق من الأوزان، وهو سدسي الدينار والدرهم، وفي الحديث: لعن الله الدائق ومن دتّق الدائق، كأنه أراد النهي عن التقدير والنظر في الشيء الحقيق التافه، ينظر، لسان العرب ١٠ / ١٠٥.

٤٦ - ينظر، أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب: ٤ / ٢٠٢٩.

خاص بزمان الفعل المضارع، وتنحو القضية بعداً أدق عندما تتخذ هذه المعالجة منحى يتصل بنوع الزمن هل هو حقيقة أو مجاز، إذ سنشهد حالة من التماهي المعرفي البناء، كاشفة في الوقت نفسه عن جهد الأصوليين في مقاربتهم لآراء النحاة، من ذلك قول الإسنوي: «إِذَا قَالَ الْمُدَّعِي عَلَيْهِ أَنَا أَقْرَبُ بِمَا يَدْعِيهِ وَقِيَاسَ مَا سَبَقَ أَنْ يُقَالَ إِنْ قُلْنَا أَنَّ الْمَضَارِعَ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ فَقَطَّ كَانَ إِقْرَارًا وَإِنْ قُلْنَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَقَطَّ فَلَا، لِأَنَّهُ وَعَدَ، فَإِنْ قُلْنَا إِنَّهُ مُشْتَرِكٌ وَحَمَلْنَا الْمَشْتَرَكَ عَلَى جَمِيعِ مَعَانِيهِ إِذَا لَمْ تَقُمْ قَرِينَةٌ كَانَ أَيْضًا إِقْرَارًا، وَإِنْ قُلْنَا لَا يَحْمِلُ فَإِنْ جَوَّزْنَا الِاسْتِعْمَالَ سُئِلَ عَنِ الْمُرَادِ وَعَمِلَ بِهِ فَإِنْ تَعَذَّرَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ عَمَلًا بِالْأَصْلِ». فتخريج الأصل الفقهي ها هنا يتأسس على المذهب الذي يتبناه الأصولي، وإقرار المدعي عليه في قوله: (أنا أقرب) مرهون بتوجيه دلالة المضارع الزمنية على الحال والاستقبال وتراوح الأخيرتين بين الحقيقة والمجاز.

وسنقف عند مسألة تتعلق بالفعل (رأى) الذي يذكر له النحاة أكثر من دلالة، فهو تارة بمعنى الرؤية القلبية اليقينية، وتارة بمعنى الظن، ويأتي بمعنى الرؤية البصرية، أي بمعنى (نظر) وهنا لا بد من التنويه إلى أن اهتمام النحاة بمعاني (رأى) يعزى إلى تغير أثرها بالجملة تبعاً لتغير دلالاتها فهي إذا جاءت بمعنى اليقين - الرؤية القلبية - وبمعنى الظن، تأخذ مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وإذا جاءت بمعنى الرؤية البصرية أخذت مفعولاً واحداً، أما الأصوليون فموضع اهتمامهم في هذه المسألة هو دلالات الفعل (رأى)، يقول الإسنوي في هذا السياق: رأى يستعمل بمعنى علم، ومنه قول الشاعر^(٤٧):

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودًا

أي علمت، وبمعنى ظن كقولهم: رأى الأئمة الأربعة كذا وكذا، أي أدى

٤٧ - البيت لخداش بن زهير، ينظر، المقتضب ٤ / ٩٧.

اجتهادهم إليه وغلب على ظنهم، ومن ذلك إطلاق أئمة أصحابنا بخراسان أهل الرأي على الحنفية لاستعمالهم الأقيسة كثيراً، فالرأي هنا بمعنى القياس، واستنباط الأحكام بطريق العقل، وفي استنباط الأحكام أفاد الأصوليون من دلالات رأي كما أسلفنا، وذلك حين يقول الإسنوي: «إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة ما إذا قال لغيره: أنت تعلم أن العبد الذي في يدي حر، فإننا نحكم بعقته، لأنه قد اعترف بعلمه، ولو لم يكن حراً، لم يكن المقول له عالماً بحريته، ولو قال: أنت تظن أنه حر، لم نحكم بعقته، لأنه قد يكون مخطئاً في ظنه، فلو قال: أنت ترى، فيحتمل العتق وعدمه، لأن الرؤية تطلق على العلم وعلى الظن»^(٤٨).

إنّ اللافت للانتباه في هذه المسألة هو الأخذ بالمعنى الظاهر للفعل من دون النظر إلى مقاصد المتكلم ونيته، ولعل ذلك يُعزى إلى أن دلالة الفعل لا تحتمل تأويلات أكثر من تلك المتعارف عليها عند النحاة.

ثالثاً: باب الحروف

عالج الإسنوي في هذا الباب مسائل في حروف الجر، والحروف النواصب للفعل، وحروف العطف، ومسائل في لو، ولو لا، وفي تاء التأنيث، وفي حروف الجواب، ومسائل في حروف متفرقة.

ولقد كانت السمة السائدة هي الإفادة مما في الحروف من معانٍ تتحدد بمقتضاها الأحكام الفقهية، إذ تنقيد الأخيرة بدلالة الحرف، من هنا يعد هذا الباب من المباحث التي كان للأصوليين عندها وقفات طويلة ومعقدة، ومرد ذلك إلى أن لهذه الحروف معانٍ كثيرة بحسب السياقات التي ترد فيها تتناسب في الوقت نفسه مع ما يحتمله هذا الحرف من معانٍ. من ذلك حرف الجر (من) «تُسْتَعْمَلُ لِمَعَانٍ مِنْهَا التَّبَعِيضُ كَقَوْلِكَ أَخَذْتَ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَتَعْرِفُ بِصِلَاحِيَةِ إِقَامَةِ صِيغَةِ بَعْضٍ مَقَامَهَا

٤٨ - الإسنوي، الكوكب الدرّي، ص ٣١٣.

فَنَقُولُ فِي مِثَالِنَا أَخَذَتْ بَعْضَ الدَّرَاهِمِ، إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَمِنْ فُرُوعِ الْمَسْأَلَةِ مَا ذَكَرَهُ الرَّافِعِيُّ فِي الطَّلَاقِ، أَنَّهُ إِذَا قَالَ لِرُؤُوسِهِ: اخْتَارِي مِنْ ثَلَاثِ طَلَقَاتٍ مَا شِئْتَ، أَوْ طَلَّقِي نَفْسَكَ مِنْ ثَلَاثِ مَا شِئْتَ، فَلَهَا أَنْ تَطْلُقَ نَفْسَهَا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، وَلَا تَمْلِكِ الثَّلَاثَ»^(٤٩)، وَاسْتِنَادًا إِلَى دَلَالَةِ التَّبْعِيضِ لِهَذَا الْحَرْفِ تَقْيِيدَ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ فِي أَنَّهُ جَازٌ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَطْلُقَ نَفْسَهَا طَلْقَةً وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، وَلَا تَمْلِكُ أَنْ تَطْلُقَ نَفْسَهَا ثَلَاثَ طَلَقَاتٍ، لِأَنَّ دَلَالَةَ التَّبْعِيضِ تَنْتَفِي فِي الطَّلَاقَاتِ الثَّلَاثِ، وَتَتَحَقَّقُ فِي مَا دُونَ ذَلِكَ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ (فِي) إِذْ يَذَكُرُ النِّحَاةَ أَنَّهَا تَفِيدُ الظَّرْفِيَّةَ الْمَكَانِيَّةَ أَوْ الزَّمَانِيَّةَ، مُضَيِّفِينَ أَنَّ لَهَا مَعَانِيَّ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَوْسِعُ فِي مَعْنَى الظَّرْفِيَّةِ، مِنْهَا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الْبَاءِ، وَبِمَعْنَى مَعَ، وَبِمَعْنَى إِلَى، وَبِمَعْنَى عَلَى، وَقَدْ تَأْتِي فِي مَوَاضِعَ فَتَفِيدُ التَّعْلِيلَ^(٥٠)، وَالْإِسْنَوِيَّ حِينَ يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَرْفِ لِيَعْرُضَ مَسْأَلَةً عَلَى صِلَةِ بَدَلَالَةِ (فِي) عَلَى الظَّرْفِيَّةِ لَا عَلَى أَنَّهَا حَرْفُ جَرٍّ، يَتَجَلَّى لِلْقَارِئِ أَنَّ مَعَالِجَاتِ الْأَصُولِيِّينَ لِلْمَسَائِلِ النُّحَوِيَّةِ تَأْتِي مَكْمَلَةً لِمَعَالِجَاتِ النُّحَوِيِّينَ مِنْ خِلَالِ تَرْكِيزِهِمْ عَلَى الدَّلَالَةِ وَسِيَاقِ الْمَقَامِ وَالْمَقَالِ، فَيَقُولُ «الظرفية المستفادة من (في) ظرفية مطلقة، أي لا إشعار لها بكون المظروف في أول الظرف أو آخره أو أوسطه»^(٥١)، وَيَفْصَلُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَيَقُولُ «ومنها إذا قال: أنت طالق في يوم كذا، طلقت عند طلوع الفجر من ذلك اليوم لأن الظرفية قد تحققت، وفيه قول: إنها تطلق عند غروب الشمس»^(٥٢).

وَاسْتِنَادًا إِلَى قَوْلِ الْإِسْنَوِيِّ نَجِدُ أَنَّهُ أَفَادَ مِنْ دَلَالَةِ الظَّرْفِيَّةِ لـ(فِي) فِي جَزَائِيَّةٍ لَمْ يَشِرْ إِلَيْهَا النِّحَاةُ، وَذَلِكَ حِينَ يَعْقِبُ عَلَى عِبَارَةِ (ظرفية مطلقة) قائلًا: أي لا إشعار لها بكون المظروف في أول الظرف أو آخره أو وسطه، والظرف هنا يشمل

٤٩- السابق، ص ٣١٦.

٥٠- ينظر، المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ونديم فاضل، المكتبة العربية، حلب، ط ١٣٩٣هـ-١٩٧٤م، ص ٤١-٤٢. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك، القاهرة للطبع والنشر ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص ٥٠-٥١.

٥١- الإسنوي، الكوكب الدرّي، ص ٣٢٣.

٥٢- المرجع نفسه، ص ٣٢٣.

الزمان والمكان على حد سواء.

ولعل هذا التفصيل في دلالة (في) متأتٍ من حاجة الأصوليين إليه ولاسيما أن هذه الدلالة يترتب عليها حكم شرعي، فلا بد من التفصيل والنظر في المسائل بدقة.

ولقد عوّّل الأصوليون كثيرًا على القاعدة النحوية، موظفين انفتاح المسألة النحوية على أكثر من معنى في توجيه الحكم الشرعي، آخذين بالاعتبار الدلالة العرفية، والدلالة السياقية، والدلالة النفسية واعتبارات كثيرة أخرى كشفت عن عمق نظراتهم لتتجاوز في تحليلها البعدين النحوي واللغوي لتنفذ إلى آفاق أبعد تصل بنا إلى صلب مباحث علم الدلالة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وهذا ما تميز به الأصوليون في معالجتهم للمسائل النحوية عن النحاة وحتى اللغويين والبلاغيين.

رابعاً: باب في التراكيب ومعانٍ متعلقة بها

عالج الإسنوي في باب التراكيب مسائل توزعت بين الاستثناء، والحال، وتمييز العدد، والقسم، والعطف، والنعته، والتوكيد، والبدل، والشرط والجزاء، ومسائل متفرقة. ومما تجدر الإشارة إليه أن ما يعرضه الإسنوي من القاعدة النحوية يتقيد بالفرع الفقهي المراد معالجته، أي أنه يوظف من الأصل النحوي الجانب الذي على صلة بالفرع الفقهي فقط من دون إسهاب في عرض تفاصيل القاعدة النحوية. على نحو ما نجد على سبيل المثال في فصل الاستثناء، وذلك حين يقول: «الاستثناء من الإثبات نفي ومن النفي إثبات، هذا مذهب سيبويه وجمهور البصريين، وقال الكسائي: إن المستثنى مسكوت عنه، فإذا قلت: قام القوم إلا زيدا، فهو إخبار عن غير زيد بالقيام، وأما زيد فيحتمل قيامه وعدم قيامه، وهو الأصل، إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة ما إذا قال له علي عشرة إلا

خَمْسَةَ أَوْ مَالَهُ عَلَيَّ شَيْءٍ إِلَّا خَمْسَةَ فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُ خَمْسَةَ»^(٥٣). فالجانب المذكور من موضوع الاستثناء مرهون ومتقيد بالمسألة الفقهية المعروضة، من هنا لن نجد عرضاً مفصلاً متكاملًا للقضايا النحوية في عموم الكتاب، وإنما هي أجزاء من أبواب النحو استدعى ذكرها الحكم الفقهي.

وفي سياق آخر يتعرض الإسني لتركيب يجمع بين أسلوبيين (الشرط والقسم) متبعا كما عهدناه في منهجه التوجيه النحوي، وذلك حين يقول: «إذا اجتمع شرط وقسم وليس معهما مبتدأ فيكون الجواب للمتقدم، ويحذف جواب المتأخر لدلالة الأول عليه، فعلى هذا تقول: والله إن قمت لأقومن باللام والنون لا بالجزم لأن الجواب للقسم لا للشرط ولو عكست فقلت: (والله إن يقيم والله أقم) لكان مجزوماً، لأن الجواب للشرط، وجواب القسم محذوف»^(٥٤)، وعند الرجوع إلى التوجيه النحوي نجد أن النحاة قد أقروا أنه إذا اجتمع شرط وقسم، فالجواب للسابق منهما، فإن تقدمها ذو خبر (مبتدأ أو ما أصله مبتدأ) جاز جعل الجواب لأي منهما، نحو «أنا والله إن أتيتني أكرمك، وذلك لأن المتقدم شرطاً كان أو قسماً يكون الكلام مبنياً عليه»^(٥٥)؛ فالتقدم في الرتبة مقدم في الاهتمام، ومن هنا كان إسناد الجواب له دون المتأخر، والأصوليون في هذه المسألة يبنون حكمهم الشرعي على رأي النحاة، إذ يقول الإسني في هذا السياق «فمن فروع المسألة ما إذا قال مثلاً لزوجته: والله إن قمت لتطلقن (والمتجه) فيه وقوع الطلاق عند القيام، وإن لم يكن موجوداً، لأن جواب القسم يقوم مقامه»^(٥٦).

٥٣ - الإسني، الكوكب الدرّي، ص ٣٧٤.

٥٤ - المصدر نفسه، ص ٤١٤.

٥٥ - ينظر، ابن الناظم بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل أنور، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٥٠٢. وينظر: الفراء، معاني النحو، ٤ / ١٠٠ - ١٠١.

٥٦ - الإسني، الكوكب الدرّي، ص ٤١٤.

ولقد تنوعت صياغة التراكيب الشرطية التي درسها الأصوليون، ولعل ذلك يرجع في جزء كبير منه إلى ما في الشرط من ميزة تركيبية تمنح الفقيه مساحة في النظر في دلالات الجمل ووجوه الأحكام الشرعية المستنبطة منها ولاسيما أنه متكون من شرط وجزاء، وتحقق الأخير مرهون بتحقق الشرط، واستنباط الحكم الشرعي من سياق أسلوب كهذا لا يتحدد بالمعنى الظاهر، وإنما بأحكام تتعلق بتحقق الشرط من عدمه وأحوال المتكلم والمخاطب عند الكلام وبجزئيات تتصل بفهم المخاطب لمقصد المتكلم، فمن هذه المسائل ما هو غامض لا تتضح إلا لمن له قدم راسخ في علم النحو، من ذلك المسألة التي ذكرها محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان في كتابه الجامع الكبير في كتاب الأيمان، وهي من المسائل الغامضة، وتتمثل في أنه إذا قال: أي عبيدي ضربك فهو حر، فضربه الجميع عتقوا، ولو قال: أي عبيدي ضربته فهو حر، فضرب الجميع لم يعتق إلا الأول منهم، وإن ضربهم معاً خيّر المولى في أحدهم ولا خيار للضارب^(٥٧)، ويعلق ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) على هذه المسألة بقوله «كلام هذا الخبر مسوق على كلام النحوي في هذه المسألة، وذلك من قبل أن الفعل في المسألة الأولى عام وفي المسألة الثانية خاص، وإنما قلنا ذلك، لأن الفعل في المسألة الأولى مسند إلى عام، وهو ضمير (أي)، وأي كلمة عموم، وفي المسألة الثانية خاص، لأن الفعل فيه مسند إلى ضمير المخاطب وهو خاص، إذ الراجح إلى أي ضمير المفعول والفعل يصير عاماً بعموم فاعله، وذلك أن الفاعل كالجاء من الفعل، وإنما كان كذلك، لأن الفعل لا يستغني عنه، وقد يستغني عن المفعول، فكأنه أحد أجزائه التي لا يستغني عنها... فبان بما ذكرناه أن الفعل والفاعل عندهم شيء واحد، فلذلك لما كان الفاعل في أي عبيدي ضربك عاماً صار الفعل

٥٧- ينظر، محمد بن الحسن الشيباني، الجامع الكبير، تصحيح: أبو الوفا الأفعاني، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ١٣٥٦هـ: ٣٩، ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبي، القاهرة (د.ت): ١ / ١٤، الكوكب الدرّي، ص ٤١٨.

عاماً، ولما كان الفاعل في أي عبيدي ضربته خاصاً، لأنه كناية عن المخاطب صار الفعل خاصاً، ولولا خوض هذا الإمام [محمد بن الحسن الشيباني] في لجة بحر هذا العلم النفيس ورسوخ قدمه فيه لما ألمَّ بفقهِ هذه المسألة ونظائرها مما أودعه كتابه^(٥٨) ولقد نقل الإسني هذه المسألة عن محمد بن الحسن الشيباني وأثبت الحكم الذي أثبتته.

على هذا النحو تكشف معالجات الأصوليين للمباحث النحوية عن جهودهم لوضع أصول استنباط الحكم الشرعي من النص، فكان ذلك حافزاً لدراسة النص العربي سواء كان قرآناً أو سنة، أو أيّ كلام عربي فصيح، لا لمعرفة ما يجب أن يكون عليه الأسلوب البليغ، بل لمعرفة ما يريده المتكلم بأي أسلوب بلاغي - من المخاطب - أيريد مثلاً إفادته مضمون الخطاب فقط، أم يطلب من وراء ذلك فعل شيء أو تركه، على نحو الإلزام بأحدهما أو التخيير ليستنبطوا من ذلك أحكام الوجوب أو الحرمة أو الإباحة^(٥٩).

٥٨ - ابن يعيش، شرح المفصل ١ / ١٤.

٥٩ - ينظر، مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، ص ١٠-١١.

الخاتمة

على هذا النحو تبرز جماليات التواصل والتفاعل المثمر بين العلوم؛ فمظاهر التأثير والتأثر سمة اجتماعية وعلمية وحضارية، وهي في الوقت نفسه سمة فكرية عميقة تثري الحركة العلمية بإضافات ما كانت لتكون لولا التفاعل والتداخل المعرفي الذي لم يأت جزافاً، وإنما اقتضته نسقية العلوم والمرتكزات التي تستند إليها لتتكامل مباحثها. ومظاهر التواصل بين النحويين والأصوليين تمثلت عند النحويين بتلك الاقتباسات المنهجية التي وظفوها بما ينسجم مع مباحثهم النحوية والتقارض المصطلحي الذي عمدوا إليه لإثراء الدرس النحوي، وهذا دليل على أن علم الفقه وعلم أصول الفقه متقدم في النشأة على النحو وأصوله. أما عند الأصوليين فتمثل التفاعل والتواصل بمعالجتهم للمباحث النحوية التي تنصب في إطار جهودهم لوضع أصول استنباط الحكم الشرعي من النص، فكان ذلك حافزاً لدراسة النص العربي سواء كان قرآناً أو سنة، أو أيّ كلام عربي فصيح، موظفين انفتاح المسألة النحوية على أكثر من معنى في توجيه الحكم الشرعي، آخذين بالاعتبار الدلالات العرفية، والسياقية، والنفسية واعتبارات أخرى كثيرة كشفت عن عمق نظراتهم لتتجاوز في تحليلها البعدين النحوي واللغوي وتنفذ إلى آفاق أبعد تصل بنا إلى صلب مباحث علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع، وهذا ما تميز به الأصوليون في معالجتهم للمسائل النحوية عن النحاة وحتى اللغويين والبلاغيين. وهذا ما نجده ماثلاً في كتاب الكوكب الدرّي، إذ ضم بين دفتيه ثمرات التفاعل الأصولي النحوي، التي يرجع للإسنوي الفضل في لفت الانتباه إليها، فاتحاً بذلك أمام الدارسين آفاقاً لمباحث علمية جديدة تأخذ على عاتقها استشراف مظاهر التفاعل بين النحويين والأصوليين والإضافات المعرفية التي جاد بها كل فريق.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ديوان المطبوعات، الجزائر، ١٩٨٣ م.
- الإسنوي الشافعي (ت ٧٧٢هـ)، الكوكب الدرّي: فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، تحقيق: د. محمد حسن عواد، منشورة دار عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
- الإسنوي الشافعي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، الإرشاد، بغداد، ط ١ ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.
- أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م.
- البيضاوي ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م ط ١.
- جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، المفصل في علم العربية، اوفيست، دار الجيل (د.ت).
- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦ م.
- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق:

- محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (ط) الأولى، (د.ت).
- ابن الحاجب المالكي (ت ٦٤٦هـ) مع شرحه، مختصر المنتهى الأصولي، طبع الأميرية ببولاق (د.ت).
 - أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العربية، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
 - خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ) وبهامشه حاشية للشيخ ياسين بن زيد الدين العلمي (ت ١٠٦١هـ)، شرح التصريح على التوضيح: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت).
 - الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عيناتي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
 - أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٠م.
 - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط ٥، ١٩٨٠م.
 - أبو العباس محمد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
 - عبد القادر السعدي، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، مطبعة الخلود، بغداد، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٩م.
 - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك، القاهرة للطبع والنشر، ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- أبو الفتح عثمان ابن جني (٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ط ٢ (د.ت).
- فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر العلواني، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢ م.
- أبو القاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ونديم فاضل، المكتبة العربية، حلب، (ط) الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤ م.
- ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي (ت ٦٧٢هـ) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدّم له: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.
- مازن المبارك، النحو العربي، دار الفكر، بيروت، ط ٣ ١٩٨١ م.
- محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ)، الجامع الكبير، تصحيح: أبو الوفا الأفعاني، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٥٦هـ.
- محمد الخضري (ت ١٢٨٧هـ)، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٤٥٣هـ - ١٩٧٤ م.
- مصطفى جمال الدين، البحث الدلالي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م.
- ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة مصورة، بولاق، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- ابن الناظم بدر الدين ابن النحوي (ت ٦٨٦هـ)، شرح ابن الناظم: تحقيق: محمد باسل أنور، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ابن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، مصر، ط ١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ياقوت الحموي (٦٢٣هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل: عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبّي، القاهرة (د.ت).

ثانيًا: الدوريات:

- رباح اليميني مفتاح، النحو العربي بين التأثر والتأثير، مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد ١١، العدد ٢، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠٠٩م.
- الشارف لطروش، أثر الفقه وأصوله في الدرس النحوي العربي، حوليات التراث، ع-٥/٢٠٠٦م.
- عبد العزيز حميد، التقارض المصطلحي في العلوم - المصطلح اللساني أمودجاً، علامات ج ٣١، مج ٨ ذو القعدة ١٤١٩هـ - فبراير ١٩٩٩م.
- عبد بن بيه، العلاقة بين اللغة والفقه الإسلامي، مجلة جذور، ج ٧، مج ٤، شوال ١٤٢٢هـ - ديسمبر ٢٠٠١م.
- مصطفى محمد الفكي، أثر النحو في المسائل الفقهية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد العاشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- الإسنوي، الكوكب الدري في كيفية تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، دراسة وتحقيق: عبد الرزاق السعدي رسالة ماجستير مخطوطة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

معلقة لبید بن ربیعة العامري
في ضوء المنهج العقلي

د. أحمد محمد الجراحشة

جامعة آل البيت

المملكة الأردنية الهاشمية



ملخص البحث

تتغيى هذه الدراسة الكشف عن دواعي قول لبيد بن ربيعة العامري معلقته الميمية الشهيرة، التي أنكر جلُّ النُّقاد القُدامى والمحدثين معرفة حدثها الجلل، الذي رَمَضَ نفس لبيد واستدر منه القول، وكان سبب ميلادها، ما أدى إلى تغريب معانيها عن موضوعها الرئيس في شروح المعلقات كافة.

وإن كنت مستفيداً في هذه الدراسة من كلِّ المناهج القديمة والحديثة من غير استثناء، إلا أنني وجدتني متوسلاً المنهج العقلي ومستنطقاً من خلاله كلَّ الأسماء الواردة في النَّص، ومتتبِعاً إيحاءاتها ودلالاتها الغائبة، ومعولاً على نيّة الشاعر، وهدفه الذي تُبيِّنُه دواعي القول القائمة في نفسه، ومستعيناً بعد ذلك كله بالمعاجم اللغوية والجغرافية.

الكلمات المفتاح: (التأويل، المنهج الهيرمنيوطيقي، مقام القصيدة، دواعي القول).

Abstract

Labeed Bin Rabeea-Al Amri's Long Poem (Mallaqa) in the Light of Intellectual Approach

Dr. Ahmad Mahmmad Mishrif Al- Harahsheh

This study aims at exploring the context of Labeed Bin Rabee'a's "Mu'allaqa" (long poem). Many old and modern critics have denied familiarity with the poem's critical incident, which grieved Labeed, enticed him to enunciate his concern, thus producing the piece. Within the Mu'allaqat's critical canon, this denial has led to interpretations that are beyond the poem's major theme.

Notwithstanding the fact that this study utilized all old and modern approaches, heavily relied on the intellectual approach with view at interpreting all signs in the text, their implications and hidden connotations. In addition to highlighting the poet's intention and objective as represented in the motives behind the piece per se. All was accomplished with reference to linguistic as well as geographical glossaries.

Key words: (Interpretation, Hermeneutics, Poem Structure, Motives).

تمهيد

نشأ المنهج العقلي قديماً في أروقة الحكمة والبلاغة اليونانية، وعُرف بالمنهج الهيرمينوطيقي، وكان أشهر من قطع شوطاً في تطير هذا المنهج قديماً أرسطو (Aristotle) في كتابه: «كتاب البلاغة وكتاب الشعر»، ثم هذب طرائقه علماء الإسكندرية فيما بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد، «وكان هؤلاء يدعون إلى تأويل النصوص تأويلاً مجازياً، ويعملون على إظهار معنى النص الخفي وكشف النقاب عن نية الكاتب ومراميه الخبيئة»^(١).

وتنبه إليه رجال الدين المسيحي بعد ذلك عندما شعروا بأن المعنى الحرفي الظاهر في النصوص الدينية لا يكشف عن مرامي معانيها الخفية^(٢)، ولا يبين مواطن الكلم، ولا يظهر بجلاء مقاصد النصوص المقدسة؛ فكان لا بد من البحث عن منهج يحقق لهم هذه الرغبة، فعمدوا إلى المنهج الهيرمينوطيقي؛ وقاموا بتأويل النصوص الدينية الواردة في التوراة، تأويلاً يحسن السكوت على نتائجه التي حازت على الرضى والقبول.

من المعروف أن المنهج العقلي يقوم على رؤية منطقيّة، مفادها أن لكل عمل أدبي هدفاً رئيساً جذرياً تدور حوله أجزاء العمل، وما من عمل فني راق إلا وخلفه عاطفة قويّة، دفعت الأديب إلى الكتابة دفعا، لا حيلة له بالتخلص من وطأته أو تجنبه إلاّ بمباشرة النظم والكتابة، ولا تشتعل العاطفة القويّة إلاّ بسبب حدث ما قويّ، رمض نفس الشاعر، فهيجه وأثار انفعالاته، ما دفعه إلى التسريّة عن نفسه بالنظم، ولتحقيق ما فشل في تحقيقه على أرض الواقع فيما يتعلق بباعث همومه التي أثارته عاطفته، فيحققه بالفن، أو لتسديد نقص ما نجم عن الحدث، فيكون

١- يُنظر: سحلول، حسن مصطفى: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص ٨١.

٢- المعاني المتعددة هي: الحرفي والمجازي والوعظي والباطني والنفسي.

فُنه محاولة لتسديد نقصه إرضاء لنفسه^(٣)، والأحلام العقلانيّة التي يمثلها الإبداع الفني تبدو لصاحبها وكأنّها عمليّة عقلية من عمليات الحياة العقلية أثناء اليقظة^(٤).

فالمذهب العقلي يفترض وجود فكرة محورية، أو معنىً جوهريةً ترتبط به معاني أجزاء العمل الأدبي، فيعتمد مبدأ التماسك والترابط؛ أي يوجب تأويل عناصر النصّ المتفرقة في ضوء المعنى الجوهرية المرتبط بهدف النشاط الفكري التصوري، اللغوي، وهو النصّ، ولا ييأس نقاد هذا المذهب من ردّ ما تفرق من العمل الأدبي إلى نيّة الكاتب التي أنشأته، وإلى أصله الأول، أو جذره العميق، الذي يضمن وحدة أجزائه ووحدة معانيه المتفرقة^(٥).

فعلى المؤلّ أن يترك سطح العمل الأدبي^(٦)، وينقّب في طبقات المعاني ليصل إلى مركزه الباطني، ويستنطق كلّ القرائن والتفاصيل من أسماء وصفات أشخاص وأماكن ومواقعها، ومشخصات البيئة الخارجيّة الجغرافيّة والاجتماعيّة، وسيجد أنّ كلّ ما هو منشور على سطح العمل الأدبي مربوط بخيط قوي إلى المركز يتعد عنه ولا يفارقه، والمركز يمثّل البنية العميقة المتعلقة بالقصد والهدف الأول من العمل الأدبي.

ولكي يكون التأويل مقبولاً؛ عليه أن يحافظ على قوّة الربط بينه وبين الدّوال النصّية الداخليّة والبنية الخارجيّة للنصّ، فلا يكون التأويل صحيحاً إذا خالف المعطيات الموضوعيّة التي نعرفها عن النصّ وظروف تأليفه وحياة المؤلّف ومذهبه^(٧) ومعتقده وقيمه الاجتماعيّة وجنسه.

٣- يُنظر: علي، كمال: أبواب العقل الموصدة، باب النوم وباب الأحلام، ط٢، دار واسط، ١٩٩٠م، ص٧١٧.

٤- المصدر نفسه، ص٧١٧.

٥- يُنظر: سحلول، حسن مصطفى: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، ص٨٧.

٦- المصدر نفسه، ص٨٧.

٧- المصدر نفسه، ص٢٧.

مسوّغات البحث:

جاءت مسوّغات هذه الدراسة من الحاجة إلى إعادة قراءة معلقة ليبيد بن ربيعة العامري؛ لمعرفة دواعي قولها، لاستكناه خفاياها، والتعرّف على مناسبتها التي أنكر معرفتها جلُّ النقاد القدامى، فغدا النَّصُّ مقطوعاً عن حدثه الجليل الذي دفع الشاعر دفعاً للنظم؛ تسريةً للهموم التي أرقت، فأجهدته واستدرّت منه القول، ومن المعلوم أنّ تحت كلِّ نصٍّ عالي القيمة عاطفةً قويةً فيّاضةً تجاه موضوعه الرئيس كانت سبباً في ميلاده.

الفرضيات:

بعد إعادة قراءة معلقة ليبيد بن ربيعة العامري قراءةً متأنيةً عميقةً جابذة: درساً وبحثاً واستقصاءً لبنى النَّصِّ الداخلية والخارجية، واستقراء دلالات أسماء الأعلام والأماكن الواردة فيه، وتتبع إحياءات الكلمات والعبارات وظلال معانيها الغائبة، تبين لي أنّ دافع ليبيد لقوله قصيدته هو رحيلهم من نجد موطنهم الأصلي إلى نجران رضوخاً لحكم القاضي جَوَّاب بن عوف بنفيهم إلى نجران.

وعليه يجب أن تأتي قصيدته مؤرّخةً لهذا الحدث العظيم في حياة ليبيد وحياة بني جعفر، يصفُ بها رحلةً تاريخيةً شقّت الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها مع ما رافقها من الشعور بالغبن من حكم النفي، وإحساس عميق بالحزن لمفارقة الديار، وحنيناً عميقاً خفياً إليها، وكانت كذلك.

دواعي قول القصيدة:

نزولاً على حكم جَوَّاب بن عوف زعيم بني أبي بكر بن كلاب بنفي بني جعفر، في مقتل ابن عروة بن عتبة بن جعفر العامري بيد أحد الغنوين من بني بكر بن كلاب، وقام منيع الجعفري بقتل مرة بن طريف منهم؛ ثأراً لدم ابن عروة، وقد

فشلت المفاوضات بينهم لبيوء الدّم بالدمّ، فتناوشوا حيناً ثم تقاضوا إلى جَوَّاب بن عوف، فحكم بنفي الجعفرين من ديارهم. شارك لبيد قومه بني جعفر في تنفيذ الحكم والارتحال عن ديارهم قاصدين أرض نجران في بلاد اليمن، وقد كان تأثير هذا النفي شديداً على لبيد، إذ كان يحنُّ إلى موطن صباه، ومرابع بلاده في نجد حيناً خفياً كحنين الفصيل إلى أمّه، وقد تهكّم لبيد على حكم جَوَّاب وسخر منه، مستغرباً نفي بني جعفر عن بلادهم، وهم أصحاب حق^(٨):

أَبْنِي كَلَابٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرٌ وَبَنُو ضَبِينَةَ حَاضِرُوا الْأَجْبَابَ^(٩)
 قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ، ثُمَّ لَطَّوْا دُونَهُ حَتَّى نَحَاكُمَهُمْ إِلَى جَوَّابٍ^(١٠)
 بَيْنَ ابْنِ قَطْرَةَ وَابْنِ هَاتِكِ عَرْشِهِ مَا إِنْ يَجُودَ لَوْافِدٍ بِخَطَابٍ^(١١)
 قَوْمٌ لَهُمْ عَرَفْتُ مَعَدُّ فَضْلَهَا وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ^(١٢)

أقام بنو عامر في منفاهم حولاً، وكان لبيد شديد الحنين إلى ديار قومه، وتزغمه كان هو الدافع وراء تتبعه لمخيلة المطر من منطقة إلى أخرى من ديارهم؛ حيث وصف وقع المطر ومساقطه، رابطاً بين المطر والأرض والقبيلة من منفاه في

٨- العامري، لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة العامري شرح الطوسي، ت: نصر الحتي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي ١، ١٩٩٣م، ص ٩.

٩- يخاطب لبيد بني كلاب مندداً بنفي بني جعفر وطردهم من أرضهم حيث الديار والآبار، بينما بقي بنو ضبينة الذين قتلوا عروة بن جعفر مقيمين على المياه، وضبينة من فروع بني غنى، والأجباب: الآبار جمع بئر.

١٠- ابن عروة: هو عروة بن جعفر، لطوا دونه: اللط: ستر الشيء والتغاضي عنه، والمراد بذلك امتناعهم عن تأدية الحق وما يتوجب عليهم من دية بسبب قتلهم إياه، وجواب: هو جَوَّاب بن عوف زعيم بن بكر بن كلاب، والقاضي الذي حكم عليهم بالنفي.

١١- ابن قطرة: أحد الملوك، ومثله هاتك. عرشه، أي الملك الذي فضحه وذهب بعزه - يقول كأنه أي جواب بن عوف سيد بني بكر الذي حكم بنفي الجعفرين محاط بهذين الملكين وهو بينهما تياه مستكبر، لا يوجد لوافد بخطاب؛ أي متكبر ومتعال على كل من يفد إليه، وواضح أن لبيداً يريد النيل من جواب بن عوف بأسلوب ساخر.

١٢- العامري: ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٤٠.

نجران؛ فقال^(١٣):

وَحَطَّ وَحُوشَ صَاحَةً مِنْ ذُرَاهَا كَأَنَّ وَعُولَهَا رَمَكُ الْجِمَالِ^(١٤)
 عَلَى الْأَعْرَاضِ أَيْمَنْ جَانِبِيهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى كَوْرِي أُثَالِ^(١٥)
 وَأَرْدَفَ مُزْنَهُ الْمِلْحَيْنِ وَبَلًّا سَرِيعًا صَوْبَهُ سَرِبَ الْعَزَالِي^(١٦)
 فَبَاتَ السَّيْلُ يَرْكَبُ جَانِبِيهِ مِنْ الْبَقَّارِ كَالْعَمِدِ الثَّفَالِ^(١٧)
 أَقُولُ وَصَوْبُهُ مِنِّي بَعِيدٌ يَحُطُّ الشَّتُّ مِنْ قَلَلِ الْجِبَالِ^(١٨)
 سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ، وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ^(١٩)
 رَعَوُهُ مَرْبَعًا وَتَصَيَّفُوهُ بِلَا وَبَاءٍ سُمِّيَ وَلَا وَبَالِ^(٢٠)

وفي خاتمة القصيدة، يعرض بشيخ بني بكر بن كلاب جواب بن عوف الذي حكم عليهم بالنفي ظلماً وعسفاً إلى نجران^(٢١):

هم قومي وقد أنكرتُ منهم شَمَائِلَ بَدَّلُوها من شمالي
 يُغَارُ عَلَى الْبَرِيِّ بِغَيْرِ ظُلْمٍ وَيُفْضَحُ ذُو الْأَمَانَةِ وَالِدَّلَالِ

١٣- المصدر السابق، ص ١٦٦.

١٤- حط: أنزل، صاحة: جبل في نجد، رمك؛ جمع أرمك، أي أسود.

١٥- الأعراض: القرى، الكور: الجانب، أثال: جبل في نجد.

١٦- المزن: المطر، مزنة الملحيين: اسم موضع، وبلا: مطراً غزيراً، الودق: القطر، العزالي: جمع عزلاء وهي مصب المزايدة، وأراد هنا مخرج الماء من السحاب.

١٧- العمدة الثفال: البعير الثقيل الذي يشتكي من سنامه، البقار: اسم جبل.

١٨- الشت: نوع من الشجر، والقلل: جمع قلة وهي أعلى الجبل.

١٩- مجد: جدة بني عامر وهي قرشية وعدوا من الحمس.

٢٠- المربع: الربيع، وباء سُمِّيَ: وباء السماء، وبال: مرض.

٢١- العامري، لييد بن ربيعة: الديوان، ص ١٢.

وَأَسْرَعَ فِي الْفَوَاحِشِ كُلِّ طِمْلٍ يَجْرُ الْمَخْزِيَاتِ وَلَا يُبَالِي^(٢٢)
أَطَعْتُمْ أَمْرَهُ فَتَبِعْتُمُوهُ وَيَأْتِي الْغِيَّ مُنْقَطِعُ الْعِقَالِ^(٢٣)

ويدل شعر لبيد على ضيق بني عامر في مناهم وتعرضهم لخطوب كثيرة كادت تعصف بهم هناك، وأن لبيداً قد أسهم بحل بعض المشكلات في ذلك المنفى، وأنه كان له الفضل في توحيد الكلمة، قال^(٢٤):

وَيَوْمَ مَنَعْتُ الْحَيَّ أَنْ يَتَفَرَّقُوا بَنَجْرَانَ فَقَرِي ذَلِكَ الْيَوْمَ فَاقِرٌ^(٢٥)
وَيَوْمًا بِصَحْرَاءِ الْغَيْبِ وَشَاهِدِي الْمُلُوكُ وَأَرْدَافُ الْمُلُوكِ الْعَرَاغِرِ^(٢٦)
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذِي حِفَاظٍ بَلَوْتَنِي فَقُمْتُ مَقَامًا لَمْ تَقْمُهُ الْعَوَاوِرُ^(٢٧)
لِي النَّصْرُ فِيكُمْ وَالْوَلَاءُ عَلَيْكُمْ وَمَا كُنْتُ فَقَعًا أَنْبَتَهُ الْقَرَاقِرُ^(٢٨)

وكان زعيم الجعفرين في أيام المنفى هو عم لبيد أبو البراء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وقد أبى هذا الزعيم أن يقبل بمصاهرة بني الحارث بن كعب، وأمر قومه بلبس السلاح وركوب الخيل، ثم قال لهم: «سيروا حتى تقطعوا ثنية القهر - وهي ثنية باليمن - فإذا قطعتموها فانزلوا». ففعلوا ما أمرهم به، ثم لحق بهم عند الثنية وقال لهم: «هل أخذت لكم دية أو أبتكم على خسف قط؟ قالوا: لا. قال: والله لتطيعنني أو لأنكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري. أتدرون ما أراد القوم؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذناً، ويستعينوا بكم على العرب

٢٢ - الطمل: اللص البذيء.

٢٣ - منقطع العقال: مطلق القيد أي حرًا لا يُمنع من شيء.

٢٤ - العامري، لبيد بن ربيعة: الديوان، ص ١٢.

٢٥ - فاجر: الخز أي الأثر، فاجر: عميق، أي كان يعني تفرق الجعفرين كان عظيم الأثر.

٢٦ - الغيبط: صحراء في أرض فزارة، العراعر: السادة العظام.

٢٧ - العواور: الجبناء.

٢٨ - القرقر: الأرض المستوية أو الدمن المنخفضة، والفقع: الفطر البري.

وأنتم سادة هوزان ورؤساؤهم»^(٢٩). ونصح لهم أبو البراء بالعودة إلى أوطانهم ومصالحة أقربائهم. فعادوا ونزلوا على حُكم جَوَّاب، وفي هذه المرّة كانت نفس لبيد قد هدأت نحو جَوَّاب، ولم يشأ وهو ابن القبيلة أن يخرج على روح الصلح والوئام. وأخذ يتحدث إلى بني أبي بكر بأن المحافظة على علاقات الود والقربى أجدى على الفريقين من الخصام، قال^(٣٠):

فأبْلَغُ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهَا عَلَى خَيْرِ مَا يَلْقَى بِهِ مَنْ تَزَغَّمَا^(٣١)
أَبُونَا أَبُوكُمْ وَالْأَوَاصِرُ بَيْنَنَا قَرِيبٌ، وَلَمْ نَأْمُرْ مَنِيعًا لِيَأْتِمَا^(٣٢)
فَإِنْ تَقَبَّلُوا الْمَعْرُوفَ نَصْبِرْ لِحَقِّكُمْ وَلَنْ يَعْدَمَ الْمَعْرُوفُ خُفًا وَمَنْسِمًا

التحليل الفني:

مشاعر لبيد قبل بدء الرحلة:

لَمَّا زَمَّتْ رِوَا حِلْ بَنِي جَعْفَرٍ مَتِيمِينَ الطَّرِيقَ إِلَى مَنفَاهِمِ فِي نَجْرَانَ مِنْ مَوْطَنِهِمِ
الأصلي في نجد، حرّك لبيد حنينٌ خفيٌّ كحنين الفصيل لأمّه، شوقًا وخوفًا على
البلاد بعدهم من أن تُقوي ملاعبها وسوح خيولها ومعاطن إبلها، وتُفقر رمالها
وكتبانها وجبالها وهضابها، ومنها غولها ورجامها ونؤيها وثمامها، فقال قصيدته
هذه تحت وطأة هذا الشعور الفيّاض نحو نجد موطنهم الأصلي، ومن لا يحنُّ إلى
نجد إذا حكم القدرُ بالفراق^(٣٣).

٢٩- العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٣

٣٠- المصّدر نفسه، ص ١٢.

٣١- التزغم: الحنين الخفي للديار.

٣٢- منيع هو منيع الجعفري الذي أخذ بثأر ابن عروة من مرة بن طريف من بني بكر بن كلاب.

٣٣- قال الصّمة القشيري مشتاقًا إلى نجد:

فقا ودعا نجدًا ومن حل بالحمى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ تُودَّعَا
فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
تلفت نحو الحمى حتى وجدتني وجعت من الإصغاء لبيتنا وأخذعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن تصدعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا

كان الله في عون لبيد عندما حُمَّت الحاجاتُ وشدَّت لطَيَّات مطايا نجبية،
وَرَعَتْ أرحلٌ جزعاً من الهجران، وحدا بها الحادي، يحفزها صوب الجنوب،
وقد بدأ القصيدة بوصف الديار التي عفا محلها ومقامها في نواحي جبل غول
من أرض منى ورجامها وهو جبل آخر ينتسب لها^(٣٤)، وكل هذه الأعلام في
بلاد نجد، مجاورة الحجاز، وأمحلت حزناً عليهم فَعَرَيْتُ مدافع الريان وغدت
كالرسوم على السلام، وإذ تعود إليها الحياة؛ حياة الوحش والأوبد مرةً أخرى،
فُتْخِصَب بعد القحط، وترزق مرابع الغيث: ودقه وجوده ورهامه ورعوده
فينبت نباتها، وتخصب قيعانها، وتعلو بها فروع الأيهقان مرةً أخرى، وتمتلئ
بالعين ساكنة على أطلائها مطمئنة على صغارها، تربيها حتى تنمو، فتملاً قطعان
البهم والأطلاء أرضهم الواسعة الطيبة المريّة الأصيلة التي لم تعفها هواطل الدِّيم
ليلاً ونهاراً، ولا خطوب الزمان وحالكات الليالي؛ لا بل كشفت السيول عن
آثارهم الراسخة فيها، المسجلة باسمهم منذ الأزل؛ وكأنها منقوشة على الحجارة
الرقيقة، فشبها بالكتاب الذي أعيد تجديده كتابته، فلن تدرس أبداً، كشاهد على
أهليتهم لها وامتلاكها وأحقيتهم فيها؛ فقال لبيد بن ربيعة العامري:

١- عَفَتِ الدِّيَارِ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنِي تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا^(٣٥)

٢- فَمَدْفَعُ الرِّيَانِ عَرَى رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الوُحْيِ سِلَامُهَا^(٣٦)

٣- دَمْنٌ تَجَرَّمُ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيْسِهَا حَجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالِهَا وَحَرَامُهَا^(٣٧)

٣٤- الجنيديل، الشيخ سعد بن عبد الله: معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٠، ص ١٠٥.

٣٥- عفت: درست، وانمحت آثارها، المحل من الديار: ما حل فيه لأيام معدودة، والمقام منها: ما طالت الإقامة به. منى: موضع بحمي ضرية غير منى الحرم، تأبد: توحش، الغول والرجام: جبلان معروفان.

٣٦- المدافع: أماكن يندفع منها الماء، الريان: جبل معروف، عري رسمها: زالت نظارته، الوحي: الكتاب، السلام: الحجارة والواحدة سلمة، بكسر اللام.

٣٧- التجرم: التكمل والانتقاطع، يقال: تجرمت السنة وسنة مجرمة أي مكملة. العهد: اللقاء، الحجج: جمع حجة وهي السنة. وأراد بالحرام الأشهر الحرم، وبالخلال أشهر الحل. الخلو: المضي.

- ٤- رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا وَدُقُ الرُّوَاعِدِ جَوْدَهَا فَرَهَا مَهَا^(٣٨)
- ٥- مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدَجِّنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامَهَا^(٣٩)
- ٦- فَعَلَا فُرُوعُ الْأَيْهَقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامَهَا^(٤٠)
- ٧- وَالْعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَائِهَا عُوذًا تَأَجَّلُ بِالْفَضَاءِ بِهَامَهَا^(٤١)
- ٨- وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَانَهَا زَبْرٌ تُجَدُّ مَتُونَهَا أَقْلَامَهَا^(٤٢)
- ٩- أَوْ رَجَعُ وَاشِمَّةٌ أُسِفَّ نَثُورُهَا كَفَفًا تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشَامَهَا^(٤٣)

السلام على الديار ووداعها:

وقبل أن تتحرك قوافل الرحيل، يُسَلِّم على الديار متسائلاً، مودِّعاً وبائثاً لواجع الشوق والحنين إليها، ولكن كيف تُجيب الصمُّ الخوالدُ التي لا تُفهم الكلام!، كيف ترد على المشتاق المولَّه بحبها!، فكتم تباريح هواه، وتحركَ الجميعُ مبكرين، وتركوها حزينه عليهم، وغودر نويها وثمامها:

- ٣٨- مرابيع النجوم: الأمطار الربيعية، الصَّوب: الإصابة، يقال: صابه أمر كذا وأصابه بمعنى. الودق: المطر، وقد ودقت السماء تدق ودقا إذا أمطرت. الجود: المطر التام العام، الرواعد: ذوات الرعد من السحاب، والرهام والرهم: المطرة التي فيها لين.
- ٣٩- السارية: السحابة الماطرة ليلاً، المدجن: الملبس آفاق السماء بظلامه لفرط كثافته، والدجن: إلباس الغيم آفاق السماء، الإرزام: التصويت.
- ٤٠- الأيهقان، بفتح الهاء وضمها: ضرب من النبت وهو الجرجير البري. أطفلت أي صارت ذوات أطفال. الجلهتان: جانبا الوادي.
- ٤١- العين: البقر الوحشي: واسعات العيون. الطلا: ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتي عليه شهر، والجمع الأطلاء، العوذ: الحدیثات النتاج، الإجل: القطيع من بقر الوحش، والجمع الآجال والتأجل: صيرورتها إجلًا إجلًا. الفضاء: الصحراء. البهام: أولاد الضأن إذا انفردت وإذا اختلطت بأولاد الضأن أولاد المعز قيل للجميع بهام، وإذا انفردت أولاد المعز عن أولاد الضأن لم تكن بهامًا، وبقر الوحش بمنزلة الضأن وشاء الجبل بمنزلة المعز عند العرب، وواحد البهام بهم.
- ٤٢- جلا: كشف، السول: الزبر: جمع زبور وهو الكتاب والزبر الكتابة، التجديد: إعادة الكتابة، المتون: الصفحات، أقلامها: أقلام الكتابة.
- ٤٣- الرجع: التردد والتجديد، الإسفاف: الذر، النثور: النقش المتخذ من دخان السراج والنار، وقيل النيلج. الكفف: جمع كفة وهي الدارات، وكل شيء مستدير كفة، تعرَّض وأعرض: ظهر ولاح.

١٠- فوقفتُ أسألها وكيف سُوالنا صُمَّا حَوَالِدَ ما يَبِينُ كَلَامُهَا^(٤٤)

١١- عَرِيَتْ وَكَانَ بِهَا الْجَمِيعُ فَأَبْكُرُوا مِنْهَا وَغُودِرَ نُؤْيَهَا وَثَمَامُهَا^(٤٥)

وصف النساء عند بداية سير الرحلة:

بعد هذا الموقف الحزين والتبرُّم من هذا الرحيل، شدته مناظر ظعن قبيلته، وهي تزُمُ خيامها، وقد دخلت النساء في الهوداج، وحدا بها الحادي نحو اليمن:

١٢- شاقَّتْكَ ظُعنُ الحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكَنَسُوا قَطْنَا تَصِرَّ خِيَامُهَا^(٤٦)

١٣- مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عَصِيَّهَ زَوْجٍ عَلَيهِ كَلَّةٌ وَقِرَامُهَا^(٤٧)

١٤- زُجَلًا كَأَنَّ نِجَاحَ تُوْضِحَ فَوْقَهُ وَظَبَاءَ وَجِرَةَ عَطْفًا أَرَامُهَا^(٤٨)

١٥- حُفِرَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهُ أَجْزَاعُ بَيْشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا^(٤٩)

يصف الهوداج بأنها مغطاة بالأثواب من فوقها التحمي النساء من الشمس، ومن تحتها على ظهور الجمال فتغطي عيدان الرحل، وشبَّه النساء ببقر توضح: وتوضح مرعى طيب النبات، يقع في حمى ضريّة، ذكره امرؤ القيس في مطلع معلقته:

- ٤٤- الصم: الصلاب، خوالد: بواق، يبين: يظهر.
- ٤٥- بكرت من المكان: سرت منه بكرة. المغادرة: الترك غادرت الشيء تركته وخلفته، النؤي: حفرة تحفر حول البيت لتسحب ماء المطر إلى الجوانب، الثمام: ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت.
- ٤٦- الظعن: جمع الظعون: وهو البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة، التكنس: دخول الهودج. القطن: جمع قطين وهو الجماعة، الصرير: صوت الرحل.
- ٤٧- حف الهودج وغيره بالثياب: إذا غطي بها، العصي هنا: عيدان الهودج. الزوج: النمط من الثياب، والجمع الأزواج. الكلة: الستر الرقيق، والجمع الكلل. القرام: الستر.
- ٤٨- الرجل: الجماعات، النجاج: إناث بقر الوحش، الواحدة نعجة. وجرة: موضع مخصب. العطف: جمع العاطف من العطف الذي هو الترحم أو من العطف الذي هو الثني، الأرام: جمع الرثم وهو الطبي الخالص البياض.
- ٤٩- الحفز: الدفع، والفعل حفز يحفز. الأجزاء: جمع جزع وهو منعطف الوادي. بيشة: واد خصيب كثير الوحش بناحية اليمن، تصب أوديته صوب الشمال حتى تصل الحجاز ونجد، الأثل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منها. الرضام: الحجارة العظام.

فَتَوْضِحَ فَاَلْمِقْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَّالٍ

وذكره النابغة الذبياني في قصيدته الدالية:

الواهبُ المائة الأبيكار زينها سعدانُ توضحُ في أوبارها اللبد^(٥٠)

وشبهه نساء قبيلته أيضاً بظباء وجرة الخنصبة الجميلة، وقد ضربت الإبل لتجدد في السير، ولاحت ظعونهم «كباقي الوشم في ظاهر اليد» من خلال قطع السراب كأنها قطعٌ عظيمةٌ من أثل بيشة ورضامها الضخمة كناية عن الجمال والغنى.

تذكر نوار:

١٦- بل ما تذكر من نوار وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامها^(٥١)

١٧- مريّة حلت بفيئد وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرأمها^(٥٢)

١٨- بمشارق الجبلين أو بمحجر فتضممتها فردة فرخامها^(٥٣)

١٩- فصواتق إن أيمت فمظنة فيها وحاف القهر أو طلخامها^(٥٤)

سارت الإبل في رحلة تاريخية شقت أرض العرب من شمالها إلى جنوبها، و كان تأثيرها عظيمًا على نفسه وهم يغادرون باقي قبائل بني عامر القاطنة في موطنها الأصلي بنجد. حاول لبيد أن يخفف عن نفسه حزنها وتباريح الفراق، فقال ولماذا كل هذا الحزن؟، وما أذكر من رفقة نوار، ونوار؛ المرأة الناشزة كثيرة

٥٠- الذبياني، النابغة زياد بن معاوية، الديوان، دار صادر، (د.ت)، ص ٣٤.

٥١- نوار: المرأة النائرة والناشزة أي كثيرة النوائر والإحن، يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٩٠ هـ): لسان العرب، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠ م باب نور.

٥٢- مريّة: منسوبة إلى بني مرة من بني بكر بن كلاب، أو المرار: أي الحياة المرة عكس الحلوة، فيد: فلاة في نجد شرقي جبل سلمى، مجاورة للحجاز.

٥٣- الجبلين: جبلي طي أجأ وسلمى. المحجر: جبل آخر. فردة: جبل منفرد عن سائر الجبال، رخام: أرض متصلة لذلك أضافها إليها.

٥٤- يقال: أيمت الرجل إذا أتى اليمن، مظنة الشيء: حيث يظن كونه فيه، وصواتق: بلاد في اليمن. وحاف القهر: موضع في صواتق في نجران، طلخام: موضع في صواتق نجران أيضا.

النواثر^(٥٥)، ومواضع العرب معروفة في تسمية البنات، فلا أحد يشين ابنته بتسميتها بهذا الاسم عند ولادتها تطيراً بأنّها ستصبح كذلك بعد أن تكبر وتتزوج، ووصايا الأمهات معروفة وكثيرة عند العرب للمحافظة على العلاقات الزوجية وصونها، وفي الحقيقة المعروفة إنَّ الرجل لا يحنُّ إلى مثل هذه المرأة الشموص، ولا يحب أن يتذكَّر أيامها، ولم تُعرف لبليد مثل هذه الزوجة فيما سبق، فنوار هنا ليست بزوجة ولا عشيقة؛ حيث ذهنه مشغول بالرحيل، ولا وقت لتذكُّر رسيس عشرة سابقة مع امرأة نائرة في هذه الآونة، وإنما كنى بها عن قبيلة بني بكر بن كلاب النائرة التي كانت سبباً في هذا النفي، وإنَّ الرحيل عنها أحفظ للكرامة وأهدأ للبال، ويذكرنا قوله هذا بقول الحارث بن حلزة في مفتتح معلقته «رب ثاو يملُّ منه الثواء» وكأنَّه يقول: قد مللنا مجاورتكم يا قبيلة غنى من بني بكر بن كلاب، ولم أذكر شيئاً طيباً في جيرتكم بفيد على أطراف الحجاز شرقي جبلي أجأ وسلمى أو جبل المحجر أو في أرض فردة ورخام المتصلتين ببعضهما بعضاً، وكانت هذه الديار منازلها سوية؛ حيث كانوا متجاورين قبل ذلك، ويقول في البيت الأخير من المقطوعة السابقة، وأظنُّ ظناً مني أننا متوجهون صوب منطقة حاف القهر في صوائق من بلاد نجران أو أرض طلخام فيها؛ لأنَّهم لم يصلوا بعد، وهم ما زالوا في أول الرحلة.

حفظ الكرامة بقطع علاقة المسيء:

٢٠- فاقطعُ لبانةً من تعرَّضَ وصله^{٥٦} ولخيرٍ واصلٍ خلةً صرامها^(٥٦)

٥٥- يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، باب نور.

٥٦- اللبنة: الحاجة، الخلة: المودة المتناهية، الصرم: القطع، فعَّال من الصرم وهو القطع، والفعل صرَّم بصرم، ثم أضرب عن ذكر نوار وأقبل على نفسه مخاطباً إياها فقال: فاقطع أربك وحاجتك ممن كان وصله معرضاً للزوال والانتقاض، ثم قال: وشر من وصل المودة من قطعها، أي شر واصل المودات قطعها.

٢١- وَاحِبُ الْمَجَامِلِ بِالْجَزِيلِ وَصَرْمُهُ بَاقٍ إِذَا ظَلَعَتْ وَزَاغَ قَوَامُهَا^(٥٧)

ويعلو عنده نوط الكرامة فيجزم على قطع العلاقة مع من لا يقدرها أمثال قبيلة بني بكر بن كلاب، وإن من شرِّ الواصلين العلاقة الذين يكونون سبباً في قطعها، وتروى «ولخيرٍ واصلٍ خلة صرَّامها» وإن خير واصلٍ حبال المودَّة من إذا أحس بغدر قطعها، ويطلب بحفظ رفقة الصديق الودود المجامل ما دام حافظاً للمودَّة، وإذا تغيَّر عن مودتك فلا تحافظ عليها من طرفك، ومن حقك أن تقطع حبل العلاقة معه.

النجاح في سرعة الرحلة:

٢٢- بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكَنَ بَقِيَّةً مِنْهُ فَأَحْتَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا^(٥٨)

٢٣- وَإِذَا تَغَالَى لِحُمِّهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الْكَلَالِ خِدَامُهَا^(٥٩)

٢٤- فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(٦٠)

فاقطع علاقة من تعرَّض وصله، وابتعد عنه، على ناقة أفنى السَّفر ضلوعها، وأذاب لحم صلبها، وشحم سنامها فعدت أسرع في سيرها كالسحابة التي أنزلت ماءها وحدثها ريح الجنوب.

٥٧- حبوته: أعطيته، المجامل: المصانع، الجزيل: أي الود الجزيل، الصرم: القطيعة. الظلع: عرج في الدواب. الزيف: الميل، والإزاغة الإمالة. قوام الشيء: ما يقوم به.
٥٨- الطليح: الجريح والقتيل، أسفار: جمع سفر، أحنف: ضمير وهزل
٥٩- تغالى لحمها: ارتفع إلى رؤوس العظام، تحسرت أي صارت حسيراً، أي كالة مُميعة عارية من اللحم. الخدام: سيور تشد بها النعال إلى أرساخ الإبل.
٦٠- الهباب: النشاط. الصهباء: الحمراء، يريد كأنها سحابة صهباء، خفَّ: أسرع، الجهام: السحاب الذي قد أراق ماءه.

دور الزعيم في سلامة الرحلة:

| | |
|---|--|
| ٢٥- أوْمَلِعِ وَسَقَتْ لِأَحْقَبَ لَاحَهُ | طَرَدُ الْفُحُولِ وَضَرْبَهَا وَكِدَامُهَا ^(٦١) |
| ٢٦- يَعْْلُوبِهَا حَدَبُ الْإِكَامِ مُسْحَجٌ | قَدْ رَابَهُ عِصْيَانُهَا وَوِحَامُهَا ^(٦٢) |
| ٢٧- بِأَحْزَةِ الثَّلْبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا | قَفَرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا ^(٦٣) |
| ٢٨- حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةً | جَزَاءً فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا ^(٦٤) |
| ٢٩- رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مَرَّةٍ | حَصِدٍ وَنَجْحٍ صَرِيْمَةٍ إِبْرَامُهَا ^(٦٥) |
| ٣٠- وَرَمَى دَوَابِرَهَا السَّنَا وَتَهَيَّجَتْ | رِيحُ الْمَصَايِفِ سَوْمُهَا وَسَهَامُهَا ^(٦٦) |
| ٣١- فَتَنَازَعَا سَبْطًا يَطِيرُ ظِلَالُهُ | كَدَخَانٍ مُشْعَلَةٌ يُشْبُّ ضِرَامُهَا ^(٦٧) |
| ٣٢- مَشْمُولَةٌ عُثِلَتْ بِنَابِتٍ عَرْفَجٍ | كَدَخَانٍ نَارٍ سَاطِعٍ أَسْنَامُهَا ^(٦٨) |
| ٣٣- فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً | مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَدَتْ إِقْدَامُهَا ^(٦٩) |

- ٦١- ألمعت الأتان فهي ملمع: أشرق طيهاها بالدين. وسقت: حملت، الأحقب: العير الذي في وركيه بياض أو في خاصرته. لآحه: غيره، الكدام: العض.
- ٦٢- الإكام: الجبال الصغار، حدبها: ما احدودب منها. المسحج: الفحل المعضض والمخدش، أي العنيف، الوحام: اشتهاه الجبلى الشيء.
- ٦٣- الأحزة: الأرض الوعرة، الثلبوت: واد فيه مياه كثيرة بين طي وذيان، يربأ فوقها: يراقب، القفر: الخالي، المراقب: جمع مراقبة وهو الموضع الذي يقوم عليه الرقيب.
- ٦٤- سلخ الشهر: انقضى، ستة: أي ستة أشهر، جزأ: اكتفى بالرطب عن الماء. الصيام: الإمساك عن الماء.
- ٦٥- رجعا: قلدا واسندا أمرهم، المرة: القوة، الحصد: المحكم، الصريمة: العزيمة، الإبرام: الإحكام.
- ٦٦- الدوابر: مأخير الحوافر، السفا: شوك البهيمى وهو ضرب من الشوك. هاج الشيء: تحرك ونشأ، المصاييف: جمع المصيف وهو الصيف. السوم: المرور، السهام: شدة الحر.
- ٦٧- التنازع: التشارك، السببط: الممتد الطويل، ويقصد الغبار الذي أثارته وقع حوافرها على الأرض، الضرام: دقات الحطب.
- ٦٨- مشمولة: هبت عليها ريح الشمال، الغلت، والعلث: الخلط، النابت: الغض، العرفج: ضرب من الشجر، الأسنام: الارتفاع جمع سنام.
- ٦٩- التعرید: التأخير والحين: الإقدام هنا بمعنى التقدم، وكانت، أي وكانت تقدم الأتان عادة من العير.

٣٤- فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامُهَا^(٧٠)

٣٥- مَحْفُوفَةٌ وَسَطَ الْبِرَاعِ يُظِلُّهَا مِنْهُ مُصْرَعٌ غَابَةٌ وَقِيَامُهَا^(٧١)

فاقطعُ لبانة من تعرّض وصله وابتعد عنه، على ظهر ناقة سريعة تشبه السحابة الفارغة من حمولتها، أو على ناقة تشبه أتاناً حملت حديثاً من فحل مكدم، يعلو بها المرتفعات؛ ليراقب الصيادين خوفاً عليها في وادي الثلبوت، الذي يقع في جنوب حائل^(٧٢)، صائمة عن الماء مكثفة برطوبة الجو والطعام، حتى انقضت شهور البرد والقرّ كاملة، ثم فكر بأمر ورود الماء، وقلّد القطيع العير صاحب العزيمة لإحكام هذا الأمر، والعزيمة هي أول أركان النجاح في كل أمر، فساقها مسرعاً؛ وقد هبت رياحُ المصيف الحارة، وأثارت حوافرها الغبار الذي غطّاها كأنه دخان نار اشتعل دقيق حطبها، فعظم دخانها؛ لأنّ النار لم تشب في جزيل الحطب بعد، وقد هبت عليها ريح الشمال الباردة بعد أن أطعمت من رطب نبات العرفج ويابس فتكاثف دخانها وعلا، فأزجاها من خلفها، ومن عادته أن لا يتقدّمها وكأنه يحدوها من ورائها خوفاً على بعضها من النكوص والتأخر، حتى وصلت نمير الماء الوافر، ودخلت في جمامه، وقد شقت عيدان القصب النبات فيها وحولها، الواقف منه والمائل الذي كان يظّلها ويسترها، وقد كنى بنجاح وصول العير والقطيع إلى مقصدهم، وهو الماء النمير، بسلامة رحلتهم من نجد إلى نجران وحسن ختامها.

٧٠- العرض: الناحية. السري: النهر الصغير، التصديق: التشقيق. السجر: الماء، أي عيناً مسجورة: مملوءة القلام: ضرب من النبات.

٧١- البراع: القصب، المصْرَعُ: المائل من القصب.

٧٢- الجنيديل، الشيخ سعد بن عبد الله: معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٠، ص ١٠٥.

علاقة الجعفرين مع بني كلاب وأخذ الثأثر لدم عروة الجعفري منهم:

- ٣٦- أَفْتَلِكْ أُمَّ وَحْشِيَّةً مَسْبُوعَةً خَذَلْتُ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِ قِوَامُهَا^(٧٣)
- ٣٧- خَنَسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرَمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا^(٧٤)
- ٣٨- لِمِعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يَمِينُ طَعَامُهَا^(٧٥)
- ٣٩- صَادَفَنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا إِنَّ الْمَنِيَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا^(٧٦)
- ٤٠- بَاتَتْ وَأَسْبَلْ وَاكْفٍ مِنْ دِيْمَةٍ يُرْوِي الْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا^(٧٧)
- ٤١- يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا^(٧٨)
- ٤٢- تَجْتَأَفُ أَصْلًا قَالِصًا مُتَبَدِّدًا بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هِيَامُهَا^(٧٩)
- ٤٣- وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً كَجَمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا^(٨٠)
- ٤٤- حَتَّى إِذَا نَحَسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزَلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلَامُهَا^(٨١)

٧٣- المسبوعة: الخائفة من السبع، الهادية: المتقدمة، الصوار: القطيع من بقر الوحش، قوام الشيء: ما يقوم به.

٧٤- الخنس: تأخر في الأرنبة. الفرير: ولد البقرة الوحشية، لم يرم: لم يبرح، العرض: الناحية. الشقائق: جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رملتين. البغام: صوت رقيق.

٧٥- المعفر: الملقى على الأرض. القهد: الأبيض. التنازع: التجاذب. الشلو: العضو، وقيل هو بقية الجسد، والجمع الأشلاء. الغبس: ذئب لونها كلون الرماد. المن: القطع.

٧٦- الغرّة: الغفلة. الطيش: الانحراف والعدول عن الهدف.

٧٧- الوكف والوكفان واحد، والفعل منهما، وكف يكف الوكف: القطر. الدية: مطرة تدوم وأقلها نصف يوم وليلة، الخمائيل: جمع خميلة وهي كل رملة ذات نبت، التسجام: الانصباب.

٧٨- طريقة المتن: خط من ذنبها إلى عنقها. الكفر: التغطية والستر.

٧٩- الإجتياف: الدخول في جوف الشيء، النييد: التنحي من النبذة والنبذة من الناحية. العجب: أصل الذئب، والنقا: الكتيب من الرمل، الهيام: الرمل غير المتماسك.

٨٠- الإضاءة: الإنارة، وجه الظلام: أوله وكذلك وجه النهار. الجمان والجمانة: درة مصوغة من الفضة.

٨١- الانحسار: تقلص الظلام وانجلائه، أسفرت: انكشفت وظهرت، الأزام: قوائمها.

٤٥- عَلِمَتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صَعَائِدٍ سَبْعًا تُوَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا^(٨٢)

٤٦- حَتَّى إِذَا يَأْتَسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ لَمْ يُبَلِّهِ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا^(٨٣)

فاقطع علاقة من تعرّض وصله، وابتعد عنه على ظهر ناقة سريعة تشبه السحابة الخفيفة في سرعتها أو تشبه أتاناً ساقها الفحل مسرعاً بها إلى الماء أو على ظهر ناقة تشبه البقرة الخائفة التي أكلت الذئب فريرها الصغير واستمرت تطلبه في أرض الشقائق^(٨٤)، مَعُولَةٌ مصوِّتة بين الأشجار حتى أقبل الليل، وأقبلت معه ديمة وكفّت تصب ماءها على ظهرها وقد غطى الغيم وجه السماء، فتكنست في أصل شجرة، وكان لمعان البرق يكشف عنها حجب الظلام فكأنها جمانة انفرطت من سلكها، فلما أدركها الصباح خرجت، تتعثر أظلافها في الطين باحثة عن صغيرها وقد أصابها الجزع والحيرة في غدران أرض صعائد بعد سبعة أيام كاملة، ولما يئست من العثور عليه، وجففت الحسرة ضرعها، توجست خيفة:

٤٧- فَتَوَجَّسَتْ رِزًّا الْأَيْسِ فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَيْسِ سَقَامُهَا^(٨٥)

٤٨- فَغَدَّتْ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامُهَا^(٨٦)

٤٩- حَتَّى إِذَا يَأْتَسَ الرُّمَاءُ وَأَرْسَلُوا غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا^(٨٧)

٨٢- العله والهلع: الانهماك في الجزع والضجر، النهي: الغدير، صعائد: جبل في ناحية تثليث شرق وادي بيشة في اليمن، توأم: توامة الليل والنهار، أي تكاملهما.

٨٣- أسحق: جف الضرع وخلق، الحالق: الضرع الممتلئ لبناً، ولم يبيل: لم يكن سبب بلوى خلق ضرعها إرضاعها ولدها ولا فطامها وإنما حزنها عليه.

٨٤- الشقائق: أرض صلبة بين رملتين.

٨٥- الرز: الصوت الخفي. الأيس: الإنسان، راعها: أفرعها، عن ظهر غيب: دون أن تراه، وسقامها: مرضها وهلاكها.

٨٦- الفرج: موضع المخافة، والفرج ما بين قوائم الدواب، فما بين اليدين فرج، وما بين الرجلين فرج، أي الفراغ والخلوة، المولى: الأولى بالشيء، أي بالمخافة.

٨٧- الغضف من الكلاب: المسترخية الأذان، الدواجن: المعلمات. القفول: اليبس. أعصامها: بطونها ظامرة.

- ٥٠- فَلِحِقْنَ وَاعْتَكَّرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا^(٨٨)
- ٥١- لَتَذُودُهُنَّ وَأَيَقَنْتَ إِنْ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مَعَ الْخُتُوفِ حِمَامُهَا^(٨٩)
- ٥٢- فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابَ فَضُرِّجَتْ بَدَمٍ وَغَوَدِرَ فِي الْمَكَّرِ سُخَامُهَا^(٩٠)

ولما يئست هذه البقرة المحزونة الثكلى من العثور على ولدها سمعت صوتاً فأوجست منه خيفة، وقرب الصوت يعني حتفها، فانطلقت ولم تعقب، تترقب إتيان العدو من أمامها ومن خلفها؛ لأنها لم تره، عندئذ أطلق الصيادون في أثرها بعدما يئسوا من رميها بنبلمهم كلاباً مسترخية الأذان، مدرّبة ضامرة البطون، فلحقن بها، وعندما اقتربن منها وأيقنت من قرب حتفها، عطفت عليهن بقرون تشبه الرماح في طولها وحدتها، فطعنت الكلبة كساباً وسخاماً ونجت بنفسها، ولربما أوماً بهذه اللوحة الأخيرة إلى صراع قبيلته مع قبيلة بني بكر التي قتلت ابن عروة الجعفري، ثم إن قبيلته نجحت بالأخذ بثأرها عندما قتل منيع الجعفري مرة بن طريف أحد رجالهم:

عزم لببيد في إنفاذ المهمات:

- ٥٣- فَبِتَلِّكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا^(٩١)
- ٥٤- أَقْضِي اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطُ رِيَّةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَامُهَا^(٩٢)

٨٨- عكر واعتكر أي عطف. المدرية: طرف قرنها. السمهرية: الرماح الحادة المنسوبة إلى سمهر البحريني.
 ٨٩- الذود: الكف والرد. حمامها: قرب هلاكها، الحنف: قضاء الموت.
 ٩٠- أقصد وتقصد: قتل، كساب، مبنية على الكسرة: اسم كلبة، وكذلك سخام.
 ٩١- بتلك: أي امتطي ناقة مثل هذه البقرة الوحشية السريعة، أردية السراب، أثواب السراب، إكامها: مرتفعاتها، كناية عن اشتداد الحر وقت الهجرة.
 ٩٢- أقضي اللبانة: أمضي لحاجتي، لا أفرط ريبة: لا أنكص مخافة من شيء، واللوام: مبالغة اللائم، واللوام جمع اللائم.

على مثل هذه الناقة النشيطة الضارية على الدأب في الهواجر، عندما يلبس السراب أثوابه رؤوس المرتفعات، كناية عن اشتداد الحر؛ لأنَّ السراب يكثر في الأرضين المنخفضة والسهول، فإذا ما وصل إلى المرتفعات، يكون الحرَّ قد بلغ مبلغاً عظيماً، وعلى الرغم من كل ذلك لا أتأخر عن المضيِّ لغايتي ولا أرتاب من عائق يعيق رحلتي، مهما كان مبلغ خطره، حتى لو وصل درجة الخطر الجسيم التي يتلوَّم عليها.

الفخر على نوار (بني بكر بن كلاب):

٥٥- أَوْلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بِأَنِّي وَصَّالٌ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَدَامُهَا^(٩٣)

يخاطب نوار - قبيلة بني بكر بن كلاب - مفتخراً بقدرته على بسط حبال المودَّة وقطعها بسرعة إذا نارت بينهما نائرة كما حدث بينهما، لا يواطئ من اجتواه ولا يمالئ من رغب عن عشرته وجيرته:

٥٦- تَرَاكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا^(٩٤)

يريد أن يبيِّن لبني بكر أن رحيلهم عن الديار لم يكن نزولاً ورضوخاً لحكم جَوَّاب بن عوف، وإنما هذا طبعهم، لا يقيمون على الذل والجفا، ولا يقبلون الضيم ولا يستمرئون، فكم من بلاد كثيرة تركها محافظة على كرامته! يتركها سريعاً دون حساب للعواقب حتى لو كان في هذا الترك الموت الزوأم:

٥٧- بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقِ لَذِيذٍ لَهْوُهَا وَنِدَامُهَا^(٩٥)

٩٣- الحبائل: علاقات المودة، نوار: المرأة النافرة، ويقصد بني بكر بن كلاب، الجذم: القطع.

٩٤- تَرَكَ أَمَاكِن: سريع المغادرة منها، يعتلق: يمسك، الحمام: الموت.

٩٥- ليلة طلق وطلقة: ساكنة لا حرق فيها ولا وقر. الندام: الصحاب.

- ٥٨- قَدِ بَتُّ سَامِرَهَا وَغَايَةَ تَاجِرٍ وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدَامُهَا^(٩٦)
- ٥٩- أَغْلِي السَّبَاءَ بِكُلِّ أَدَكْنَ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةَ قُدْحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا^(٩٧)
- ٦٠- وَصَبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذَبِ كَرِينَةٍ بِمُوتَرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا^(٩٨)
- ٦١- بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ لِأَعْلَلَّ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا^(٩٩)

ومن باب حفظ الكرامة؛ حيث إنه شعر بخدشها عندما امتثلوا لحكم جَوَّاب بالنفي، أخذ يفاخر نَوَّار بشرب الخمر في ليالي طلق هواؤها ولذيذ لهوها؛ أي أنهم لم يكونوا بائسين محرومين في غربتهم، أو أنهم كانوا مطيِّةً للهموم تلفهم لبعدهم عن ديارهم ومفارقة باقي عشائر عامر في نجد، فتشتفي بنو بكر بهم، إنما كانوا يهتبلون الم لذات ويسارعون إلى اقتناص ليالي السعد باذلين في ذلك المال الكثير؛ فهو يُقْبَلُ على شراء الخمر مبكراً عندما يرفع الخمار رايته وفتحاً أبوابه؛ حيث يُغْلِي الخَمَّارُ سعرها في بداية العرض، وكان لبيد يرفع سعرها على الآخرين لكثرة طلبه إياها؛ فهي خمرة زقُّ أدكْنَ لونه طولَ الزمان، أو يَقْدَحُ من خايبة سوَدَتْها مرُّ الأعصر في مخايبها، بعد أن يفكَّ ختامها هو، فيكون أول من اغترف منها، وتكون صبوحه الصافي المعلن الذي يروق مع صوت مغنيَّة تحاكي أناملها أوتار عودها بلطف وحنان، وكل ذلك يكون قبل أن تعلن الديوك بدءَ النهار، وقبل أن يهب النُّوم من نومهم؛ فإذا كان هذا البسط والكرم والجود والناس نيام فكيف يكون في صحوهم!

٩٦- الغاية: راية ينصبها الخَمَّار ليعرف مكانه، وأراد بالتاجر الخمار. وافيت المكان: أتيت، المدام والمدامة: الخمر.

٩٧- أغلي السباء: ارفع سعر الخمرة لكثرة طلبه إياها. أغليت الشيء: اشتريته غالي الثمن، الأدكن: الزق الداكن، الجونة: الخايبة السوداء، القدح: الغرف، الفض: الكسر، ختامها: مربوط فم الزق.

٩٨- الصبوح: شرب الصباح، الكرينة: الجارية العازقة على العود، الاثتيال: المعالجة، الموتَر: العود ذو الأوتار.

٩٩- باكرت: سبقت، الدجاج: الديوك، بسحرة، وقت السحر، لأعلل: لأشرب منها مرة بعد مرة لحاجتي إلى الخمر.

عدته في الحرب:

- ٦٢- وَغَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقَرَّةٍ
 إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(١٠٠)
- ٦٣- وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمُلُ شِكْتِي
 فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِحَامُهَا^(١٠١)
- ٦٤- فَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ
 حَرَجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا^(١٠٢)
- ٦٥- حَتَّى إِذَا أَلَقْتُ يَدًا فِي كَافِرٍ
 وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا^(١٠٣)
- ٦٦- أَسْهَلْتُ وَأَنْتَصَبْتُ كَجَذَعِ مُنِيفَةٍ
 جَرْدَاءٍ يَحْصِرُ دُونَهَا جِرَامُهَا^(١٠٤)
- ٦٧- رَفَعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَشَلَّهُ
 حَتَّى إِذَا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا^(١٠٥)
- ٦٨- قَلِقْتُ رِحَالَتَهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا
 وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ حِزَامُهَا^(١٠٦)
- ٦٩- تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي
 وَرَدَ الْحَمَامَةَ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا^(١٠٧)

ومع اقتناصهم ليالي اللهو الرائقة اللطيفة لا يضيِّعون قيم الرجولة والشجاعة والبأس والندى والكرم، فلا يتأخرون عن مساعدة الناس وتخفيف معاناتهم أيام

- ١٠٠- وغداة ريح: أي حين هبوب الريح الشمالية الباردة، وزعتها: كفتها أو خفت حدة بردها، القرّة والقر: البرد، زمامها: توجيه الرياح بيد الشمال. وكان يطعم الناس في مثل هذه الأحوال.
- ١٠١- الشكة: السلاح. الفرط: الفرس المتقدمة السريعة الخفيفة. الشاح: قطعة من القماش تلف على الصدر للزينة، فكان هو يتوشح بعنان فرسه ليركبها بسرعة.
- ١٠٢- المرتقب: المكان المرتفع الذي يقوم عليه الرقيب. الهبوة: الغبرة. الحرج: الضيق جداً. الأعلام الجبال والرايات ويقصد رايات الأعداء. القتام: الغبار.
- ١٠٣- الكافر: الليل، سمي به لستره الأشياء، الثغر: موضع المخافة والجمع الثغور.
- ١٠٤- أسهل: أتى السهل من الأرض. المنيفة: العالية الطويلة، ويقصد النخلة العالية، الجرداء: القليلة السعف والليف، مستعارة من الجرداء من الخيل. الحصر: ضيق الصدر، الجرام: جمع الجارم وهو الذي يجرم النخل، أي يقطع ثمره.
- ١٠٥- رفعتها: كلفتها عدوا وكعدو النعام، الشل: الطرد والملاحقة، سخنت: حميت الفرس من الجري، خف عظامها: أصبحت خفيفة الوزن كناية عن السرعة.
- ١٠٦- القلق: سرعة الحركة. الرحال: السروج المصنوعة من جلود الغنم بأصوافها، أسبل: أمطر. الحميم: العرق.
- ١٠٧- ترقى: تصعد وتعلو. الانتحاء: الاعتماد، الحمام: ذوات الأطواق من الطير، واحدها حمامة.

الجوع في سنين القحط والمحل وفي أيام البرد والقرّ، عندما تهب ريح الصّبا الباردة، وكان ليبيد من أجواد العرب، وكان قد آلى في الجاهليّة أن لا تهب صباً إلا أطعم، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم. فهبت الصّبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال: إنّ أخاكم ليبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهليّة، أن لا تهب صباً إلا أطعم، وهذا يوم من أيّامه، وقد هبت صباً فأعينوه وأنا أول من يفعل، ثم نزل عن المنبر؛ فأرسل إليه بمائة بكرّة وكتب إليه بأبيات قالها:

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| أرى الجزارَ يشحذ شفرتيه | إذا هبّت رياحُ أبي عقيلٍ |
| أشمُّ الأنفِ أصيدُ عامريّ | طويلُ الباعِ كالسيفِ الصقيلِ |
| وفى ابنُ الجعفرِ بحلفتيه | على العلاتِ والمالِ القليلِ |
| بنحر الكومِ إذ سحبتُ عليه | ذيولُ صباً تجاوبُ بالأصيلِ |

فلما بلغت أبياته ليبيداً قال لابنته: أجيبيه فلعمري لقد عشت برهة وما أعيأ بجواب شاعر: فقالت ابنته:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| إذا هبّت رياحُ أبي عقيلٍ | دعونا عند هبّتها الوليدا |
| أشمُّ الأنفِ، أروعُ عبشمياً | أعان على مروءته لبيدا |
| بأمثالِ الهضابِ كأنَّ ركبا | عليها من بني حامٍ قعودا |
| أبا وهبٍ جزاك الله خيراً | نحرناها فاطعمنا الشريدا |
| فعدُّ إنَّ الكريمَ له معادٌ | وظنّي لا أبا لك أن تعودا |

فقال لها ليبيد: قد أحسنت لولا أنك استطعته، فقالت: إن الملوك لا يُستحيا

من مسألتهم، فقال: وأنت يا بنية في هذه أشعر^(١٠٨).

وما كان الجعفريون ليتغافلوا مع انشغالهم بإعانة الناس عن حماية الديار والأعراض على خيل مُفرطة في القوة والنشاط، تحمل سلاحهم كل يوم، يدّعون أعتتها أو شحة لهم؛ لسرعة جذبها وركوبها، وخيرُ الناس رجلٌ ممسك بعنان فرسه يسارع للنجدة، وكلما سمع استغاثة طار إليها، وكان لبيد ربيثة قومه، يعلو بفرسه الحزون الوعرة ذات الغبار والهبات لرصد الأعداء من فوقه على الرغم من ضيق الموقف؛ حيث كان يرى الغبار يعلو رايات الأعداء وأعلامهم لقربه منهم لفرط شجاعته وجراته.

وعندما تضيق مساحة الرؤيا عند حلول الظلام الذي يكفر الثغور، ولم يُعد للربيثة دور كبير، ينزل السهل وهو ساحة المعركة، فيرفع فرسه رأسه مثل نخلة عالية أعجزت صرّامها لطولها وذهابها في السماء، ثم يطلق لها العنان تجول وتصول بين الصفوف كعدو النعام وطرده حتى إذا ما حمي جسمها من التحويم، ازدادت سرعة ونشاطاً، كأنما خفت عظامها؛ أي أصبحت خفيفة الوزن، والخفة أولى بالسرعة، فتحمّمت بالعرق، وقلقت رحالتها وابتل حزامها من زود عرقها، ترمي رأسها في عنانها كأنها تطعن به الأعداء مكرّة مفرّة مُقبلة مُدبرة مسرعة كورد الحمام الماء حين العطاش وحمّت الحاجة إلى الماء.

فخره بالفوز على الربيع بن زياد في حضرة النعمان:

٧٠- وَكَثِيرَةٌ غُرْبَاؤُهَا مَجْهُولَةٌ تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا^(١٠٩)

١٠٨- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ٢٤٨.

١٠٩- كثيرة غرباؤها: دارة يغشاها أغراب كثر، مجهولة: غير معروفين، نوافلها: عطاياها، ذامها: العيب فيها. يفتخر بالمناظرة التي جرت بينه وبين الربيع بن زياد في مجلس النعمان بن المنذر ملك العرب، ولها قصة طويلة؛ وتحرير المعنى: رب دار كثرت غاشيتها؛ لأن دور الملك يغشاها الوفود، وغرباؤها يجهل بعضها بعضاً، وترجى عطايا الملوك، وتخشى مجالسها.

٧١- غُلِبَ تَشَدُّرٌ بِالذُّحُولِ كَانَهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا^(١١٠)

٧٢- أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُوتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا^(١١١)

لقد تعددت مخايل لبئد الخلقية، وتعددت جوانب شخصيته؛ فلم تقتصر على الندى والشجاعة والكرم، بل جمّلتها قوة المحاججة، وبلاغة المنطق، وقدرة التصدي لجدال الرجال العظام ذوي الأعناق الغليظة من شدة الذحول والإضغان الدفينة، وكأنهم لعلو قدراتهم، ورسو أقدامهم في هذا الجانب جن يسكن وادي البدي، وكان بمقدوره دحض حججهم وتسفيه مقالاتهم، وتحجيمهم بالحق حتى لا يستطيع أحد منهم أن يفخر عليه أو يتحدّاه، وهنا يومئ إلى مقالته في الربيع بن زياد، وهو غلام عندما وفد مع قومه إلى ديوان الملك النعمان بن المنذر ملك الحيرة، الذي يستقبل خليطاً من الضيوف وأصحاب الحاجات والشعراء، يفدون عليه من كل حدب وصوب، فلا يعرف الواحد منهم الآخر، يرجون عطاءه عند النجاح، ويخشون عقابه عند الفشل وقلة الكياسة في الحديث بين يديه.

قال الأصمعي: وفد عامر بن مالك مُلاعِبُ الأسنّة في رهط من بني جعفر ومعه لبئد بن ربعة ومالك بن جعفر، وعامر بن مالك عم لبئد، على النعمان، فوجدوا عنده الربيع بن زياد، وكان الربيع نديماً للنعمان، فلما حضر الجعفريون مجلس النعمان لحاجتهم فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم، وذكر معائبهم، وكان بنو جعفر له أعداء، فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء، وقد كان يكرمهم ويقربهم، فخرجوا غضاباً ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم ويغدو بإبلهم كل صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بالإبل، فاتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع، فسألهم عنه فكتموه،

١١٠- الغُلب: الغلاظ الأعناق، التشدّر: التهدد، الذحول: الأحقاد، البُدّي: واد لبني عامر في نجد، الرواسي: الثوابت.

١١١- أنكرت باطلها: كشفت باطل أقوالهم، بؤت بحقها: أقررت به، لم يفخر عليّ: لم يغلبنني.

فقال: والله لا حفظت لكم متاعاً ولا سرحت لكم بعيراً أو تخبروني فيم أنتم، وكانت أم لبيد يتيمة في حجر الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك وصدنا وجهه، قال لبيد: فهل تقدرين على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول مُمض مؤلم لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا: وهل عندك شيء؟ قال: نعم، قالوا: فإننا نبلوك، قال: وما ذاك؟ قالوا: تشتم هذه البقلة، وقدأمهم بقلة دقيقة القضبان، قليلة الورق، لاصقة فرعاً، بالأرض تُدعى التربة، فقال: هذه التربة التي لا تذكي ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها قليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعى، وأقصرها فرعاً، وأشدّها قلعاً، بلدها شاسع، وأكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فألقوا بي أبا عبس، أردته عنكم بتعس، وأتركه من أمره في لبس.

قالوا: نصبح ونرى رأينا في أمرك، فقال عامر: انظروا إلى غلامكم هذا، يعني لبيداً، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبه. فرمقوه فوجدوه قد ركب رحلاً وهو يكدم وسطه حتى أصبح، فقالوا: أنت والله صاحبه، فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته وألبسوه حلة، ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان، فوجدوه يتغدى ومعه الربيع بن زياد وهما يأكلان لا ثالث لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوفود، فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه، وقد كان أمرهم تقارب، فذكروا الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم، فقال لبيد:

أَكَلْ يَوْمَ هَامَتِي مُقْرَعَهُ يَا رَبِّ هَيَجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهُ
نَحْنُ بَنُو أُمَّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهُ سَيُوفُ حَزٍّ وَجِفَانٍ مُثْرَعَهُ
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهُ الضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخِيَضَعَهُ

والمطعمون الجفنة المددعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه^(١١٢)

فرفع النعمان يده عن الطعام وقال: خبثت والله يا غلام عليّ طعامي، وما رأيت كاليوم قط، فأقبل الربيع على النعمان فقال: كذب والله ابن الفاعلة. فقال له لبليد: مثلك فعل ذلك بريبة بيته والقريبة من أهله، وإنّ أمي من نساء لم يكن فواعل ما ذكرت. وقضى النعمان للجعفرين الحوائج من وقتهم وصرفهم. ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته. فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه وأمره بالانصراف إلى أهله، فكتب إليه الربيع: إني قد عرفت أنه قد وقع في نفس الملك ما قال لبليد. وإني لست بارحاً حتى تبعث إلي من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال. فأرسل إليه: إنك لست صانعاً باتقائك مما قال لبليد شيئاً. ولا قادراً على ما زلت به الألسن فالحق بأهلك. فلحق بأهله^(١١٣)، وقد افتخر لبليد بغلبة الربيع بن زياد مراراً في قصائده، فقال في قصيدة يعاتب بها عمّه أبا البراء:

وسقت ربيعاً بالفناء كأنه قريح هجان يبتغي من يُخاطر
فأفحمته حتى استكان كأنه قريح سلال يكتف المشي فاتر^(١١٤)

ويعود لبليد بعد ذلك للفخر بكرمه وبذله عندما يجوع الناس أيام البرد والقر، وتضرب قداح الميسر بين الرجال الموسرين:

كرمه في آونة الجوع:

٧٣- وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالي متشابه أجسامها^(١١٥)

١١٢- يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ٢٤٣، ٢٤٤. الإحالة رقم ١٥ / ٣٦٥.

١١٣- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

١١٤- لبليد بن ربيعة العامري: الديوان، ص ٩١.

١١٥- وجزور أيسار: فضيل تضرب عليه أزالام الميسر، دعوت لحتفها: طلبت عقرها على نفقتي دون لعب عليها مع الآخرين، المغالي: سهام الميسر: سميت بها لأن بها يغلق الخطر، وفكك الغلق: استحقاق الرهن.

- ٧٤- أدعو بهن لعاقِرٍ أو مَظفَلٍ بذلت لجيرانِ الجميعِ لحامُها
- ٧٥- فالضيفُ والجارُ الجَنيبُ كَأَمَّا هَبَطَ تَبالَةَ مُخَصَّبًا أَهْضامُها^(١١٦)
- ٧٦- تأوي إلى الأَطنابِ كُلِّ رَذِيَّةٍ مثلُ البَلِيَّةِ قَالِصٌ أَهْداها^(١١٧)
- ٧٧- وَيُكَلِّلونَ إِذا الرِّياحُ تَناوَحَت خُلجا تُمُدُّ شَوارِعًا أَيَتامُها^(١١٨)

ما أن ينتحي لبيد عن مواقف الكرم والندى إلا ويعود إليه بعجل؛ فالكرم أشهر خصال لبيد، فها هو يطلب نحر جزور كان مرهوناً لضرب أقداح الميسر عليه لإطعام أهل الحي والعفاة أيام الجوع على حسابه ومن ماله دون مقامرة، وإنما كان يطلب أقداح الميسر للقرعة بين الناقة العاقر والمطفل من إبله، التي سينحرها ويبدل لحمها للجيران، فالجيران الغرباء خاصة والضيوف في سعة من كرمه، كأنهم قد نزلوا وادي تباله الخصيب في الربيع، وكان لبيد يعمُّ بكرمه كلَّ الجفلى من غير أهل حيّه وضيوفه، فلا تغفل عينه عن المرأة الفقيرة أم أيتام، تمسك بأطناب بيته قالصة أهدامها، لا تكاد أثوابها تستر جسمها من شدة الحاجة والفقر، فيكلل لهم اللحم وقت اشتداد البرد وتناوح الرياح، وكان الأيتام يُقبَلون على جفانه، يأكلون من لحمها وشرابها الوافر، ويتركون فيها خلجاناً وشوارع ما بين اللحم والشراب.

١١٦- الجنب: الغريب. تباله: واد مخصب من أودية اليمن. الهضم المطنن من الأرض، ضيفي وجاري الغريب في سعة مني وكرم كأنما نزلا وادي تباله في الربيع.

١١٧- الأطناب: حبال البيت، الرذية: الناقة المهزولة، استعارها للفقيرة. البلية: الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت، الأهدام: الأخلاق من الثياب، قلوصها: قصرها.

١١٨- تناوحت: اشتدت، الخلج هنا: تحرك شراب اللحم في الجفنة لكثرتة، تمد شوارعا أيتامها: يشرع الأيتام في أكلها فيتركون فراغات كثيرة في الجفنة مثل الشوارع.

فخره بعمه أبي البراء ملاعب الأسنه:

٧٨- إِنْ إِذَا التَّقَّتِ المَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ مَنَا لِرَازِ عَظِيمَةٍ جَشَامُهَا^(١١٩)

٧٩- وَمُقَسَّمٌ يُعْطِي العَشِيرَةَ حَقَّهَا وَمُعْذَمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَامُهَا^(١٢٠)

٨٠- فَضَلًا وَذَوْ كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى سَمَحٌ كَسُوبٌ رَغَائِبٍ غَنَامُهَا^(١٢١)

يفخر لبيد قبيلة غنى من بني بكر بن كلاب بعمه أبي براء عامر بن مالك ملاعب الأسنه شيخ الجعفرين في غربتهم الذي تصدى لقبيلة كعب بن الحارث، جوارهم في نجران، فرفض مصاهرتهم، وأمر قومه بلبس السلاح وركوب الخيل، ثم قال لهم: «سيروا حتى تقطعوا ثنية القهر - وهي ثنية باليمن - فإذا قطعتموها فانزلوا». ففعلوا ما أمرهم به، ثم لحق بهم عند الثنية وقال لهم: «هل أخذت لكم دية أو أبتكم على خسف قط؟ قالوا: لا. قال: والله لتطيعنني أو لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري. أتدرون ما أراد القوم؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذناناً، ويستعينوا بكم على العرب وأنتم سادة هوازن ورؤساؤهم».

في حين عيّرهم بشيخهم جَوَّاب بن عوف الذي أضلهم وساروا على رأيه فجانب بهم العدل والصواب، وأكثر فيهم الظلم والفسق فضلوا عن جادة الحق؛ حيث قال فيه من قصيدته اللامية:

هم قومي وقد أنكرت منهم شمائل بدّلوها من شمالي

يغار على البريء بغير ظلم ويفضح ذا الأمانة والدلال

١١٩- التقت المجامع: لقاء الخصوم في المحافل والدواوين، يتجشم: يتحمل العناء، رجل لزاز الخصوم، يصلح؛ لأن يلز بهم؛ أي: يقرن بهم ليقهرهم.

١٢٠- الغذمة: التغضب مع مهمة. الهضم: الكسر والظلم.

١٢١- الندى: الجود، الرغائب: جمع الرغبية وهي ما رغب فيه من علق نفيس أو خصلة شريفة أو غيرها، الكسوب: الرجل الكسّاب، الغنّام: مبالغة الغنم.

وأَسْرِعَ فِي الْفَوَاحِشِ كُلِّ طَمَلٍ يَجْرُ الْمَخْزِيَاتِ وَلَا يُبَالِي
أَطَعْتُمْ أَمْرَهُ فَتَبِعْتُمُوهُ وَيَأْتِي الْغِيَّ مَنْقَطُعُ الْعَقَالِ^(١٢٢)

فشيخ الجعفرين أبو البراء الجعفري، عمٌ لبيد؛ كان ذا عقل وحكمة ورأي، لَزَّازٌ للرجال في المحافل، يتجشم الأهوال من أجلهم، عدلٌ إذا قسم الغنائم بين عشيرته لا يهضم حقَّ أحد، غضوبٌ إذا انتقصت الحقوق، لا يهدأ حتى يعيد الحق لأصحابه حتى ولو تنازل عن حقوقه هو، وهو صاحب فضل وكرم، سمح، رَغَابٌ بالصيت الطيب، كَسَّابٌ للمكارم، وغَنَامٌ للمحامد والأفعال الجليلة.

فخره بأجداده وقبيلته:

٨١- مِنْ مَعَشِرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا^(١٢٣)
٨٢- لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَىٰ أَحْلَامُهَا^(١٢٤)
٨٣- فَاقْنَعِ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا^(١٢٥)
٨٤- وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعَشِرٍ أَوْفَىٰ بِأَوْفَرِ حَظَّنَا قَسَامُهَا^(١٢٦)
٨٥- فَبَنِي لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَكُهُ فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا^(١٢٧)
٨٦- وَهَمُّ السَّعَاةِ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْظَعَتْ وَهَمُّ فَوَارِسُهَا وَهَمُّ حُكَّامُهَا^(١٢٨)

١٢٢- لبيد بن ربيعة العامري: الديوان، ص ٩٦.

١٢٣- يقول: هو من قوم سنت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالي واغتنامها.

١٢٤- لا يطبعون: لا تدنس أعراضهم، لا يبور فعالهم: لا تنتقص أفعالهم ولا تعاب، لا تميل أحلامهم: عقولهم راجحة لا تميل مع الهوى.

١٢٥- قسام المعايش والخلائق علامها، عالم الخلق وهو الله.

١٢٦- أوفى بأوفر حظنا: قسم لنا نصيباً عظيماً من الأمانة، قسمها الله سبحانه وتعالى.

١٢٧- بنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه: بنى لنا الله تعالى بيت شرف ومجد عالي السقف فارتفع إلى ذلك الشرف كهل العشيرة وغلامها.

١٢٨- السعاة: جمع الساعي إلى جميل الفعال، أفظعت: إذا أصيبت العشيرة بأمر فظيع دافع عنها فرسانها وقادها حكماؤها.

٨٧- وَهُمْ رَبِيعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ وَالْمَرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا (١٢٩)

٨٨- وَهُمْ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئَ حَاسِدٌ أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِثَامِهَا

ويختتم لبليد قصيدته مفاخرًا بعشيرته الأذنين وهم بنو جعفر، وقد سنَّ لهم سنة أوائلهم؛ سنة حميدة لا يحدون عنها: لا يدنسون أعراضهم ولا تُشانُ أفعالهم وهم رجحٌ لا يميلون مع الأهواء - وآفة الرأي الهوى - وهذه الحلايا الطيبة مقسومة لهم من الله علامها، قسم لهم أوفر حظًا من الأمانة والوفاء، وبهذه الأخلاق بنى أجدادهم لهم مجددًا رفيعًا يصعب على غيرهم نواله، واحتذى هذه الأخلاق السامية كهولهم وغلماهم، لم يشذُّ أحدٌ عن طريقها، فهم حكماؤها الساعون في مصلحتها، وهم فرسانها إن ألمَّ بها خطب، ربيعٌ للجار المقتر والجار الجنب، عون للأرامل في سنوات الجذب الطويلة، فهؤلاء هم العشيرة العزيزة الطيبة، وليس منهم حاسدٌ ولا لئيمٌ يخرج من صفهم إلى صف أعدائهم.

١٢٩- ربيع للمجاور: يرعون حق الجيرة، المرملات: النساء الأرامل هم عون لهن في السنة الجدباء.

الخاتمة

هذه القصيدة لا تقلُّ قيمتها التاريخية والأدبية عن مثيلاتها المعلقة، بل فاقتها في شرف موضوعها، ودواعي قولها ومعالجتها لحدثها، وترابط لوحاتها، ودقة تصويرها، وإصابة تشبيهاتها، وهي أكثر المعلقة تعلقاً بالديار وحنينا وشوقاً لأيامها الخوالي.

فقد كانت معلقة لبليد خارطة طريق لرحلة بدأت من جبلي أجا وسلمى شمال نجد متجهة نحو الجنوب، وقد ظنَّ مظنَّةً منه أنَّهم متوجهون إلى صوائق وحاف القهر أو طلخامها في نجران.

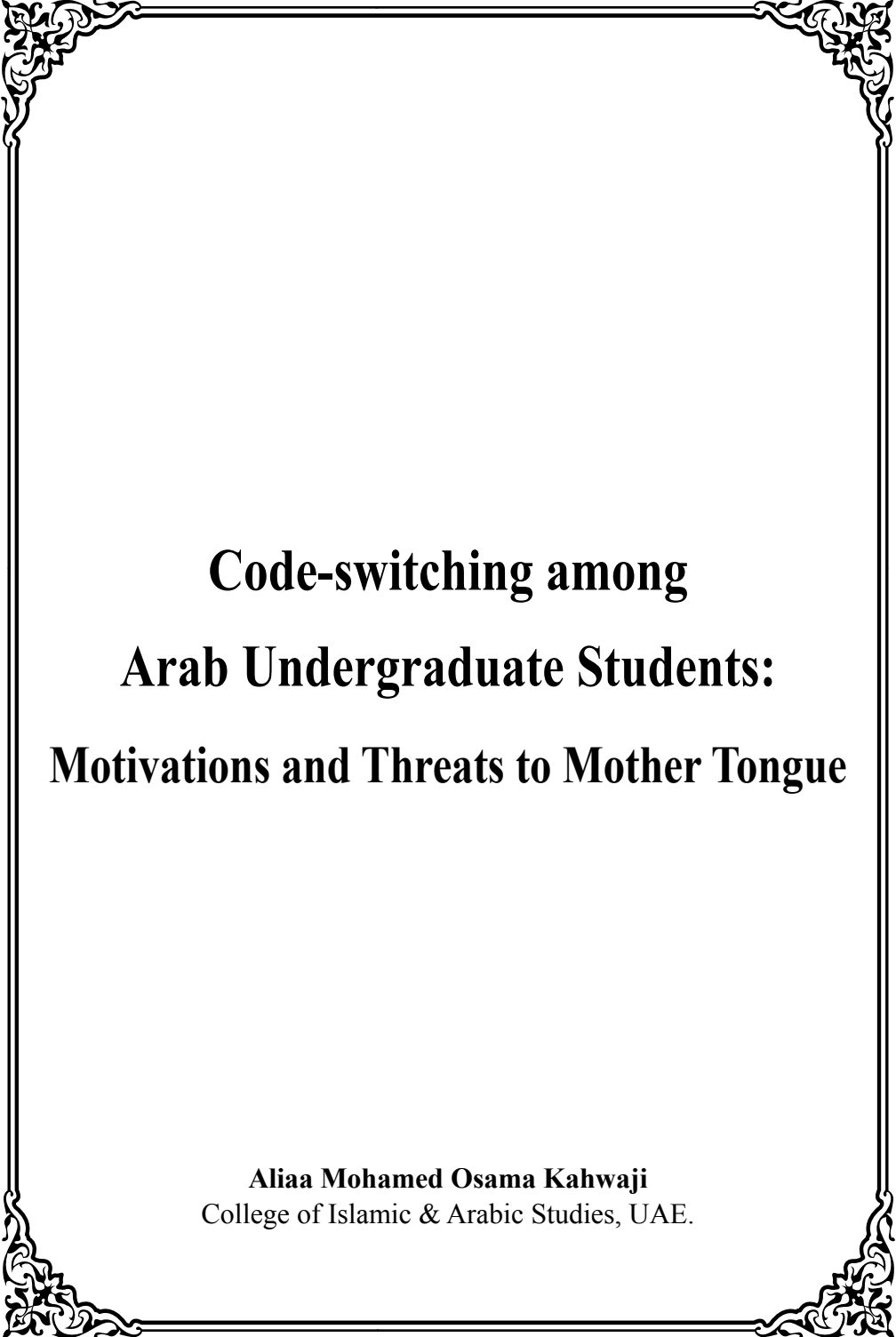
فتصوَّرَ عفوَّ الديار منهم بعد الرحيل، وخلوها من قطنها وأهلها الأصليين الذين امتلكوها حججاً كثيرة في حلها وحرامها، ثمَّ يصف شعوره بالحزن على قطعة تصرمت من زمانهم في نجد، عندما زُمَّت الركاب وتكنست النساء في الهوادج، وحدا بها الحادي في رحلة مجهولة نحو الجنوب.

ودَّع لبليد نجدًا وقلَّ لنجد عندهم أن تُودعا، سلَّم عليها بسؤال لم تجب عنه الصُّم البقيات، فهي لا تحري له جواباً عن تزغمه إليها، وشوقه وحنينه إلى ملاعب الصُّبا فيها، فأبكروا وحفز الحادي الإبل لتجدد في المسير، وتسرع الخطى؛ تخلصاً من الهموم الممضَّة التي عانوها من ظلم ذوي القربى، والجعفرى لا يقيم على الضيم والهوان بعد أن تبين له غدر القبيل، وعليه أن يقطع لبانة من تعرَّض وصله وتغيَّر، ورث قديم الحبل بينهما بسرعة ودون إبطاء، فالرحيل كرامة، والبعد معزة.

قدَّم لبليد دفوعاً قويةً تسويغاً لرحلتهم، معتلياً سلَّم الفخر: فخراً بالشجاعة والكرم وبلاغة القول وقوة الحجة؛ وذلك محاولة منه لإثبات الوجود، وتنزيه القبيلة عن المعاييب، وتبرئتها من ذل الانكسار من جراء رضوخهم لحكم القاضي الجائر - من وجهة نظره - بنفيهم عن ديارهم، وترك الديار ضرباً من ضروب الموت، ولون من ألوانه.

المصادر والمراجع

- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ط ٢، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٧ م.
- الجنيد، الشيخ سعد بن عبد الله: معجم الأماكن الواردة في المعلقات، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة و النشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٠ م.
- الذبياني، النابغة زياد بن معاوية، ديوان النابغة الذبياني، دار صادر، (د.ت).
- سحلول، حسن مصطفى: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م.
- العامري، لبید بن ربیعة: ديوان لبید بن ربیعة العامري، شرح الطوسي، ت: حنا نصر الحتي، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٩٣ م.
- ابن عربي، أبو بكر محي الدين بن محمد الطائي (٥٠٥ هـ): الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت.
- علي، كمال: أبواب العقل الموصدة، باب النوم و باب الأحلام، ط ٢، دار واسط، ١٩٩٠ م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٩٠ هـ): لسان العرب، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠ م.



**Code-switching among
Arab Undergraduate Students:
Motivations and Threats to Mother Tongue**

Aliaa Mohamed Osama Kahwaji
College of Islamic & Arabic Studies, UAE.

Abstract

Code-switching among Arab Undergraduate Students: Motivations and Threats to Mother Tongue

Aliaa Mohamed Osama Kahwaji

This study aims to investigate the occurrence of code-switching(CS) among Arab undergraduate students and the motivations that encourage them to switch from Arabic to English while communicating orally or via social networking websites with their friends or family members who have the same native linguistic background. In addition, it sheds light on the impact of English on the Arabic language and Arab identity from the students' perspective. To accomplish the objective set for this study, the researcher used questionnaires that include closed-ended statements as well as open-ended questions. Thirty copies of the questionnaire were given to 13 female and 17 male university students. The findings of the study reveal that expressing oneself better, not being able to find suitable equivalents for some English words in Arabic, and improving English speaking skills were some of the reasons why most Arab students would resort to code-switching. Interestingly, around 70% of the students believed that code-switching would have a negative impact on Arabic as it could weaken the ability to express oneself in Arabic fluently. In addition, many words would be threatened with extinction and replaced by English words. Although Arab students tended to mix languages as they live in an English speaking environment, many of them showed a positive attitude towards their mother tongue considered as a significant part of their identity and gave several suggestions to maintain it such as teaching Arabic to children and non-Arabic speakers, reading Quran, Arabic books and stories, practicing classical Arabic, holding conferences, etc.

Keywords: Code switching, EFL students, Motivation, Identity.

ملخص البحث

التداخل اللغوي بين الطلبة الجامعيين العرب: الحوافز والهوية

لقد أصبح التداخل بين اللغتين العربية والإنجليزية ظاهرة واضحة بين الطلبة العرب؛ حيث تُعدُّ الإنجليزية اللغة الثانية الأكثر شيوعاً في التعلم والاستخدام في العالم العربي، لما لها من أهمية على كافة أصعدة الحياة. وتهدف هذه الدراسة إلى الخوض في ظاهرة التداخل اللغوي بين الطلبة الجامعيين العرب، والأسباب والحوافز التي تدفعهم إلى الاستبدال بين اللغتين في الخطاب الشفهي، أو عبر وسائل الاتصال الاجتماعي، مع أصدقائهم وعائلاتهم. زيادة على ذلك، ستسلط هذه الدراسة الضوء على أثر اللغة الإنجليزية على اللغة والهوية العربية من وجهة نظر الطلبة. ولتحقيق هدف الدراسة، استخدمت الباحثة وسيلة الاستبيان التي تشمل أسئلة مغلقة أخرى مفتوحة. وقد وزعت الباحثة ثلاثين نسخة من الاستبيانات على (13) طالبة و(17) طالبا في الجامعات.

وأظهرت الدراسة أن التعبير الأفضل عن الذات بالإنجليزية عند عدم إيجاد مرادف باللغة العربية وتطوير مهارات اللغة الإنجليزية كانا سببين رئيسين لظهور التداخل اللغوي في استخدامات الطلبة. والجدير بالذكر أن حوالي (70%) من الطلبة الذين أجريت عليهم الدراسة وجدوا أن التداخل اللغوي يؤثر سلباً على لغتهم العربية؛ حيث إنها تُضعف القدرة على الاستخدام الطليق للغة العربية، فضلاً عن أن عدداً من الكلمات العربية مهدد بالانقراض والاستبدال بكلمات إنجليزية. وعلى الرغم من أن الطلبة العرب كانوا ميالين إلى المزج اللغوي كونهم يعيشون في مجتمع يتحدث الإنجليزية، أظهر العديد منهم موقفاً إيجابياً تجاه لغتهم الأم معتبرين إياها جزءاً من هويتهم، وأعطوا مجموعة مقترحات للحفاظ عليها كتدريس اللغة العربية للأطفال وغير الناطقين بها وقراءة القرآن والكتب والقصص العربية، والتدرب على العربية الفصحى، وتنظيم المؤتمرات... إلخ.

الكلمات المفتاحية: التداخل اللغوي، طلبة اللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية، التحفيز، الهوية.

1.0 Introduction

1.1 Background of the study

Code switching is a very common phenomenon in societies where more than one language is used for communication. Bilingual speakers tend to code switch from one language to another in order to express their identities and the way they perceive the world (Heredia and Jeanette, 2001). In addition, according to Gardner-Chloros (2009) as quoted by Alfaifi (2013) in her study titled code-switching among bilingual Saudi on Facebook, code-switching is defined as a phenomenon that can be seen obviously in bilingual interactions, when people who speak the same languages replace a word or phrase in one language by another word or phrase in a second language.

Armia (2009) asserts that code switching can be either intersentential which involves shifting from one language to another between sentences, or intrasentential which usually occurs inside the same sentence on both morpheme and clause levels. Interestingly, Gal (1979) as cited in Abdul-Zahra (2010) asserts that some bilingual speakers tend to code-switch from one language to another while interacting with monolingual speakers. This linguistic behavior is attributed to their desire to look more cool or stylish, or to be viewed as experts in some areas, or to get the feeling that they are more superior to their audience. Moreover, Gal argues that age and language choice patterns are strongly correlated. Therefore, it could be said that older speakers usually prefer using their native language, whereas younger speakers tend to use modern speech style and code-switching while interacting with others. It is worth mentioning that Al Qudhai'een (2003) states that code-switching can be obvious among bilinguals who have the same native linguistic background. Therefore, language proficiency of the speakers and their social environment play a key role in determining the frequency of shifting from one language to another in a conversation.

Grumperz (as cited in Armia, 2009) divides code-switching into two types, conversational and situational. Conversational code-switching is defined as mixing between two different grammatical systems or subsystems within the same conversation. This type of code-switching occurs unconsciously when speakers concentrate on the conversation itself. On the other hand, situational code-switching occurs in different situations where speakers have to make changes in language choices based on the needs required for

every situation. It is worth noting that this type of code-switching occurs in situations that require using formal language such as school, work, etc.

Language and ethnicity according to Fishman (1989) as quoted by Vela'squez (2010), "are seen as the basic building blocks of human society". Thus, language is considered as a way to strengthen and reflect societies' beliefs and rules. Moreover, Vela'squez (2010) claims that language and identity are tightly connected. Therefore, bilinguals will be forced to recreate their identities when they are in a context in which they have to communicate with others using their second language.

1.2 Problem Statement

It has been reported, according to Hanani (2009), that Arabic-English code-switching has become an obvious phenomenon among Arabs due the great importance of English in all life areas. Therefore, Arabs tend to use a mixture of both Arabic and English when they communicate orally or online with people whether they are Arabs or foreigners including their families and friends. This can be also obvious among the Arab EFL undergraduate students at IIUM who come from different Arab countries and share the same language, religious beliefs, ethnicity and culture.

According to Altwaijri (2004) as quoted by Hanani (2009), "the power of a language derives from the power of its speakers" (p.15). Therefore, it could be said that Arab speakers who tend to use English in their daily conversations with their fellow Arabs may not show enough respect towards their mother tongue as they may perceive English as a language that is superior to Arabic. As a result, their identity may be negatively influenced by the English language.

Badry (2007) as cited in Hanani (2009) asserts that "giving more importance to learning English may endanger mother languages" (p.2). In addition, she believes that the identity of young Arabs especially of those who belong to elite social classes may have been badly influenced by English to the extent that they have started to move away from their culture and to be unable to think and produce knowledge in Arabic.

This study aims at finding the motivations that encourage Arab students at IIUM to shift from Arabic to English while talking to their friends and fam-

ily members who have the same native linguistic background. Moreover, this study will shed light on the impact of the English language on constructing Arab identity.

1.3 Objective of the study

The objectives of the study are:

1. to investigate the reasons behind Arabic – English code-switching among Arab students at IIUM.
2. to investigate the impact of the use of the English language on Arabic.

1.4 Research Questions

1. How do Arabs perceive the impact of code-switching and the use of English on their mother tongue?
2. What are the motivations that lead Arabs to switch from Arabic into English while interacting with their Arab friends or family members verbally or via Facebook?
3. What are the most common English words inserted within Arabic sentences?

2.0 Literature Review

This chapter covers definitions related to code-switching, motivations behind code-switching and previous studies on code-switching among Arabic-English bilinguals.

2.1 Definition of Code-Switching

Code-switching has been defined by several researchers. Timm (1975) defines CS as cited in Al Qudhai'een (2003) as a method of communication used by bilinguals who shift frequently from one language to another during a conversation. Gumperz (1976) describes CS as quoted by Jdetawy (2011) as “the juxtaposition of passages of speech belonging to two different grammatical systems or subsystems”.

Furthermore, there are three important definitions of code-switching cited in Jdetawy (2011). The first one is by Grosjean who defines code-switch-

ing as using two or more languages alternatively in a conversation. This can be seen on a word, phrase, or sentence level. Spolsky (1998) perceives code-switching as a phenomenon that occurs among bilinguals who use two common languages while interacting with others. This phenomenon takes place in sentences, phrases, words, or parts of words. The definition of code-switching according to Skiba (1997), which has been followed in this study, refers to using two languages or dialects alternatively among people who can interact together using the same languages or dialects.

According to Fong (2011), many studies have been conducted on code-switching occurring in verbal communication. Bilinguals tend not to focus on the conversation itself while interacting verbally with others as conversation is spontaneous, but they concentrate on conveying ideas very well and being understood. On the other hand, online non-verbal communication has spread widely among bilinguals since there are several means that help them communicate easily such as instant messaging, e-mail, and social networks. It's worth mentioning that, non-verbal communication allows people to edit and revise what has been written before being sent. Thus, it could be said that bilinguals are aware of their code-switching behavior and they do it intentionally as they have time to think before writing any single word. However, the reasons behind online- non-verbal code-switching behavior differ from the reasons related to verbal code-switching (Fong, 2011).

2.2 Motivations behind code-switching

According to Heredia and Jeanette (2001), many researchers claim that code-switching is a result of language deficiency. They argue that bilinguals are not good enough at either language. Therefore, they tend to switch between two languages while communicating with others in order to compensate for this deficiency. However, this claim has three major problems. The first one is that not being able to remember a word which is considered as a common phenomenon among bilinguals cannot be regarded as a sign of language deficiency since some words are not used frequently. Moreover, this claim failed to explain that code-switching should be grammatically correct. The last problem related to this claim is that language deficiency is ambiguous as the previous claim mentioned failed to define it clearly.

According to Cohen and Thomas as cited in Alenezi (2006), the motivations behind code-switching are divided into two categories. The first one is

to make up for language deficiency and the second one is the desire to belong to a certain social group. On the other hand, Heredia and Altarriba(2001) as cited in Alenezi (2006) argue that bilinguals prefer code-switching as it makes others understand them more. In addition, code-switching for some bilinguals is a way to feel that they belong to a certain social group. However, Scotton (1989) as cited in Alenezi (2006) tried to find the reasons behind code-switching among people who share the same native linguistic background. She asserts that code-switching is a way to attract listeners' attention and to create social distance.

Interestingly, Mishra and Yadav (2013) argue that code-switching should not be considered as a problem, but rather as a supportive tool to enhance students' learning of the English language. In addition, It is perceived as a significant aspect in both cognitive and social communication. Similarly, Lee (2012) claim that code-switching brings better learning outcomes among ESL learners as it helps them clarify any doubts or misunderstandings created by the second language. According to Ariffin and Husin (2011), code-switching is a useful phenomenon as it performs some functions such as language simplifications, clarifying explanations and establishing social relationships. Furthermore, Metila (2011) claims that some contexts may require speakers to resort to code-switching as the speakers' choice of a certain language is related to particular situations where they need to communicate their ideas or understanding of certain things clearly.

Empirical studies have revealed that code-switching is not a useless linguistic behavior or even an indication of language deficiency. Thus, code-switching can be attributed to social, psychological, linguistic, cultural, or political reasons (Alenezi, 2006).

2.3 Studies on code-switching among Arabic-English bilinguals

There are several studies conducted on code-switching among Arabic-English bilinguals. Alfaifi (2013) conducted a study about code-switching among bilingual Saudis on Facebook. This study aimed at investigating the use of intrasentential code-switching on Facebook. The data included 1000 comments collected from the Ffacebook pages of 10 Saudi females. Moreover, tThe data was analyzed and categorized according to several topics that included gossip, humor, technology, compliments and thanking, movies and songs, family, make up, and religion. The results of this study revealed that in-

trasentential code-switching is a common phenomenon that occurs frequently during interacting with others informally on Facebook.

Another study was conducted by Alsbai (2011) about code-switching between Arabic and English among Saudi speakers in Jeddah. This study aimed at finding out whether code-switching is more common among males or females bilinguals in Jeddah. It also, aimed at finding out the reasons behind this linguistic behavior. The data of this empirical study was collected through a questionnaire and an indirect interview-chatting with the participants, which would allow the researcher to get more accurate answers. The results of this study revealed that female speakers use code-switching more than males. Furthermore, Females consider CS as a sign of prestige and education. On the other hand, male speakers do not resort to code-switching as much as females as they are not good enough at English and they are uninterested in code-switchingsince they are proud of their local dialect.

Arabic- English code-switching among Arab students at UUM, Malaysia is a study conducted by Jedetawy (2011) to investigate the frequency of using code-switching in the daily conversations of Arab students and to find out the reasons behind this linguistic behavior. It also aimed to shed light on the most common types of code-switching used by Arab students at UUM and to see if there is a relationship between familiarity with interlocutors and codeswitching. The finding of this study revealed that most of Arab students at UUM tend to shift from one language to another during their daily conversations. Moreover, one of the major reasons that motivate Arab students to use code-switching is the lack of equivalents of many English words in Arabic. This study showed also that the most common type of code-switching used by Arab students at UUM is tag- switching.

The majority of studies conducted on code-switching among Arab bilinguals have overlooked discussing the impact of the use of code-switching on shaping Arab identity and affecting the Arabic language negatively. Therefore, this study aims at investigating the motivations behind verbal and non-verbal code-switching among Arabic-English bilingual students at IIUM and its impact on Arab identity and the Arabic language.

2.4 Theoretical Framework

Two theoretical frameworks are adopted in this study. The first one is

suggested by Gal (1979:119) who asserts that some bilingual speakers tend to code-switch from one language to another while interacting with monolingual speakers. This linguistic behavior is attributed to their desire to look more cool or stylish, or to be viewed as experts in some areas, or to get the feeling that they are more superior to their audience. This framework will be tested in this study to figure out whether or not Arab bilinguals tend to switch codes while interacting with others who have the same native linguistic background and to discover the specific motivations behind this behavior.

The second theoretical framework is related to language and identity. Badry (2007) asserts that “giving more importance to learning English may endanger “mother languages.” Moreover, Language and ethnicity according to Fishman (1989) as quoted by Vela’squez (2010) “are seen as the basic building blocks of human society”(p.11). Language plays an important role in shaping one’s identity. Therefore, this study is going to shed light on the impact of using English on shaping Arab bilinguals’ identities.

3.0 Methodology

This section describes the methodology used in this study. It covers the following sections; instruments and data collection, population and sampling, and data analysis.

3.1. Research Design

This study used a mixed methods approach combining both qualitative and quantitative methods in an effort to obtain sufficient, authentic, valid, and reliable data. The qualitative aspect involved the observation and the indirect interviews with the participants whereas the quantitative component of the study involved the use and analysis of a questionnaire as well as 51 comments taken from a Facebook page dedicated to Arab students who study at the International Islamic University Malaysia (IIUM).

3.2. Population and sampling

The participants of this study were 60 Arab bilingual students who study at IIUM. They were selected because most of them have been learning English for approximately nine years in EFL classrooms. The majority of them have achieved a level of English literacy that allows them to express themselves, participate and succeed in English learning environments. 30 partici-

pants completed the questionnaire and were interviewed indirectly, whereas the rest of them were observed online through their comments on Facebook to analyze their code-switching behavior. It could be said that the number of participants was enough to get an accurate result to support the study as the responses collected helped the researcher get trustworthy data that is representative of their participants. The participants were aged between 19-26. In fact their age played a great role in getting more precise answers from them since it is well known that people who belong to this age group are usually mature enough and aware of their way of interacting and communicating with others. All the participants were native speakers of Arabic, and English was their second language which was learned at school. In addition, they were regarded as homogeneous as they share the same language, religion, origin and culture. It's worth mentioning that they came from different countries like Jordan, Saudi Arabia, Syria, Yemen, Kuwait, Palestine, Iraq, Tunisia, Sudan, and Algeria to pursue a university degree.

3.3. Instruments and Data Collection

To answer the research questions and to accomplish the objectives set for this study, the researcher adopted a questionnaire used in Hanani's (2009) study to obtain the information needed regarding code switching and the impact of the English language on Arabic. The questionnaire was divided into two parts; closed-ended statements and open-ended questions. The total number of items included in the questionnaire was 25. Thirty copies of the questionnaire were given to 13 female and 17 male participants. However, to get more accurate answers, the researcher interviewed the respondents indirectly by using Arabic language to observe whether or not they switch codes while talking to other speakers who share the same native linguistic background.

The researcher used 51 comments collected from five posts taken from a Facebook page dedicated to Arab-IIUM students as another instrument to analyze the respondents' code-switching behavior during online and written interaction. The comments were required to contain complete sentences since code-switching often takes place in the context of sentences. Therefore, all comments that did not contain complete sentences were excluded. It's worth noting that to answer any of the two research questions; the researcher had to use all the previously mentioned instruments.

3.4. Data Analysis

The data collected for the current study was analyzed in terms of the frequency of code-switching and the reasons behind this linguistic phenomenon. The responses to the questionnaire items were analyzed carefully to figure out how the respondents perceived the influence of code-switching and the use of English on Arabic and constructing Arab identity. Furthermore, the comments collected from Facebook were translated and the most common English words used during a conversation were identified.

4.0 Results and Discussions

This section is divided into two parts. The first one shows and discusses the results gained from the questionnaire, whereas the second part deals with analyzing and discussing the comments collected from Facebook. It is worth noting that both parts answer the two research questions of this study simultaneously.

4.1 -Questionnaire Results and Discussion:

After thirty participants completed the questionnaire, the number of each answer chosen was counted and put in the tables below. The results of this section answer the first research question “How do Arabs perceive the impact of code-switching and the use of English on constructing their identity?”

| 1 | Always | Often | Sometimes | Rarely | Never |
|------------------|----------|-----------|-------------|------------|------------|
| Parents | - | - | 6 (20%) | 8 (26.6%) | 16 (53.3%) |
| Siblings | 1 (3.3%) | 2 (6.66%) | 14 (46.66%) | 8 (26.6%) | 5 (16.6%) |
| Relatives | - | - | 4 (13.3%) | 13 (43.3%) | 13 (43.3%) |
| Arab Friends | - | 3 (10%) | 15 (50%) | 8 (26.6%) | 4 (13.3%) |
| Non-Arab friends | 27 (90%) | 3 (10%) | - | - | - |

Table 1: Participants’ responses to the first statement (I speak English to):

According to table 1 which shows the number of participants who preferred to use English with their parents, siblings, relatives, and friends, Eng-

lish was not always used with parents, relatives, and Arab friends. Only 3.3% of the respondents indicated that they used English all the time with their siblings and 6.66% used it often with them. Also, findings revealed that the percentages of respondents who “never” used English with their parents and relatives were 53.3% and 43.3% respectively. On the contrary, 20% of the participants stated that they “sometimes” spoke English to their parents and 13.3% of them used English sometimes with their relatives. However, the percentages were noticeably higher with siblings and Arab friends, as 46.66% responded that they used English sometimes with their siblings and 50% with their Arab friends. This may suggest that participants used less English with their parents and relatives as a form of maintaining their mother tongue. Whereas, they used more English and less Arabic with their friends and siblings as the English learning environment that they are exposed to requires them to converse using English.

Table 2: Participants’ responses to the second statement (I speak Arabic to):

| 2 | Always | Often | Sometimes | Rarely | Never |
|------------------|------------|-------------|------------|----------|----------|
| Parents | 21 (70%) | 8 (26.6%) | 3.3%)1 | - | - |
| Siblings | 15 (50%) | 43.3%)13 | 1 (3.3%) | - | 3.3%)1 |
| Relatives | 18 (60%) | 12 (40%) | - | - | - |
| Arab Friends | 8 (26.66%) | 16 (53.33%) | 4 (13.33%) | 1 (3.3%) | 3.3%)1 |
| Non-Arab friends | - | - | 2 (6.66%) | 23.3%)7 | 21 (70%) |

Based on table 2 showing the number of participants who preferred to use Arabic with their parents, siblings, relatives, and friends, findings showed that Arabic was broadly used with the family especially parents, whereas it was less used with friends in general. 70% and 60% of the respondents stated that they used Arabic all the time with their parents and relatives respectively. However, the percentages decreased with siblings and Arab friends as 50% and 26.6% of the participants always used Arabic with their siblings and Arab friends respectively. On the contrary, findings revealed that only few participants never spoke Arabic to their siblings and Arab friends, as only 3.3% of them stated that they never used it with their siblings, 3.3% never did with

their Arab friends, and only 3.3% said that they rarely used it with their Arab friends. It could be said that Arabic is the most preferred language of communication among family members.

Table 3: Participants' responses to statements a, b, c, and d

| 3 | Strongly Agree | Agree | Neutral | Disagree | Strongly Disagree |
|---|----------------|----------------|---------------|-------------|-------------------|
| a- I like to read in English | 8 (26.66%) | 11 (36.66%) | 10 (33.3%) | 1 (3.3%) | -- |
| b- I like to write in English | 5 (16.6%) | 17 (56.66%) | 7 (23.3%) | 1 (3.3%) | -- |
| c- I like to read in my first language | 12 (40%) | 13 (43.3%) | 4 (13.3%) | 1 (3.3%) | -- |
| d- I like to write in my first language | 10 (33.3%) | 14 (46.66%) | 5 (16.6%) | 1 (3.3%) | -- |

According to the participants' responses to statements a, b, c, and d shown in table 3 which shows their preferences for reading and writing in Arabic and English, findings revealed that 83.3% and 79.9% of the respondents agreed that they liked to read and write in Arabic respectively. However, only 3.3% showed their disinterest in reading and writing in their mother tongue. On the contrary, findings showed that 63.3% and 73.3 of the participants liked to read and write in English respectively. However, only 6.6% showed their disagreement with reading and writing in English, whereas the rest remained neutral in this regard. This suggests that English has become one of the preferred mediums of reading and writing among students. In addition, although the participants were not proficient users of English, they preferred to use it as it is the language of knowledge and technology.

Table 4: Participants' responses to statements e, f, g, and h

| 4 | Strongly Agree | Agree | Neutral | Disagree | Strongly Disagree |
|---|----------------|---------------|---------------|--------------|-------------------|
| e- I speak my mothertongue because I can express myself better | 12 (40%) | 13 (43.3%) | 3 (10%) | 1 (3.3%) | 1 (3.3%) |
| f- I speak English because I can express myself better | 2 (6.66%) | 5 (16.6%) | 16 (53.3%) | 6 (20%) | 1 (3.3%) |
| g- Speaking only English affects my cultural identity | 5 (16.6%) | 7 (23.3%) | 4 (13.3%) | 7 (23.3%) | 7 (23.3%) |
| h- Mixing English with my first language is bad for my first language | 7 (23.3%) | 12 (40%) | 6 (20%) | 2 (6.66%) | 3 (10%) |

According to the participants' responses to statements 'e' and 'f' shown in table 4, findings revealed that the majority of the students (83.3%) preferred to speak Arabic more than English, as opposed to 23.2% of the students who favored English over Arabic to express themselves better.

Statement 'g' "speaking only English affects my cultural identity" aimed at finding out whether or not participants believed that English would affect their cultural identity. Therefore, by combining their responses showed their agreement and disagreement in this respect, the findings revealed that 39.9% of the students believed speaking only English would affect their cultural identity, whereas 46.6% of them disagreed. Regarding statement 'h', findings showed that only 16.6% of the participants stated that mixing English with Arabic would not affect Arabic negatively, whereas 63.3% agreed that mixing the two languages would have a bad effect on Arabic. 20% of the participants remained neutral in this regard.

Table 5: Participants' responses to statements I, j, and k

| 5 | Strongly Agree | Agree | Neutral | Disagree | Strongly Disagree |
|---|----------------|---------------|--------------|---------------|-------------------|
| I- If I do not speak my first language it will disappear | 1 (3.3%) | 8 (26.66%) | 5 (16.6%) | 7 (23.3%) | 9 (30%) |
| j- There is no risk of losing my mother tongue even if I do not use it much | 2 (6.66%) | 4 (13.3%) | 5 (16.6%) | 10 (33.3%) | 9 (30%) |
| k- Maintaining my first language is my responsibility | 16 (53.3%) | 10 (33.3%) | 3 (10%) | 1 (3.3%) | -- |

By combining the students' responses indicated their agreement and disagreement to statements 'I, j, and k' shown in table 5, findings revealed that 29.3% of the respondents believed that their language would disappear if they didn't speak it, whereas more than half of them didn't believe so. However, only 16.6% of them remained neutral.

Regarding statement 'j', 63.3% of the respondents believed that there was no risk of losing their mother tongue even if they did not use it much. However, 19.9% believed that there was a risk of losing it if they did not use it. Also, findings revealed that the vast majority, almost 86.6% of the participants believed that maintaining the Arabic language was their responsibility, whereas only 3.3% of them believed it was not their responsibility. Moreover, 10% of them were neutral in this regard.

4.2- Participants' Responses to Open-Ended Question:

The second part of the questionnaire contained four open ended questions which allowed the respondents to express their opinion freely about their linguistic practices and choices which, in turn, helped the researcher to discover more about the respondents' linguistic behavior and background. It is worth noting that 20 Arab students responded to the questions using Arabic, whereas only 10 students responded using English. Additionally, it should be noted that the research question "What are the motivations that lead Arabs to switch from Arabic into English while interacting with their Arab friends or family members verbally or via Facebook?" was not directly answered by the study, but insights can be deduced from the participants' answers.

The findings from responses to open-ended Q1 revealed that mixing both languages mostly occurred in Arab-Arab interactions as 60% of the respondents indicated that the code mixing was practiced with their Arab friends and anybody who has the same linguistic background, while 40% stated that they used both languages with their families, spouse and relatives..

The second open-ended question required the participants to state some reasons to justify their linguistic behavior. Half of the respondents (50%) said that code switching helped them communicate better with others and express themselves fully as sometimes they faced difficulties in finding the right equivalents for some words in Arabic. One of the respondents said: “Sometimes I forget the right word in Arabic or I don’t find a suitable one, so I say it in English.” This corresponds with Heredia and Altarriba (2001) as cited in Alenezi (2006) who argued that bilinguals prefer code-switching as it makes others understand them more. In addition, code-switching for some bilinguals is a way to feel that they belong to a certain social group. Similarly, the results of Jedetawy’s study (2011) revealed that one of the major reasons that motivate Arab students to use code-switching was the lack of equivalents of many English words in Arabic.

On the other hand, 30% stated that they mixed languages intentionally to improve their speaking skills, whereas 20% attributed their linguistic behavior to the fact that their Arabic language skills were not as good as their English language skills since they were studying in international schools. Therefore, they preferred to mix both languages while communicating with others. One of them stated, “In my case, mixing both languages happens naturally as I was studying in an international school and most of my friends were foreigners.” It could be said that this proves Cohen and Thomas’s claim (1983) as cited in Alenezi (2006) which was about the two categories of the motivations behind code-switching. The first one was to make up for language deficiency, while the second one was the desire to belong to a certain social group.

The results of the third open-ended question, which aimed to find out whether or not the respondents thought that English could affect their mother tongue in one way or another, revealed that 70% of the participants believed English had a negative impact on Arabic as many Arabic words would be threatened with extinction and would be replaced by English ones. This corresponds with what Badry (2007) stated “giving more importance to learning

English may endanger mother languages.” In addition, the respondents attributed their decreasing fluency in Arabic to the fact that English could weaken the ability to express oneself in Arabic fluently. On the contrary, 30% of the participants stated that English had no effect on their mother tongue at all.

The last open-ended question required the respondents to give their opinion about how to maintain the Arabic language in the current age of globalization. 85% of the students indicated that Arabic could be maintained by speaking the language, teaching it to children, and reading Quran, Arabic books and stories, while 15% stated that it could be maintained by teaching it to non-Arabic speakers, holding conferences and organizing awareness campaigns, and practicing classical Arabic regularly. Some respondents stated that “It is very important to maintain the Arabic language, the language of Quran, as it reflects our identity as Muslims and Arabs.” This could be linked to Fishman’s statement (1989) quoted by Vela’squez (2010) “Language and ethnicity are seen as the basic building block of human society” as language plays a significant role in shaping one’s identity.

4.3- Facebook Comments Results and Discussion:

This section addresses the third research question, “What are the most common English words inserted within Arabic sentences?” In addition, it shows the analysis and results of 51 comments written by 30 bilingual Arab users of Facebook. The comments are collected from five posts taken from a Facebook page dedicated to Arab IIUM students. The analysis of each post and its comments is presented separately and categorized according to the following sections; general services, academic matters, religious events, humor, and jobs. It is worth mentioning that the Arabic comments are translated into English and the English words written in Arabic letters are underlined and typed in bold.

General Services Topic -- Facebook Post 1:

Ahmad K: IIUM غرفة متوسطة للإيجار بجانب

Medium room for rent near IIUM

May 4 at 7:00 PM.. 50 people like this.

- 1- Saber A: Hello, how much& can send me the photos for room, and tell me who r housemates. Thnx.
- 2- Ahmad K: Dear bro, u can come to see the apartment & room any time u want, I send photos to ur inbox.
- 3- Mohamad G: أنا محتاج غرفة بسرعة والبدجت تبعتي 500 رنجت، ابعثلي مسج عالحاص بليز.

I need a room urgently and my budget is 500RM. Send me a private message please.

- 4- Isam Ah: أخي بليز ممكن نخط صور للغرفة.

Could you please post some photos?

- 5- Raid Sa: أنا أريد أشيك الغرفة. ثانكس.

I want to check the room. Thanks.

This post was written by an Arab student about an available room for rent near IIUM. Although the post was written in Arabic, five participants commented on it using English. Interestingly, the same student, Ahmad K, who wrote the post in Arabic commented on his post using English only (comment 2). On the other hand, only three students responded using Arabic without inserting any English word in their comments, whereas three students embedded some English words in their comments. Mohamad G inserted three English words in his comment; budget, message and please, while Isam Ah used “thanks” which was the only English word used in his comment. The word “check” was used as a verb in Raid’s comment. It is worth mentioning that “please” and “thanks” are two of the most common English words used by Arabs especially in Arab-Arab interactions.

Academic Matters -- Facebook Post 2:

Osama K: أريد أنجح بامتحان السلباد وأفتك، الإنجلش مسويليسترس انصحوني وش أسوي؟

I want to pass EPT, English causes me stress. What shall I do? Please advise me.

May 7 at 5:00 PM.. 60 people like this.

- 1- Ahmad Ah: ولا يهكم أخوي أنا أساعدك رح أسويك آد ونتكلم عالعثات
Don't worry brother, I can help you. I'll add you so that we can chat.
- 2- Gaith Ah: عفوا شباب فيني نزل كورسات بالشورتسمستر؟؟ أنا طالب ماستر:
Excuse me guys, can I take courses in the short semester? I'm a master's student.
- 3- Osama K: مشكورين شباب عالعدم:
Thanks for your support.
- 4- Lubna Is: لا أخي طلاب الماستر أوالبوست جراديويتبشكل عام مايقدرُوا بس بعتمد فيك:
تاخذ الريسيرش بيبراً أو الشيسس . بالتوفيق
Master's students or Postgraduates in general can't take courses in summer, but I think you can work on your research paper or thesis. Good luck.
- 5- Laith Far: لا أخي ما بتقدر إلا بالفصل الأكاد يمي العادي
You can take courses only during a regular academic semester.

The second post was written by an Arab student who was seeking advice on how to pass EPT. Osama K wrote his post in Arabic, but he used two English words in his post; "English and stress". However, he did not use any English word when he commented on his post (comment 3). Nine participants responded to his post in Arabic. Six of them wrote in Arabic and switched to English, while the rest responded in Arabic only. However, only three participants wrote their comments entirely in English. It could be noticed that most of the words inserted within the Arabic sentences in this post are academic such as semester, courses, postgraduate, thesis, research paper, and few others.

Religion - Facebook Post 3:

Faten Ab: رمضان على الأبواب... أهلا رمضان

Ramadan is just around the corner....welcome Ramadan

May 12 at 1:00 PM.. 40 people like this.

- 1- Zuhair Alz: رمضان مبارك
Ramadan Mubarak
- 2- Mohamad Ant: أهلا رمضان
Welcome Ramadan
- 3- Lucy na: رح أشتاق لأهلي لأنورح اقصي رمضان بعيدة عنهن. رمضان مبارك.
I'm going to miss my family because I'll spend Ramadan away from them. Ramadan Mubarak.
- 4- Sarah Om: عادي حببتي اكيد عندك فرندز يخففون عنك هالشعور.
It's ok dear; your friends can make you feel good.
- 5- King Mind: Can't wait for it. May God forgive our sins.

Facebook post 3 was written by one of the participants to welcome Ramadan and to remind others of getting ready for it. The post was written entirely in Arabic without inserting any English words. However, only one participant responded to the post using English only, whereas the rest of the participants preferred using Arabic. Interestingly, comment number 4 was the only comment included an English word, i.e., 'friends'.

Jobs – Facebook Post 5:

Zuhair Alz: Master's in accounting and experience with professional English language looking for a job. Anyone can help me? I'll appreciate your assistance.

May 17 at 7:00 PM.. 50 people like this.

- 1- Mohamad An: بالامكان التواصل معي على الخاص يوجد فرصة عمل كمحاسب
Send me a private message; there is a job vacancy.
- 2- Zuhair Alz: Plz check inbox or others
- 3- Zuhair Alz: لماذا لاترد يا أخي؟؟
Brother, why don't you reply?
- 4- Mohamad An: I was out. I'll check and come back to you.
- 5- Alaa Tam: مطلوب بشكل عاجل شاب أو بنت للعمل بشركة سياحية بالتايم سكوير:
فول تا يماو بارت تايم عنده خلفية في السياحة والكمبيوتر والسوشل ميديا ولغة عربي وانجليزي.

We are urgently looking for a part time or full time male or female employee to work at a tourism company at Times Square. They should have a background in tourism, computer and social media, and good English language skills.

Zuhair Alz wrote Facebook post 5 hoping to find a job opportunity related to accounting. He wrote his post in English without inserting any Arabic word. Interestingly, Mohamad An commented on the post using Arabic only (comment 1). In response, Zuhair Alz wrote a comment in English, but he later wrote another comment entirely in Arabic (comments 3). Likewise, in comment 4, Mohamad An responded using English only, while in his next comment he responded entirely in Arabic. It is worth noting that comment number 5 was the only Arabic comment that included some English words, i.e. full time, part time, computer, and social media.

Summary of English words inserted within Arabic sentences:

Table 6: The most common English words inserted within Arabic sentences in the previous posts

| Religious words | Technical Terms | Academic Terms | Other words |
|-----------------|---|--|--------------------------------------|
| None | Chat, add, page, account, mobile, check, social media, computer | Practice, master, postgraduate, research paper, thesis, academic, short semester, course, full time, part time | Please, lol, thanks, budget, friends |

According to the five previous posts, the presence of English code-switching occurred frequently in the participants' comments. The findings showed that 27.4% of the comments included English words, whereas 35% were written entirely in English. However, only 37.2% were written entirely in Arabic without inserting any English word. Although participants were aware of their linguistic behavior, the majority of them chose to comment entirely in English or to insert English words within the Arabic sentences. Therefore, it could be said that this linguistic behavior was done deliberately. In fact, this could be linked to Fong's study (2011) in which he indicated that non-verbal communication allows people to edit and revise what has been written before being sent. Thus, it could be said that bilinguals are aware of their code-switching behavior and they do it intentionally as they have time to think before writing any single word.

5.0 Conclusion

This study aimed to investigate the occurrence of code-switching among Arab students at IIUM and the reasons and motivations that encourage them to switch from Arabic to English while communicating orally or via Facebook with their friends or family members who have the same native linguistic background. In addition, it shed light on the impact of English on the Arabic language and Arab identity from the students' perspective.

According to the results of the study, expressing oneself better, not being able to find suitable equivalents for some English words in Arabic, and improving English speaking skills were some of the reasons why most Arab students would resort to code-switching. Interestingly, around 70% of the students believed that code-switching would have a negative impact on Arabic as it could weaken the ability to express oneself in Arabic fluently. In addi-

tion, many words would be threatened with extinction and replaced by English words.

Although Arab students at IIUM tended to mix languages as they live in an English speaking environment, many of them showed a positive attitude towards their mother tongue considered as a significant part of their identity and gave several suggestions to maintain it such as teaching it to children and non-Arabic speakers, reading Quran, Arabic books and stories, practicing classical Arabic, holding conferences, etc.

According to the results presented previously, it could be said that English was used by respondents to facilitate communication and comprehension, whereas Arabic was the primary language used by the respondents for all communicative purposes, supplemented by English where necessary. The study has clearly shown that the majority of Arab students at IIUM resort to code switching for various reasons regardless of the negative impact that this linguistic behavior would have on the Arabic language. It is believed that a language can be maintained only if it is employed by its people in all fields of life, otherwise it will lose its strength and importance especially if it is in a competition with a powerful language such as English which is seen as the key to better chances and opportunities in life.

In fact, the first step towards maintaining the strength of a language starts at home as parents play a vital role in instilling the love of the mother tongue into their children. Therefore, Arabs should encourage their children to express themselves in Arabic in every context. In addition, they should enroll their children in schools where Arabic is valued and taught properly. It should be taken into consideration that the role of educational policy makers is no less important than that of parents at home. The researcher believe that policy makers have to take the responsibility to promote Arabic in educational institutes especially at English schools so that students would develop their Arabic and English language skills equally without preferring one language at the cost of the other.

In future research, the occurrence of code-switching can be observed based on the different functions that it might serve in specific topics and contexts. Furthermore, since the relationship between code-switching, age and gender were not addressed in this study, further research can be conducted to find out whether code-switching have different functions between different genders and age groups in both verbal and online communication.

References:

- Al-faifi, S. (2013). Code-Switching Among Bilingual Saudis on Facebook. Published Master's thesis. Southern Illinois University Carbondale.
- Al-Rowais, H. (2012). Code-Switching between Arabic and English, social motivations and Structural Constraints. Master's thesis, BALL State University.
- Al-sbiai, W. (2011). Code-Switching between Arabic and English among Saudi Speakers in Jeddah. Seminar paper, King Abdul-Aziz University. Faculty of Arts and Humanities.
- Ariffin, K., & Husin, M. (2011). Code-Switching and Code-Mixing of English and Bahasa Malaysia in Content-Based Classrooms: Frequency and Attitudes. *The linguistics Journal*, 5(1), 220-247.
- Abdul-Zahra, S. (2010). Code-Switching in language: An Applied study. *Journal of College of Education for Women*. Vol. 21, No. 1.
- Armia, N. (2009). Code-Switching Among ESL Teachers (A Case Study of IFLA at the International Islamic University). Master's thesis, International Islamic University Malaysia, Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences.
- Al-Qudhai'een, M. (2003). The Syntax of Saudi Arabic-English Intra-sentential Code-Switching. Doctoral dissertation, University of Arizona.
- Al-enezi, F. (2006). Formal Constraints on Arabic/English Code-Switching: A Lexically-Based Approach. Printed Dissertation. The University of Kansas at Lawrence.
- Fong, C. (2011). Functions and Reasons for Code-Switching on Facebook. Seminar paper, University Tunku Abdul Rahman. Faculty of Arts and Social Sciences.
- Gal, S. (1979). *Language Shift: Social Determinants of Linguistic Change in Bilingual Austria*. New York: Academic Press.
- Gibson, K. (2004). English Only Court Cases Involving the U.S. Workplace: The Myths of Language Use and the Homogenization of Bilingual Workers' Identities. *Second language Studies*, 22(2), pp. 1-60.

- Hanini.F. (2009). Impact of English on young Arabs' use of Arabic in the UAE. Master's thesis, The American University of Sharjah. College of Arts and Scientists.
- Heredia.R., & Altarriba, J. (2001). Bilingual Language mixing: why do Bilinguals code switch? *Current Directions in Psychological Science*, 10: 164-168.
- Kiranmayi,M. (2010). Code Switching and Code Mixing in Arab Students- Some Implications. ISSN 193—2940.
- Kim,L., Siong, L., Fei,W., & Ya'acob, A., (2010). The English Language and its Impact on Identities of multilingual Malaysian Undergraduates. *Journal of Language Studies*. Vol.10 (1).
- Lee, J. H. (2012). Implications for Language Diversity in Instruction in the Context of Target Language Classrooms: Development of a Preliminary Model of the Effectiveness of Teacher Code-Switching. *Korea Military Academy. English Teaching: Practice and Critique*, 11(4), 137-160.
- Mishra, S. K., & Yadav, B. (2013). Analogous Study of English Linguistic Knowledge between Monolingual and Bilingual Sixth Grade Students. *International Journal of English Literature and Culture*, 1(2), 41-55.
- Metila, A.(2011). Decoding the Switch: The Functions of Code-Switching in the Classroom. *Education Quarterly*, 67(1), 44-61.
- Mustafa,R (2011). SMS Code-Switching among Teenagers in Jordan. Seminar paper, Middle East University, Faculty of Arts and Sciences.
- Vela'squez, M. (2010). Language and Identity: Bilingual Code-Switching in Spanish-English Interviews. Master's thesis, University of Toronto. Department of Curriculum, Teaching and learning.

Appendix

Questionnaire for Students

Code-switching among Arab Undergraduate Students: Motivations and Threats to Mother Tongue

This survey is part of my research paper. I would greatly appreciate it if you could take few minutes to answer these brief questions. Be assured that your information is strictly confidential. Thank you!

هذا الاستبيان جزء من بحثي . أشكرك على الوقت الذي تمنحه بإجابتك على هذه الأسئلة . المعلومات التي تزودني بها لن يطلع عليها أحد ، وستكون في غاية السرية . شكراً لك .

Gender Male Female

الجنس ذكر أنثى

Age _____ العمر _____

1- أنا أتحدث باستخدام الإنجليزية مع:

1- I speak English to:

| 1 | Always دائماً | Often غالباً | Sometimes أحياناً | Rarely نادراً | Never إطلاقاً | |
|---------------------|------------------|-----------------|----------------------|------------------|------------------|-----------------------|
| Parents | | | | | | الوالدين |
| Siblings | | | | | | الأخوة و الأخوات |
| Relatives | | | | | | الأقارب |
| Arab Friends | | | | | | الأصدقاء العرب |
| Non-Arab friends | | | | | | الأصدقاء غير العرب |

Please tick (☐)

رجاء ضع إشارة صح في الصندوق المناسب فيما يلي:

only one appropriate box.

2- أنا أتحدث باستخدام لغتي الأم مع:

2- I speak my mother tongue to:

| 2 | Always دائما | Often غالبا | Sometimes أحيانا | Rarely نادرا | Never إطلاقا | |
|---------------------|-----------------|----------------|---------------------|-----------------|-----------------|-----------------------|
| Parents | | | | | | الوالدين |
| Siblings | | | | | | الأخوة و الأخوات |
| Relatives | | | | | | الأقارب |
| Arab Friends | | | | | | الأصدقاء العرب |
| Non-Arab friends | | | | | | الأصدقاء غير العرب |

| 3 | Strongly Agree أوافق بشدة | Agree أوافق | Neutral محايد | Disagree لا أوافق | Strongly Disagree لا أوافق بشدة | |
|--|---------------------------------|----------------|------------------|----------------------|--|--|
| a- I like to read in English | | | | | | أحب القراءة باللغة الإنجليزية |
| b- I like to write in English | | | | | | أحب الكتابة باللغة الإنجليزية |
| c- I like to read in my first language | | | | | | أحب القراءة بلغتي الأم |
| d- I like to write in my first language | | | | | | أحب الكتابة بلغتي الأم |
| e- I speak my mother tongue be- cause I can express myself better | | | | | | أتحدث بلغتي الأم لأنني أستطيع أن أعبر عن نفسي بشكل أفضل بها |

| | | | | | | |
|---|--|--|--|--|--|---|
| f- I speak English because I can express myself better | | | | | | أُتحدّث اللّغة الإنجليزيّة لأنّي أستطيع أن أعبر عن نفسي بشكل أفضل بها |
| g- Speaking only English affects my cultural identity | | | | | | التحدّث فقط باللّغة الإنجليزيّة له تأثير على هويتي الثقافيّة |
| h- Mixing English with my first language is bad for my first language | | | | | | التحدّث باللغتين الإنجليزيّة و العربيّة في آن معا يؤثر سلبا على لغتي الأم |
| I- If I do not speak my first language it will disappear | | | | | | إذا لم أتحدّث بلغتي الأم فهي ستلاشي وتختفي |
| j- There is no risk of losing my mother tongue even if I do not use it much | | | | | | لا توجد خطورة بأن أخسر لغتي الأم حتى إذا لم أستخدمها كثيرا |
| k- Maintaining my first language is my responsibility | | | | | | الحفاظ على لغتي الأم هو من مسؤوليتي |

4- يرجى الإجابة على الأسئلة التالية:

4- Please answer the following questions:

A- With whom do you code-switch using your mother tongue and English? (please explain)

أ- مع من تتحدث اللغتين الإنجليزية و العربية معا (تخلط)؟ رجاء اشرح.

B- What reasons lead to this code-switching? (please explain)

ب- ما هي الأسباب التي تدعوك للخلط بين اللغتين؟ رجاء اشرح

C- In what way does speaking English affect your mother tongue?

ت- كيف يكون لتحدثك بالإنجليزية أثر على لغتك الأم؟ رجاء اشرح


D- How can Arabic be maintained in this age of globalization?

ث- كيف يمكن الحفاظ على اللغة العربية في عصرنا الذي يتصف بالعولمة؟

Facebook Posts and Comments:

| | |
|---|---|
| <p>Ahmad K: غرفة متوسطة للإيجار بجانب IIUM. Medium room for rent near IIUM May 4 at 7:00 PM.. 50 people like this.</p> | |
| <p>1- Saber A: Hello,how much & can send me the photos for room, and tell me who r housemates. Thnx. May 4 at 7:30 PM. Like.</p> <p>2- Ahmad K: Dear bro, u can come to see the apartment & room any time u want, I send photos to ur inbox. May 4 at 7:33 PM. Like.</p> <p>3- Saber A: Ok, send me photos, and I want to know who r housemates, and pls, price. Thnx. May 4 at 7:36PM. Like.</p> <p>4- Khalid R: أخي كم أجار الغرفة؟؟ How much is the room rent? May 4 at 8:00 PM. Like.</p> <p>5- Mohamad G: أنا محتاج غرفة بسرعة والبدجت تبقي ٥٠٠ رنجت، ابعثلي مسج عالخاص يليين I need a room urgently and my budget is 500RM. Send me a private message please. May 4 at 8:30PM. Like.</p> | <p>6- Isam Ah: أخي يليين ممكن تحط صور للغرفة. تانكس. Could you please post some photos? Thanks. May 4 at 8:50 PM. Like.</p> <p>7- Mohamad Sal: ابعثلي رقمك عالخاص Send me your mobile number via private message May 4 at 9:15 PM. Like.</p> <p>8- Mahmoud Ah: آبي محتاج غرفة I need a room. May 4 at 10:00 PM. Like.</p> <p>9- Raid Sa: أنا أريد أشيك الغرفة I want to check the room. May 4 at 10:50 PM. Like.</p> <p>10- Osama Sa: PM pls. May 4 at 12:00 PM. Like.</p> <p>11- Salem Moh: Salam bro, tell us the details please. May 4 at 8:45 PM. Like.</p> |

| | |
|--|---|
| <p>Osama K: أريد أنجح بامتحان السلباد وأفتك ، الإنجلش مسويلي سترس انصحوني وش أسوي؟ I want to pass EPT, <u>English</u> causes me <u>stress</u>. What shall I do? Please advise me. May 7 at 5:00 PM.. 60 people like this.</p> | |
| <p>1- Ahmad Ah: ولا يهملك أخوي أنا أساعدك رح أسويلك أد ونتكلم عالنشات Don't worry brother, I can help you. I'll <u>add</u> you so that we can <u>chat</u>. May 7 at 5:40 PM. Like1.</p> <p>2- Salwa Kah: Read English books as much as you can & watch movies. Good luck. May 7 at 5:44 PM. Like.</p> <p>3- Lina SI: يحتاجلك كثير يراكتين You need a lot of <u>practice</u>. May 7 at 5:50 PM. Like.</p> <p>4- Alaa Ald: لازم تصبر وتدرس منيح مشان تنجح Be patient and study hard to succeed. May 7 at 6:30 PM. Like.</p> <p>5- Khadija Li: I have some useful books. If you are interested, inbox me. May 7 at 6:45 PM. Like.</p> <p>6- Osama K: مشكورين شباب عالدعم Thanks for supporting me. May 7 at 7:10 PM. Like.</p> <p>7- Samar Mo: الله يوفقك أخوي May Allah grant you success, brother. May 7 at 9:00 PM. Like.</p> | <p>8- Luaai Ah: Good luck!! May 7 at 10:00 PM. Like.</p> <p>9- Said Sa: اقرا كتب وشوف أفلام بالإنجلش Read English books and watch <u>English</u> movies May 7 at 10:40 PM. Like.</p> <p>10- Gaith Ah: عفوا شباب فيني نزل كورسات بالشورت سمستر؟؟ أنا طالب ماستر Excuse me guys, can I take <u>courses</u> in the <u>short semester</u>? I'm a <u>master's</u> student. May 7 at 11:00 PM. Like.</p> <p>11- Lubna Is: لا أخي طلاب الماستر أو اليوست جراديوت بشكل عام مايقدروا بس يعتقد فيك تاخذ الريسرش بيبر أو الثيسيس. بالتوفيق Master's students or Postgraduates in general can't take courses in summer, but I think you can work on your <u>research paper</u> or <u>thesis</u>. Good luck. May 7 at 11:20 PM. Like.</p> <p>12- Laith Far: لا أخي ما بتقدر الإ بالفصل الأكاديمي العادي You can take courses only during a regular <u>academic</u> semester. May 7 at 11: 45 PM. Like.</p> <p>13- Gaith Ah: شكرا Thanks. May 7 at 11:55 PM. Like.</p> |

| | |
|--|---|
| <p>رمضان على الأبواب... أهلا رمضان: Faten Ab Ramadan is just around the corner....welcome Ramadan May 12 at 1:00 PM.. 40 people like this.</p> | |
| <p>1- Zuhair Alz: رمضان مبارك Ramadan Mubarak May 12 at 1:10 PM. Like.</p> <p>2- Mohamad Ant: أهلا رمضان Welcome Ramadan May 12 at 1:20 PM. Like.</p> <p>3- Lucy na: رح أشتاق لأهلي لأنورح اقضي رمضان بعيدة عنهن. رمضان مبارك. I'm going to miss my family because I'll spend Ramadan away from them. Ramadan Mubarak. May 12 at 1:40 PM. Like.</p> <p>4- Sarah Om: عادي حبيبتي اكيد عندك فرندز يخففون عنك هالشعور. It's ok dear, your <u>friends</u> can make you feel good. May 12 at 1:59 PM. Like.</p> | <p>5- Mounia Ada: رمضان مبارك Ramadan Mubarak May 12 at 3:00 PM. Like.</p> <p>6- King Mind: Can't wait for it. May God forgive our sins. May 12 at 5:55 PM. Like.</p> <p>7- Omar Jo: أهلا رمضان Welcome Ramadan May 12 at 6:00 PM. Like.</p> |
|  <p>May 19 at 2:50 PM.. 30 people like this.</p> | |

| | |
|---|--|
| <p>1- Oays Alh: Why do you share your photo? May 19 at 3:50 PM. Like.</p> <p>2- Alaa Tam: hehehe Yeah? May 19 at 4:44PM. Like.</p> <p>3- Mounia Ad: hahahaha, this is not a dating website. May 19 at 5:00 PM. Like.</p> <p>4- Sarah Om: hahahaha May 19 at 5:05PM. Like.</p> <p>5- Omar Jo: بالراحة يا جدعان ممكن يكون بيدور على عروسة على عروسة Maybe he is looking for a bride. May 19 at 5:30PM. Like.</p> <p>6- Oays Alh: I think so May 19 at 5:33 PM. Like.</p> <p>7- Zaid Ka: ههههههه بيدور على عروسة Hahaha, he is looking for a bride. May 19 at 5:35PM. Like.</p> | <p>8- Monia Ad: هو منزلها من ١٨ ساعة اكيد مو بالغلط ليول He uploaded it 18 hours ago, which means that he did it on purpose loool. May 19 at 5:40PM. Like.</p> <p>9- Omar Jo: خلاص بيبقى أكيد بيدور على عروسة Then, he is looking for a bride for sure May 19 at 5:50PM. Like.</p> <p>10- King mind: مبروك سلفا Congrats in advance May 19 at 6:10 PM. Like.</p> <p>11- Omar Jo: الله يعين الأخ لما يفتح الأكاونت رح ينتحر بسببكم ههههه Poor he! He is going to commit suicide when he logs into his <u>account</u> hahahaha. May 19 at 6:20 PM. Like.</p> <p>12- Mounia Ad: هو يلي نزل الصورة بالبيج الغلط ليول. He shouldn't have uploaded it in this <u>page</u> lol. May 19 at 6:22PM. Like.</p> |
|---|--|

| | |
|---|--|
| <p>Zuhair Alz: Master's in accounting and experience with professional English language looking for a job. Anyone can help me? I'll appreciate your assistance. May 17 at 7:00 PM.. 50 people like this.</p> | |
| <p>1- Lucy Na: بالتوفيق Good luck! May 17 at 7:20PM. Like.</p> <p>2- Mohamad An: بالامكان التواصل معي على الخاص يوجد فرصة عمل كمحاسب Send me a private message; there is a job vacancy. May 17 at 7:55PM. Like.</p> <p>3- Zuhair Alz: Plz check inbox or others May 17 at 8:10PM. Like.</p> <p>4- Zuhair Alz: لماذا لاترد يا أخي؟؟ Brother, why don't you reply? May 17 at 8:30PM. Like.</p> <p>5- Mohamad An: I was out. I'll check and come back to you. May 17 at 9:20PM. Like.</p> | <p>6- Mohamad An: الرجاء ارسال رقم الموبايل لم يصلني أي شيء إلى الآن Please send me your mobile number, I didn't get it yet. May 17 at 9:40PM. Like.</p> <p>7- Zuhair Alz: Already sent to u plz check inbox or others. May 17 at 10:00PM. Like.</p> <p>8- Alaa Tam: مطلوب بشكل عاجل شاب أو بنت للعمل بشركة سياحية بالتايم سكوير فول تايم أو بارت تايم عنده خلفية في السياحة والكمبيوتر والسوشل ميديا ولغة عربي وانجليزي We are urgently looking for a <u>part time</u> or <u>full time</u> male or female employee to work at a tourism company at Times Square. They should have a background in tourism, <u>computer</u> and <u>social media</u>, and good English language skills. May 17 at 10:55PM. Like.</p> |



**UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES**

**THE JOURNAL OF THE
COLLEGE OF ISLAMIC
& ARABIC STUDIES**

A Peer-Reviewed Journal

GENERAL SUPERVISOR

Dr. Mohammed Ahmed Abdul Rahman
Vice Chancellor of the College

EDITOR IN-CHIEF

Prof. Ahmed Othman Rahmani

ASST. EDITOR IN-CHEIF

Prof. Khalifa Boudjadi

EDITORIAL SECRETARY

Prof. Yoosuf Husain Ahmed

EDITORIAL BOARD

Prof. Mohamed Abd El Haye

Dr. Hamzah Hassan Sulieman

Prof. Omar Bougroura

Dr. Abdel Nasir Yousuf

Prof. Ahmed Al-Mansori

Translation to English Language: Translation Committee of the College

ISSUE NO. 55

Ramadan 1439H - June 2018CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the “*Ulrich’s International Periodicals Directory*”
under record No. 157016

e-mail: iascm@emirates.net.ae

SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

Prof. Ahmad M. Mansour Alzubi
United Arab Emirates University – UAE

Prof. Kotb Rissouni
University of Sharjah – UAE

Prof. Benaissa Bettahar
University of Sharjah – UAE

Prof. Rashad M. Salem
Al Qasimia University – UAE

Prof. Saleh M. Al-Fouzan
King Saud University – KSA

Prof. Jamila Hida
Université Mohammed I Ouajda - Morocco

College of Islamic and Arabic Studies in Brief

History & Inception

Bachelor Program:

- The College of Islamic and Arabic Studies, an academic institution in the higher education field in UAE. It is one of the knowledge's minaret in Dubai as well as a genuine support for human resources development in UAE.
- It was established by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.
- The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987.
- The decision of Al-Azhar University President no. 1995 of 1991 dated 9/7/1991 was issued to make the certificate granted by the college equivalent to Al-Azhar University.
- On 02/ 04/ 1414 AH corresponding to 18/4/1993, His Highness Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decree no. (53) for the year 1993 granting the license to the college to work in the field of higher education.
- Then, he issued the decree no. (77) for the year 1994 related to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- Later, he issued the decree no. (55) for the year 1997 concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- Number of students in the 32nd academic year 1438/1439 AH 2017/2018 AD are (196) male students and (1191)female students in B.A program and (110) female students in Graduate Studies program and (53) male students with (163) students in the total of the Post-Graduate program.
- The college celebrated the first graduating batch of 23 Sha'ban 1412 AH, 26 December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum Vice President and Prime Minister and ruler of Dubai (May Allah Have Mercy On Him).
- The celebration of College graduation for the second Class male students and the first Class female students was in 29/10/1413 AH, 21 April 1993 AD.
- The College celebrated this year 2017/2018 AD the twenty-eighth graduating Class of male students and the twenty-seventh of female students specializing in Islamic Studies, and the fourteenth male students and the twentieth female students Class specializing in Arabic Language and Literature.

2. Graduate Studies in the College a pioneer step:

- Graduate Studies Department in the College was established in the academic year 95/1996 AD to achieve a noble objective and a high goal. This is to prepare well- equipped students with the skills, competences and knowledge to face new challenges in life and the feeling of homesickness especially female students.
- This program awards M.A in Islamic Studies/ Shari'a and Arabic Language and Literature and later registration in the Doctoral Program in Fiqh/ Jurisprudence, which started 2004/2005 AD.
- Doctoral program of Arabic Language and Literature(in both literature/ criticism and linguistics /grammar departments) started in 2007/2008 .
- The decision of the Minister of Higher Education and Scientific Research No. (56) in the year 1997 AD was issued in comparing the degree of the higher diploma in Islamic Fiqh / Jurisprudence which is awarded with the degree of higher diploma in this specialization.
- Masters in Islamic Studies (Jurisprudence) and (Foundations of Jurisprudence) which the College grants in these two majors.
- On 24/2/2017, Mohammed bin Rashid Global Centre for Endowment Consultancy granted Dubai Endowment Sign to the College.

- (219) Female students graduated from the Post-Graduate program in the College; (97) of them were in the Masters in Islamic Studies (Jurisprudence) and (Foundations of Jurisprudence) and (76) were in the Masters in Arabic Language and Literature (Language and Grammar, and Literature and Criticism). Since the onset of the Ph.D. program, with Total of (46) students, (19) students of them graduated from the Islamic Studies Department and (27) from Arabic Language Department.

3. Vision, Mission and Objectives:

Vision: “The College is a leading educational institution with a scientific and research efficiency which contributes to ensure the cultural identity of the UAE community, focusing on raising the awareness of Islamic sciences and the Arabic language, and knowledge achieved with the requirements of the present time.”

Mission: “The College is working on the development of the level of the students in Islamic studies and Arabic language and literature, and on personal development and leadership skills and provides scientific research for the development of scientific methods and tries to achieve academic excellence to build a knowledge-based society with a high quality service for the community.

Objectives: The College seeks to achieve these objectives:

- a- Academic Objectives: To develop the students’ academic knowledge in their majors (Islamic Studies and Arabic Language and Literature) trough enhancing their research skills in all fields required nowadays.
- b- Practical Objectives and skills: Including enhancing the basic and renewed reading, writing and research skills.
- c- Behavioral Objectives: Graduate students exemplifying the national moral codes which enhance the love to their country, goodness, beauty, construction and widening their ambiance to consider future generations. .

4. Board of Trustees:

- The Board of Trustees directs the general affairs of the College to achieve its aims. The Board includes in addition to The Board of Trustees supervises the general affairs of the college and guides it so that it can attain its goals. In addition to its founder, the Board also includes distinguished dignitaries, well known for their scientific knowledge, opinions, experience, who sponsor scientific, social, economic and administrative activities in the UAE.

5. The College Departments:

The College comprises 2 departments which constitute an integrated unit that decides unanimously on its curriculum and on the graduation of its students:

1. Department of Islamic Studies
 2. Department of Arabic Language and Literature
- It is to be noted that in the college admission is opened to both male and female students. The college also offers graduate studies (M.A. in Islamic Shariah majoring in Fiqh and Osool, M.A. in Arabic Language majoring in either Literature and Criticism or Linguistics. A Ph.D in Islamic Shariah with a major in Fiqh and Osool, and a Ph.D in Literature and Criticim and in Linguistics.

6. The study system:

- For a B.A degree the period of study for holders of a G.S.C. certificate in both Science and Literature is 4 years. The college follows the semester system implemented since 2001. Attendance is compulsory.

7. Scientific and Social activities:

- A scientific journal under the sponsorship of the college is issued bi-annually. The research work of professionals from inside and outside the college is supervised by the college. And (18) text books have already been published in the college project (University Book Project).
- An International scientific Symposium in Hadeeth Sharif is held every 2 years in the college.

Subscription Slip

We would like to subscribe in the Journal of the College of Islamic and Arabic Studies for the period of years, starting from

- Name in full:

- Address:

- Telephone:

- Email:

- Fees:

Subscription Fees

| Source | Period | | Fees | | |
|-------------|-----------|--------|--------------|-------------|----------|
| | Year | Copies | Institutions | Individuals | Students |
| Inside UAE | One year | 2 | 100 AED | 80 AED | 50 AED |
| | Two Years | 4 | 200 AED | 150 AED | 100 AED |
| Outside UAE | One Year | 2 | 50 \$ | 40 \$ | 30 \$ |
| | Two years | 4 | 100 \$ | 80 \$ | 60 \$ |

Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Journal of the College of Islamic and Arabic Studies, Dubai

Dubai Islamic Bank – Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:

Editor in chief of the Journal of the College of Islamic and Arabic Studies, Po Box: 34414

Dubai – United Arab Emirates – Telephone: 0097143706557

Email: research@islamic-college.ae - iascm@iascm.ae

Rules of Publishing

First:

The Journal of the College of Islamic and Arabic Studies publishes scientific research in both Arabic and English languages. The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. This is to be certified by an affidavit of undertaking duly signed by the researcher which is sent to the journal with the research paper.
2. The researcher can not publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
3. Research which embodies Quranic quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
4. The research must be computer typed using Word 2010, double spaced, font size 16, with a minimum of Fifteen (15) pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 10,000 words), sent 1 hard copy of the research and 1 soft copy. The name of the researcher must be written in Arabic and English along with an autobiographical account, including his/her name, academic status, position, place of work and full address.
5. The research must include an abstract, in the Arabic and English languages that should not exceed 200 words.
6. Tables, figures and additional illustrations referred to should be consecutively numbered and presented in the appropriate sections of the research.
7. The following scientific method of documentation should be used:
 - * The Sources and the text - citation in the research are referred to by Serial numbers put upwards between brackets (e.g. (1) (2)) and to be shown in detail at the bottom of each page as it appears in the core of the research.
 - * Explanations and additional notes are distinguished by the symbol (*).
 - * The Sources and references are printed at the end of the research and are arranged in alphabetical order according to the name of the author followed by the book's title and any additional informations.

Books: Name of the author, title of the book, name of editor (if any), name of publisher, place of publication, edition # (if any), date of publication (if any), and if there is no date of publication write in brackets (no date).

Research in Periodicals: Name of the author, title of research, name of journal, publishers, place of publication, journal # (if any), edition #, the date, the page numbers of the research in the journal (From/To).

8. The researcher must review his research according to the suggestions given by the referees and must send a copy of the revised version to the journal, with a report.

Third:

1. The material published in the journal represents the viewpoints of their writers only and do not represent those of the journal.
2. The research papers sent in to the journal will not be sent back to the researcher whether they are published or not.
3. The arrangement of the articles in the journal is subject to technical consideration.
4. The researcher will receive five (5) off-prints and two copies of the issue in which his research was published.
5. All correspondence should be sent to the following address:

Editor in Chief, Journal of the College of Islamic and Arabic Studies,

P.O. Box 34414

Dubai, United Arab Emirates

Tel: 00-971-4-3706557

Fax: 00-971-4-3964388

Email: research@islamic-college.ae - iascm@iascm.ae

Contents

- **PREFACE**
Editor in Chief 15-16
- **Supervisor’s Word: The Importance of Developing Language Teaching Methodology in Universities**
General Supervisor 17-19
- **Chapters** 21
- **Ifrad (singling) or Grouping in Presenting Quranic Readings**
Dr. Namshah Abdullah Altwalh 23-68
- **“Revelation by the Divine Speech” Case Study by Ibn Khaldun**
Dr. Sherif Abdelalim Mahmoud Mohamed 69-112
- **The specification of the general in the Prophet’s (PBUH) deed and its effect on the Shari’ah provisions (Rooting and Application)**
Dr. Salman Smail Alsulmi 113-144
- **The Effect of Insolvency by Dowry in Breaking up the Relation Between the Two Spouses**
Dr. Maher Deeb 145-194
- **“The Rapid Training for the Human Resources and its Practical and Cognitive Effectiveness.” Case Study on the Emirati Experiment “Injaz” Work Readiness Programme (WRP) at College of Islamic and Arabic Studies- Dubai**
Dr. Mohammed Ahmed Abdel Rehman 195-238
- **Historical Documentary in Sultan bin Mohammed Al Qasimi Theatre**
Dr. Yahya Saleem .S.Issa 239-280

- **Mechanisms of investing the text syntactically in case of IBN HISHAM AL-ANSARI (761 AH) in his commentary of the Poem (Banet Souad) Souad had went away**
Dr. Kerchou Lazhar Ben Larbi 281-324
- **Cognitive Communication between the Grammatical and Jurisprudential Lessons. The Book of the Al Kawkab Al Dorri (772 AH) by Al Asnawi as a model**
Dr. Hadeel Abdul-Haleem Dawoud - Dr. Aisha Khdhr Ahmed ... 325-360
- **Labeed Bin Rabeea-Al Amri's Long Poem (Mallaqa) in the Light of Intellectual Approach**
Dr. Ahmad Mahmmad Mishrif Al- Harahsheh 361-396
- **Code-switching among Arab Undergraduate Students: Motivations and Threats to Mother Tongue**
Aliaa Mohamed Osama Kahwaji 17-54

PREFACE

Editor in Chief : Prof. Ahmed Othman Rahmani

Thanks be to Almighty Allah, whom we beg to help us to appreciate What is due to Him, and I bear witness that there is no god but Allah and I testify that Muhammad is his servant and his Messenger.

Science in this modern age is a bridge from backwardness to development and from the state of physical and mental health, and economic suffering to the awareness of causes of development and prosperity to achieve good deeds. I hope I'm not mistaken if I say that the role of science in correcting the march of civilizations and development of societies is the foundation role, starting from the Holy Books which stressed the fact that the improvement of the conditions of humanity in their religious and living affairs depends on science. Almighty Allah said: "There is no god but He: That is the witness of Allah, His angels, and those endowed with knowledge, standing firm on justice. There is no god but He, the Exalted in Power, the Wise."

The new edition of the journal of the College of Islamic and Arabic Studies, with its new topics, seeks to achieve the noble goals of science through the following aspects:

Quranic Studies Aspects:

1. Ifrad (individualization) or the collection in presenting Quranic readings.

The research shows that single and narration of Quranic readings is the foundation, and it is the approach by which the companions received the Quranic alphabets and readings from the prophet, and the collection of the readings was emerged for summarizing.

2. Revelation by the Divine Speech" Case Study by Ibn Khaldun: the study showed that Ibn Khaldun opened his imagination to go deep in the case of revelation, which is in the unseen that minds cannot realized.

Jurisprudence and Shariah Studies (Islamic Law) Aspect:

3. The effect of insolvency by dowry in separation between the two spouses. The purpose of this research is to clear out the effect of insolvency by dowry which leads to divorce especially if the wife requests that and if she has such right or not?
4. The specification of the general in the Prophet's deed (Peace Be Upon Him) and its effect on the Shari'ah provisions (rooting and application). This research dealt with specification of the general issues in the Prophet's deed (PBUH) in order to explain the effect of jurisprudential differences in the provisions of Islamic Law.

Language Aspect:

5. Cognitive communication between the grammatical and fundamental lessons the book of the Al Kawkab Al Dorri 772 by Al Asnawi- as a model. This study figures out the communication between two authentic sciences in our Islamic culture and seeks to explain its fields, especially the relation between Fundamentals of Jurisprudence (Usoolul-Fiqh) and Grammar Sciences. It even concludes that Grammar is approximately a copy of Jurisprudence, especially in terminology and the methodology of composition and classification.

6. The mechanisms of syntactically investing the text in the case of IBN HISHAM AL-ANSARI (761 AH) in his commentary poem (Souad had went away(Banet Souad)) - practice looking for –trying to discover and unveil . This study reveals the begging method used by grammarian in a poetical text which opened the door for Ibn Hisham widely to spread out grammar rules in his point of view, whether supporting or opposing to the cases he mentioned in his book.

Literary Studies Aspect:

7. Labeed Bin Rabee’a’s “Mu’allaqa” (long poem) in the light of the intellectual approach. The researcher uses the intellectual approach in the allusions of the poem and its hidden denotations, relying on the poet’s presupposed intention to answer the interested students about historical features that have been controversial among the interpreters.
8. Historical documentary in Sultan bin Mohammed Al Qasimi theatre. The paper seeks to make clear that history according to Al Qasimi has constituted a repertoire of documents which are considered as a cognitive abutment for his artistic vision.

Educational and Social Studies Aspects:

9. The rapid training for the human resources and its practical and cognitive effectiveness a case study on the Emirati experiment “Injaz” in the College of Islamic and Arabic Studies in UAE. The research deals with the rapid training approach to present this concept its theoretical and practical cognitive effectiveness through a field study of the trainers’ estimation analysis on the sample of Work Placement Program (Injaz).

The college’s journal seeks to receive more support from the high-end pens that carry the moral and civilized message to serve people who read and benefit all as expressed by one of the contemporary scholars:

“A library is not titles and books, rather it is a place for all”

Supervisor's Word:

The Importance of Developing Language Teaching Methodology in Universities

By the Editor in Chief: Dr. Mohammed Ahmed Abdel Rehman

Elements of the subject:

Arabic language stands today with the world's leading languages due to its wide range of users and its cultural and civilization heritage. It's not of benefit to mention language priority as much as it's the need for doing research in comparing languages stating the mutual humanitarian foundation and the unique characteristics for the recognition and inclusion in the educational system and communication. Therefore today's research needs to indicate potentials that Arabic language offers from expanding the vocal repertoire, the derivation of its words, the methods of arabization and the brevity of its phrases in addition to what should be relied upon in the subject of comparative studies, among universal languages. Since language is a continuous means of excellence which every nation expresses and is subject to permanent change and development.

However, the phenomenon of the UAE and the Gulf countries forces us to reconsider the educational methods, as it is not enough to increase the number of teaching hours because the issue can be limited to use, and this requires intensifying the areas of linguistic use of the language to be learned, as required in the case of the Arabic and English languages.

In this volume of the journal we will focus on the following issues:

1. The value of the language in transferring and communicating.

The communication between the members of the community is crucial for the comprehensive development. Therefore, signals support language in communication and may replace spoken language if the speaker is not aware of it. In this case the signal would be a means of communication for the person who is unfamiliar with the language because it expresses the simplest needs. Thus, the complexity of life and the needs diversity make the language an irreplaceable means whether spoken or written. However, language will not be proper on the two ways of expressions without mastering its structure,

lexicon and phonology, as well as other language requirements and skills, to enable human being to express his/her needs fluently which in turn will facilitate the progress of social relations.

2. The role of language in social and technological communication.

It is essential that the role of language does not depend on the social communication in meeting needs, rather it goes beyond that to reach the social, political, and economic communication in addition to other contemporary demands. As the written means of social media in different relationship, in commerce, management and even in friendship became an essential factors of expressing all the requirements of life.

3. The effective language in scientific research.

The importance of language and the necessity to master its components is reflected in the fields of creativity, innovation and scientific discoveries, at that time the language mastery turns to be a necessity. Thus, language programs should be reviewed more seriously, so that the researcher would be able to express the precise scientific issues, and paying attention to all language skills, i.e. listening, reading, writing and creativity skills.

We have noticed that most of the researches and studies, academic or non-academic, were certified with a recommendation to be linguistically corrected, which sheds light on the importance of the developing educational methods to enable the researcher to overcome these obstacles and seriously consider the ideas, innovation and creativity.

4. How do we develop the methods of teaching the language.

Methods of teaching vary among indoctrinating, dialogue, activities, research, etc., and we must distinguish between the teacher's methodology in terms of being personal and characterizes his personality in performance and the procedure which is based on the stable rules that should be adopted as a methodology. In fact, such methodology is the one that distinguishes the teaching system from another. On this basis teaching methodologies should be reconsidered to contribute more effectively in the development of language capabilities of the student. Thus, teaching through language practice is more effective than indoctrinating, because the programs have already proved that the huge number of hours did not achieve the goal, for example the student's engagement into a language environment as some universities do in the situation of the Arab student who lived with a family that uses English only,

will help him to learn the language easily.

5. Multilingualism: is a contemporary civilizational necessity.

In the framework of dealing with the problem of language we need to talk about the importance of multilingualism in developing thinking, methodology and knowledge in general, because social communication has exceeded the scope of the country to the global relations. It is clearly noted that young people today deeply communicate on crucial issues, thus we should resort to the useful methods in disseminating multilingualism approach to maintain the (cultural products).

Multilingualism should not be viewed from a negative angle and it is an extension on the account of national language status rather it has many positive aspects such as the opening of civilization communication among people as well as the contribution among the people as well as the contribution of language, education in universities, in which different languages are put together on the same level of performance and opportunities of expression. This allows the learners and students to understand the agreed upon features and foundations of human language as well as the uniqueness of each, take control of and pose their skills to widely open the doors towards human cultures.

6. Expected results in the horizons.

I expect that all professors and researchers are eager to support the mechanism of language upgrading in the field of teaching and scientific research in order to provide a fully equipped educational and research system that depends on language proficiency as a permanent factor in the educational process and scientific research so we can configure fully integrated student who is able to read, understand and speak languages.

